نهاية التحقيق

فيما جرى في أمر فدك للصدّيقة والصدّيق بالنصّ والتوثيق

تقديم وجمع وتحقيق

آية الله السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان



فيما جرى في أمر فدك للصدّيقة والصدّيق بالنصّ والتوثيق

تقديم وجمع وتحقيق

آية الله السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينْ

(أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطول، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، جمّ عن الإحصاء عددّها، ونأى عن الجزاء أمدّها، وتفاوت عن الإدراك أبدّها. وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمدَ إلى الخلائق بإجزالها، وثنّى بالندب لأمثالها...). بهذا ابتدأت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، خطبتها (الكبرى) الشهيرة في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله، وإنّما ابتدأتُ أنا بما ابتدأتْ به هي صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، لأنّي أردت الوصول إلى ساحة قدسها، والدنوّ من رحمة بركتها، في عملي هذا وهو توثيق أسانيد خطبتها عليها السلام، فعسى أن أحظى بنظرة عطف من لطفها، فتشملني بشفاعتها **﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[1]

(١) الشعراء: ٨٨ ــ ٨٩.

فإنّ لها عند الله مقاماً عظيماً، وجاهاً كريماً، فـصلّى الله عليهـا وعـلى أبيهـا وبعلها وبنيها وسلّم تسليماً.

(يا فاطمة الزهراء يا بنت محمّد يا قرّة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنـا إنّا توجّهنا واستشفعنا وتوسلنا بكِ إلى الله وقدّمناكِ بين يدي حاجاتنا، يا وجيهة عند الله إشفعي لنا عند الله).

ياسيدتي إنّ خطبتكِ في شأن فدك الّتي ألقيتهِا في مسجد أبيك الرسول ﷺ، فأقمتِ بها الحجة، وأنرتِ المحجة، فانقطع الخصوم عن الإدلاء بما عندهم ممّا يردون به القوارع الّتي صدعتهم بها، فكان الكذب والإفتراء، وكان التعريض والإزدراء، ومرّت السنون، وذهب كلّ فريق ممّـن أحـبّ أو سخط بما يؤمنون فيما يعملون.

ونبتت نابتة لم تستمرئ طعم الإيمان على حقيقته، فلم يكـن إيمانهـم إلاّ لعقا على ألسنتهم، لم يجاوز تراقيهم، فأنكروا الخطبة وأسبابها، وأحاطوها بشُبَه كنسج العنكبوت، فاستهووا بعض المغفّلين، وهؤلاء قـد يُعـذرون لأنّهـم لم يـروا إلا مـا حـولهم، ولم يـسمعوا إلا مـا يتلـوه علـيهم وعّـاظ السلاطين من خلال خطـب الجمعـات والأعيـاد، فلـم يـستطيعوا فـكّ الرهان عن رقابهم، ولا رفع الغشاوة عن أعينهم، فأنّى لهم المعاينة؟ وأنّى لهم الموازنة؟ وهم في ظلام من التـضليل مطبـق، وفي متاهـة وعـلى شـفا جرف هار، ولمّا كان الدين هو النـصيحة لعامـة المـسلمين، أوجـب عـليَّ الحقُّ إجابةَ طلب المؤمنين، فأدليتُ بدلوي مع الواردين، عسى أن أوضح

لمن غفل أو تغافل وثاقة الخطبة من مصادر العامّة والخاصّة، وأسأل الله تعالى أن يتقبل منّي عملي خالصاً لوجهه الكريم، وعسى أن يهتدي به مضلّل غافل، أو جاهل متغافل، فيتبع سبيل من أناب، فأثاب عليه أحسن الثواب، إنّ ربّي رحيم ودود.

الباعث على هذا

ولقد حداني إلى هذا العمل كثرة ما أشيع وأذيع في وسائل الإعلام الكاذب في هذه الأيّام من أن الزهراء عليها السلام لم تمت وهي غضبى على الشيخين، بل إنّها كانت غضبى أوّلاً ولكنها رضيت عنهما حين أتياها عائدَين، وبالتالي فإنّها لمّا ماتت صلّى عليها أبوبكر، كما سيأتي ذكر هذا ضمن صور بعض النصوص الآتية - وبهذا ونحوه بدأ الوهم يتحول إلى الشك والشك يتسرب في نفوس البعض، ثمّ يتحول في طريقه إلى الظن، وربّما ينقلب إلى يقين بعد حين، والبلية والطامة هي أن نقرأ ذلك في منشورات هنا وهناك، وما أدري لماذا هذا في هذا الوقت، ثمّ ماذا من بعد الاستنكار يأتي غير الإنكار؟ وما أدري كيف لنا توجيه ما ورد عن أئمّتنا عليهم السلام بدءاً من أمير المؤمنين عليه السلام فيما قاله في تأبينها عند دفنها؟ وسيأتي ذكره في بعض النصوص الآتية، ثمّ ما ورد من ألفاظ زيارتها عليها السلام وهو عن أبنائها، وما ورد في ذكر مقامها يوم القيامة وشكايتها، وهذا ما روته مصادرنا عن أئمّتنا، ومنه ما رواه ابن عباس رحمه الله وهو بحكم المرفوع

كما يراه غيرنا، ولقد سبق الناصر الأطروش (٣٠٢ -- ٣٠٤) والقاضي محمّد بن أحمد بن الجنيد أبو عليّ الإسكافي رحمه الله وهو من قدماء أصحابنا إلى تأليف كتاب باسم (الظلامة الفاطمية)(١)، وقد نقل عن كتاب هذا الشيخ تقي الدين عبد الله الحلي في كتابه(٢) بإسناده إلى أبي ذر الغفاري، وفي أصل سُليم بن قيس وغيره، ما ينفي الشك واللبس، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

السبيل الأقوم

وبعد فهذه السطور نقرأ فيها تحقيقاً حول خطبة فدك، الّتي احتجّت بها سيدة النساء على ابي بكر والمهاجرين والأنصار، نصاً وتوثيقاً، لأن كثيراً من المعاندين يأبون التصديق بها، حيث أتت على بنيانهم من القواعد، فجعلته هشيماً رميماً تذروه الرياح.

ولمّا كان التاريخ الإسلامي قد تعرّض لذكر الأحداث الجسام، الّتي تزلزلت فيها الأقدام، فكان الإنقسام، واشتد التجاذب بين القطبين - السنّي والشيعي - في كتب الكلام، حيث نجد التفريط والإفراط في الخصام، ممّا يزداد معه المرء حيرة، أيّ الفريقين أهدى وأقوم سبيلا، ومن لم يمتلك نحواً من الخُبرة، يكاد يقع في هوّة الحيرة، بعيدة القعر كذي طوى، وهو لا يملك حبل نجاة من الرشا، إلاّ قصيراً لا يبلغ المدى،

---

(١) كما في رجال النجاشي: ٣٨٨، وفي الذريعة ١٥: ٢٠٢.

(٢) الدر الثمين في أسرار الأنزع البطين: ٩٥.

فيكاد يهوي في الحفرة، مع كثرة الثغاء والرغاء، وتزاحم الرُعاع والرعاء، الّذين ما تزال أقلامهم تزيد العجيج والضجيج ، فكثر الشك، وحصل الريب، وربّما تنسف الحقيقة بجرّة من قلم، لدعوة حاكم ظلوم، أو تزلّفاً لذي سلطان غشوم، إمّا طمعاً في مغنم، أو دفعاً لمغرم.

وفي هذه الحال لابدّ لمن يبتغي الوقوف على الحقيقة، أن يتريّث صابراً، حتى يصدر الرعاء، ليرى كم ترك كلّ من القطبين المتجاذبين في التاريخ من أثر فيه خلل، وبصمات لطمس حادث جلل، ويرى كيف تصدّعت وحدة المسلمين من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله خاتم النبيّين، حيث حكم على آله مَن كان يرى أن لهم الحقّ في الحكم عليه باعترافه[1]، لكنها الأهواء وخطل الآراء، وهم فيما يرون ويروون، أشعلوا فتيل الفتنة، فكانت الهنات الّتي صدّعت القناة من بعض الذوات، ثمّ كان لكلّ طائفة وفريق، دعوة وحجة، محقة كانت أو غير محقة، فكادت تضيع معالم الإهتداء، الّتي تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله عليها فقال: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها)[2] وكانت نتيجة تزاحم الرجال على نهب تراث أهل بيته، وتعدى بهم الإعتداء بعد سلبهم سلطانه، أن هدّدوا بإحراق أهل بيته،

(١) قال عمر لابن عباس في محاورة جرت بينهما وقد أُعطي - يعني عليّاً - ما لم يعطه أحد من آل النبيّ صلى الله عليه وآله، ولولا ثلاث هنّ فيه ما كان لهذا الأمر من أحد سواه (موسوعة ابن عباس ج ٢ من الحلقة الأولى).

(٢) في المجازات النبوية للشريف الرضي: ٤٤٣ تحقيق طه محمّد الزيني برقم ٣٥٩: ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (قد تركتهم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعد ي إلاّ هالك).ومثله في سنن ابن ماجة ١: ١٦ ومستدرك الحاكم للنيسابوري ١: ٩٦ والسنة لابن أبي عاصم: ١٩ ومعجم الطبراني الكبير ١٨: ٢٠٧ ط الموصل.

الإعتداء بعد سلبهم سلطانه، أن هدّدوا بـإحراق أهـل بيتـه، وحرمـانهم ابنته وبضعته ميراثها من أبيها، تمادياً في الغـي، واستـضعافاً مـنهم لابـن عمه. وجرت خطوب لا تزال لها ندوب تدمى منها القلوب، فوضـعت أحاديث مكذوبة ، وكثرت القالة عليه كما أخبر صلى الله عليه وآله من قبل حيث قـال: (ألا فقد كثرت عليَّ القالة ألا ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار)[1].

ولمّا كان طالب الحقّ (سنّياً كان أو شيعياً) ليس له اطّلاع على ما جـرى في تاريخ تلك الحقبة، أو كانـت معرفتـه مـن خـلال المـوروث (هـذا مـا وجدنا عليه آباءنا) لذلك رأيت لزاماً عليَّ أن أبحث لـه موضـوع خطبـة فدك من طريق السبيل الأقوم، وهو نبذ كلّ ما أنفـرد بـه كـلٌّ مـن طـرفي النزاع، والأخذ بما اتفقا على روايتـه، لأنّ ذلـك يزيـدنا إيمانـاً وإطمئنانـاً ويقيناً، بأن الأمر كما رووه معـاً، لا كـما رواه كـلٌّ عـلى انفـراد، فـاجتماع كلمتهم سُوى، على غير ميعاد مع خُلف هوى، يكون هو الطريقـة المـثلى في نشدان الحقيقة لان في السنّة كما هو في الشيعة أيضاً تطرف بين القطبين المتجاذبين فمن أقصى الشمال إلى أقصى اليمين وفي هؤلاء وأولئـك صـح ورود (هلك فيَّ اثنان محبٌّ غال وعدوٌ قال) وهذا ما عاشته الأمة طـوال القرون، يتناظرون غضابا، ويتنافرون أحزاباً، وكأنّهم لا يخشون حـساباً، ولا شك إنّه كان في أولئك وهؤلاء بين ذَيّن وذَيّن نمرقـة وسـطى تقـول

---

(١) الكافي ١:٦٢ باب اختلاف الحديث.وبلفظ: (من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّا مقعده من النار) أخرجه في راموز الأحاديث ص ٤٤١ ط الأستانه، عن ثمانية وثلاثين راوياً عن سبعة وستين مصدراً.

باعتدال، فإليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي، وهؤلاء يفيئون الى الحقّ، حين يقولون ما يعتقدون انّه الحقّ. لا يبغون عنه بَدلاً. ومن أحسن ممّن دعا الى الحقّ قولاً وعملاً.

كما لا شك ان سلوك هكذا سبيل دون بقية الطرائق هو أقوم وأبعد عن خطر التهمة، وأقرب الى جمع الكلمة، ولم شَعَث الأمة بعد كشف غياهب الظلمة، دونما تجنٍّ أو تثريب، وهو طريق الى التقريب.

وإنّما فضّلت هذا السبيل لأنّي جربّته من قبل فيما كتبت أول سطر فيما بحثت ونشرت. فهو طريق سوي، وصراطه مستقيم، وحجته دامغة، وأعلامه قائمة، ليس فيه محاباة ولا مداجاة، فالإذعان للحقّ أولى من التعصب للباطل لك أو عليك، فإن الحقّ أحقّ أنْ يتّبع، وفي موضوع هذه الرسالة الّتي ليس لي فيها من جهد سوى جمع بعض النصوص الّتي لا يتطرق إليها الريب من الفريقين، حيث تتفق الرواية وتوثقها الدراية، قد أخذت على نفسي أن لا أحيد عن ذلك السبيل الأقوم ان شاء الله تعالى وأنا أتلو قوله تعالى: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِّ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[1].

---

(١) يوسف: ١٠٨.

ما هو المنهج الذي لا عوج فيه ؟

التزاماً بما قدمت إيضاحاً عن سبيلي الّتي أدعوا إليها أبناء المسلمين جميعاً، فقد كان لزاماً أن أوضح منهجي في هذه الرسالة، وما هي الأبحاث الّتي سأذكرها. وقد رأيت اختصاراً مفيداً أن يكون المنهج في هذه الرسالة مشتملاً على مقدّمة استعرض فيها المعاني اللغوية لمفردات العنوان، لئلا يبقى حوار الخرسان مع الإنسان كحوار الطرشان.

ثمّ أربعة أبواب يشتمل كلّ باب على موضوع يخصه وهي كما يلي:

الباب الأوّل: وفيه ما يلزمنا الوقوف عليه من جنايات في التاريخ وما يجب إنقاذه.

الباب الثاني: في الصديقية ومَن هو أحقّ بها؟ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: في صدّيقية فاطمة الزهراء عليها السلام بعد تمهيد في معناها.

المبحث الثاني: في صدّيقية السيدة عائشة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: في صدّيقية أبي بكر رضي الله عنه.

المبحث الرابع: في صدّيقية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

الباب الثالث: في مصادر خطب الزهراء عليها السلام وذلك في ثلاثة مباحث بعد التمهيد:

المبحث الأوّل: مصادر النص عند الشيعة.

المبحث الثاني: مصادر النص عند السنّة.

المبحث الثالث: صور النصوص المختارة.

الباب الرابع: في توثيق النصوص، ويشمل المباحث التالية:

المبحث الأوّل: تعدد الأسانيد.

المبحث الثاني: روعة الأسلوب.

المبحث الثالث: قوّة الحجة القارعة.

الخاتمة: في أدب الحجاج مع أهل الإعوجاج وترك اللجاج.

وقد احتطت - والاحتياط حسن في مثل هذا المقام- إذ نقلت النصوص من مصادرها المطبوعة مصورة حتى تصوير غلاف الكتاب المطبوع، لئلا يقول طاعن في قلبه مرض، ليغطى الجوهر بالعرَض، إنّي راجعت الكتاب (المصدر) فلم أجد ما تزعمون، وفي تعدّد الطبعات الحديثة، نجد بعض التزويرات الخبيثة، وقد ازداد الأمر تفاقماً في شيوع التزوير، حتى في بعض مؤسسات الإصدار للأقراص الكمبيوترية.

وللتدليل على ذلك فليلاحظ الإصدار الأوّل (للمكتبة الألفية) حيث يوجد حديث الثقلين بنصه وفصّه كما هو في مصادره المطبوعة المنقول عنها، ولكن في الإصدارات المتأخرة بعنوان (المكتبة الألفية) فراجع الحديث المشار إليه، تجد اللعب ممّا يثير العجب، في تحريف للفظ (الثقلين) وجملة (لن تضلوا) أمّا بحذفها كلها وأمّا جعلها في سياقة جملة ليس لها اتساق معها، ممّا يفقد الحديث حجته وجِدَته، وإلى الله المشتكى.

أمّا شواهد التحريف في طبعات الكتاب الواحد، فقد أشرت في كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط) إلى ما جرى في كتاب (مروج الذهب) للمسعودي في اعتذار عروة بن الزبير عن عزم أخيه عبد الله على تحريق بني هاشم حين حبسهم مرة في قبة الشراب بزمزم، ومرة حبسهم في شعب أبي طالب، وهددهم بالإحراق، ان لم يبايعوه وقد نجوا من شره حين أتاهم أبو عبد الله الجدلي ومن معه منجداً من قبل المختار، فاستنقذوهم وأزالوا الحطب عن الباب وأخرجوهم سالمين، وخاض الناس في ذلك ناقدين وناقمين، فكان عروة يحتج بما صنعه عمر مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن كان معه في بيته وفاطمة عليها السلام وبنيها في البيت، وعمر يهددهم باحراق البيت عليهم إن لم يخرجوا ويبايعوا أبا بكر، كيف جرى التلاعب في طبعات الكتاب كما ذكرت في الملحق الأوّل في آخر الكتاب الآنف الذكر حول كتاب (المعارف) لابن قتيبة، ممّا هو شاهد في المقام على ما يرام. ولو أردت استيفاء البحث في جرائم الأقلام، والتزييف في الأقراص الكمبيوترية، بل وحتى في تصوير بعض الأفلام، لطال المقام.

ولا أظن أنّ القراء لم يروا ولم يسمعوا ما جرى في حوارات القناة التي تسمى (المستقلة) والتي كان الأولى بها أن تسمى (المستغِلَة)- بالغين المعجمة سواء كانت بالفتح أو بالكسر- فهي فيما أثارته من خصام، على غير هدى من أساليب الجدل في علم الكلام، حتى تجاوز الحال في النقض

والإبرام، إلى اختلاط الحابل بالنابل، ومباراة الشاهق بالصاهل. فكانت المصادر الّتي يعرضها المحاور المناور، فيها تحريف عند العرض، أوتلبيس وتدليس. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

تمهيد

في المعاني اللغوية لمفردات العنوان

صحيح أنّ خير الكلام ما قلّ ودلّ، وهذا من أساليب حسن البيان في علوم البلاغة . وصحيح أنّ العصر الحاضر تخطى الحواجز بالتقنيات فاختصر حتى أنماط كيفية الحياة والتعايش معها. وصحيح انّ الناس لايستسيغون الإسراف والفضول سواء كان في الكلام أو في الكتاب.

كلّ هذا لا أمنعه ولا أدفعه، ولكن مَن كان هادفاً إلى إيضاح معنىً لا تستوفيه لفظة واحدة، ولا يتم إلاّ بجملة واحدة أو أكثر، فلا لوم عليه بعد أن يجد له في الكتاب المجيد في جواب موسى عليه السلام ما فيه من التسديد، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[1] ففي الآية المباركة (دليل على جواب السؤال بأكثر ممّا سئل لأنّه قال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ذكر معاني أربعة: وهي اضافة العصا إليه، وكان حقّه أن يقول عصا، والتوكؤ، والهش، والمآرب المطلقة، فذكر موسى عليه السلام من منافع عصاه عُظمها، وجمهورها، وأجمل سائر ذلك)[2].

---

(١) طه: ١٧ـ ١٨ .

(٢) تفسير القرطبي ١١ : ١٨٦ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

ولّما كنت بصدد استيفاء ما في هذه الرسالة بجميع معانيها ومطاويها، وقل بجميع حذافيرها من خلال مفردات العنوان، ولا أظن قارئاً يجهل أن يكون معنى العنوان يحكي المعنون، فلا لوم عليَّ لو سميّت الرسالة باسم: **(نهاية التحقيق، فيما جرى في أمر فدك للصدّيقة والصدّيق، بالنص والتوثيق)** والآن إلى بيان ما أجملت في العنوان من معاني الأسماء في اللغة:

١ - (نهاية) هي الغاية وآخر الشوط والمنتهى.

٢ - (التحقيق) هو تفعيل طلب الحقّ، يقال حقق الشئ تحقيقاً أوجبه وأكّده وأثبته.

٣ - (فدك) اسم قرية من قرى خيبر فتحت صلحاً، ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فهي خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيأتي لها حديث في نصوص المصادر، وما جرى لها وعليها عبر تاريخها حتى القرن الثالث.

٤ - (الصدّيقة) مؤنث.

٥ - (الصدّيق) وهو الدائم التصديق (قال الراغب: فالصدّيق من كثر منه الصدق، وقيل: بل لا يكذب قط)[1]. وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعودّه الصدق، وقيل: لمن صدّق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله. قال تعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾**[2]

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٧٨ ط الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.

(٢) مريم: ٤١.

وقال: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[1] وقال: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[2] فالصدّيقون هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة على ما بيّنت في الذريعة إلى مكارم الشريعة) وحسبنا بهذا تعريفاً ولننظر ماذا عند المفسرين في ذلك:

قال الطبري[3] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ۞ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً﴾[4]... والصديقون هم جمع صدّيق، واختلف في معنى الصدّيقين: فقال بعضهم: الصدّيقون أتباع الأنبياء الّذين صدّقوهم واتّبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم، فكأن الصدّيق فعيل على مذهب قائلي هذه المقالة من الصدق كما يقال رجل سكير من السكر إذا كان مدمناً على ذلك وشرّيب وخمّير.

وقال آخرون: بل هو فعيل من الصدقة، وقد روي عن رسول الله ﷺ بنحو تأويل من قال ذلك، وهو ما حدّثنا به سفيان بن وكيع... عن ضباعة بنت الزبير وكانت تحت المقداد عن المقداد قال قلت للنبيّ ﷺ شئ سمعته منك شككت فيه، قال: إذا شك أحدكم في الأمر فليسألني

---

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) تفسير الطبري ٥: ١٦٢ ط دار الفكر بيروت.

(٤) النساء: ٦٩ ــ ٧٠.

عنه، قال: قلت قولك في أزواجك إنّي لأرجو لهنّ من بعدي الصدّيقين، قال: من تعنون بالصدّيقين؟ قلت: أولادنا الّذين يهلكون صغاراً.

قال: لا ، ولكن الصدّيقين هم المصدّقون.

قال الطبري: وهذا خبر لو كان إسناده صحيحاً لم نستجز أن نعدوه إلى غيره؟ ولو كان في إسناده بعض ما فيه، فإذا كان ذلك كذلك، فالّذي هو أولى بالصدّيق أن يكون معناه المصدّق قوله بفعله، إذ كان الفعيل في كلام العرب إنّما يأتي إذا كان مأخوذاً من الفعل بمعنى المبالغة، إمّا في المدح وإمّا في الذم، ومنه قوله جل ثناؤه في صفة مريم: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[1] وإذا كان معنى ذلك ما وصفنا كان داخلاً من كان موصوفاً بها قلنا في صفة المتصدقين والمصدّقين.

وقال أيضاً[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره وأُمّ المسيح صدّيقة، والصدّيقة الفعيلة من الصدق، وكذلك قولهم فلان صدّيق فعيل من الصدق، ومنه قوله تعالى ذكره: ﴿وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[3] وقد قيل: إنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إنّما قيل له الصدّيق لصدقه، وقد قيل: إنّما سمي صدّيقاً لتصديقه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها.

---

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) تفسير الطبري٦: ٣٦٥ ط دار الفكر بيروت.

(٣) النساء: ٦٩.

وعلى المعنى التصديقي للصديقية ورد في حقّ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث أنّها صدّيقة كما في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ينجو من النار وشدة تغيّظها وزفيرها وقرنها وحميمها من عادى عليّا عليه السلام وترك ولايته وأحب من عاداه. فقالت ميمونة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله: والله ما أعرف من أصحابك يا رسول الله من يحب عليّاً إلاّ قليلاً منهم، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: القليل من المؤمنين كثير، ومن تعرفين منهم؟ فقالت: أعرف أبا ذر والمقداد وسلمان وقد تعلم أنّي أُحبّ عليّاً عليه السلام بحبك إياه ونصيحته لك، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت أنت (إنّك – خ ل) صدّيقة امتحن الله قلبك للإيمان[1].

ولا غرابة في الخبر بعد أن نقرأ في البخاري في كتاب الأدب، ومسلم في كتاب البرّ ومسند أحمد[2] وموارد أُخر قوله صلى الله عليه وآله: (ما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله عزّوجلّ صدّيقاً، الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقاً).

---

(١) كتاب جعفر بن محمّد بن شريح الحضرمي ــ وهو من الأصول الستة عشر الّتي وصلت إلينا نسختها راجع ص ٢١٧ تحـ المحمودي.

(٢) مسند أحمد ١: ٣٩٣ ط مصر الأولى و ٥: ٢٣١ و٢٧٥ و٣٤٣ تحـ شاكر ـــ والحديث في الترمذي والجامع الصغير وغيرهما.

وبعدما نقرأ قوله ﷺ: (من قرأ ألف آية... كتب يوم القيامة مع النبيين والصدّيقين)[1].

وبعدما قال عن ابنه إبراهيم عليه السلام: (ولو عاش لكان صدّيقاً نبيّاً)[2]. وقوله: (إنّ له في الجنّة من يتم رضاعه وهو صدّيق)[3]. والشواهد كثيرة على معنى الصدّيقية الّذي هو منبثق من الصدق وأجلى مظاهره التصديق. قال يحيى بن الحسن ابن البطريق: إعلم ان الصدق خلاف الكذب، والصدّيق الملازم للصدق الدائم في صدقه، والصدّيق: من صدّق عملُه قوله، ذكر ذلك أحمد بن فارس اللغوي[4]، وذكره أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري[5]. وإذا كان هذا هو معنى الصديق فالصدّيق أيضاً ينقسم ثلاثة أقسام: **١ - صدّيق يكون نبيّاً. ٢ - صدّيق يكون إماماً. ٣ - وصدّيق يكون عبداً صالحاً لا نبيّ ولا إمام.**

فأمّا ما يدلّ على أوّل الأقسام فقوله سبحانه وتعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾**[6] وكل نبيّ صدّيق، وليس كلّ صدّيق نبيّاً، وقوله تعالى: **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾**[1].

---

(١) مسند أحمد ٣: ١٣٨.

(٢) سنن ابن ماجة في الجنائز ومسند أحمد ٣: ١٣٨.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٨٣.

(٤) المجمل في اللغة.

(٥) في كتاب الصحاح/ ١٥٠٦: والصدّيق مثال الفسِيّق، الدائم التصديق ويكون الذي يُصدّق قوله بالعمل.

(٦) مريم: ٥٦.

وأمّا ما يدلّ على كون الصدّيق إماماً فقوله تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾[2] . فذكرالنبيين ثم ثنى بذكر الصدّيقين، لأنّه ليس بعد النبيين في الذكر أخص من الأئمّة ويدلّ عليه أيضاً الأخبار الواردة بأنّ الصدّيقين ثلاثة: حبيب وحزقيل وعلي، وهو أفضلهم، فلمّا ذكر علياً عليه السلام مع هذين المذكورين دخل معهما في لفظة الصدّيقين، وهما ليسا بنبيّين ولا إمامين، فأراد إفراده عليه السلام عنهما بما لا يكون لهما وهي الإمامة، فقال صلى الله عليه وآله: وهو أفضلهم. فليس في لفظة (الصدّيق) بينهم تفاضل، لأنّه صلى الله عليه وآله قال: (الصدّيقون ثلاثة) فقد استووا في اللفظ، فأراد الإخبار عن اختلافهم في المعنى وهو استحقاق الإمامة فقال: وهو أفضلهم، تنبيهاً على كونه عليه السلام صدّيقاً إماماً[3].

٦ - (النص) يقال: نصّ الشيء ينصّه نصّاً رفعه وأظهره.

٧ - (التوثيق) من قولهم: وثق الأمر توثيقاً أحكمه.

---

(١) يوسف:٤٦ .

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) عمدة عيون صحاح الأخبار للحافظ ابن البطريق/ ٢٧٩ تحـ الشيخ مالك المحمودي والشيخ إبراهيم البهادري.

الباب الاول

وفيه نقاط

النقطة الأولى

قد حفلت مصادر الحديث في تراث الفريقين من الشيعة والسنّة، بأحاديث حول لقب الصدّيقة والصدّيق، والإختلاف في تعيين المرموز إليهم والمراد بهم، ومن هم أصحاب ذلك اللقب؟ والسؤال الّذي يفرض نفسه، مَن هو المقصود باللقب؟ هل هو واحد أم متعدد؟ وهل ثمة تعتيم وتضبيب حول أصحابه؟ فثارت لذلك الشكوك من أجل ما نحا به كلّ فريق وجهةً هو مولّيها، فقالت الشيعة: إنّ الصدّيقة هي فاطمة الزهراء عليها السلام وإنّ الصدّيق هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت السنّة: إنّ الصدّيقة هي عائشة بنت أبي بكر وأبوها هو الصدّيق رضي الله عنه.

ولدى إلقاء نظرة تحقيق على أحاديث الصدّيقة والصدّيق لدى الفريقين نجد التراث السنّي في هذا الجانب واهي العماد لعيوب في الإسناد، كما يقوله علماء التراث في الجرح والتعديل وسياتي بيان ذلك. وإذا أمعنّا النظر في الأحداث الّتي مرّت في الصدر الأوّل من تاريخ المسلمين نجد هناك عملية تزوير منظّمة طالت الخلفاء وأتباعهم، ونالت أهل البيت وأشياعهم، وكان معاوية هو الّذي أسّس مدرستها وتخرّج منها وعنها نماذج موبوءة ديناً، وأولئك هم الّذين أعانوه على تثبيت سلطانه بالقهر والغلبة لمن أبى، وبالعطاء والحباء لمن بايع وشايع، فإلى قراءة شئ عن مدرسة الكذب.

النقطة الثانية: مدرسة الكذب والأحاديث الموضوعة

لقد روى ابن أبي الحديد المعتزلي[1] عن كتاب (الأحداث) للمدائني فقال: وروى أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الأحداث) قال: (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة)[2] وقبل الاستمرار مع المدايني في روايته، نود أن نلفت نظر القارئ إلى انّ عمّال معاوية الّذين كتب لهم جميعاً هم من نماذج عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن سمية وسمرة بن جندب وأضرابهم لعنهم الله ، ممّن استبدلوا الدين بالدنيا، وأراقوا دماء المسلمين بالعرَض الأدنى، فقتلوا على الظنة والتهمة، وأعلنوا سبّ الإمام أمير المؤمنين

(١) في شرح النهج ١١: ٤٤ ــ ٤٦ط تحـ أبو الفضل .

(٢) قال الجاحظ في الرسالة الحادية عشرة من رسائله جمع ونشر حسن السندوبي ط الأولى بمصر سنة ١٣٥٦ المطبعة الرحمانية:

(... كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحرب، وتخلية الأمور عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلونهم عليه، فعندها استبدّ معاوية على الملك، واستبدّ على بقية الشورى، وعلى جماعة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين في العام الّذي سمّوه (عام الجماعة) وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الّذي تحولّت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً ، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق، ثمّ ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا، حتى ردّ قضية رسول الله صلى الله عليه وآله ردّاً مكشوفاً، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر، مع اجماع الأمة على ان سمية لم تكن لأبي سفيان فراشا، وإنّما كان بها عاهراً، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفّار... فهذه أول كفرة كانت من الأمة، وعلى ان كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره.

عليه السلام على منابر المسلمين، ولا غضاضة علينا لو لعناهم لعناً صريحاً، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد لعنهم وذلك في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وآله قال:

(من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أدخله الله نار جهنم وله عذاب عظيم)(1) فأُولئك اللعناء هم الّذين كتب إليهم اللعين معاوية وإلى بقية عمّاله نسخة واحدة كما روى المدائني، فإلى قراءة ما رواه ابن أبي الحديد عن المدائني قال: وروى أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدةً إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة، وعلى كلّ منبر، يلعنون عليّاً ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة، لكثرة مَن بها من شيعة عليّ عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيّام عليّ عليه السلام فقتلهم تحت كلّ حَجَر ومَدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسَمَل العيون، وصَلَبهم على جُذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألاّ يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا مَن قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل

(1) مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٣٠ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح وغير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة. وللمزيد من الوقوف على المصادر راجع كتابنا عليّ إمام البررة ١: ١٦٠ ــ ١٦٤.

ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنُوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكِساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجئ أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عمّاله إنّ الحديث في عثمان قد كَثُر وفَشَا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقِضٍ له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليَّ وأقرُّ لعيني، وأدحضُ لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ إليهم من مناقب عثمان وفضله . فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشاعوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلّمي الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بناتِهم ونساءهم وخدمَهم وحشمَهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: اُنظروا مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أُخرى: مَن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدِمُوا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى إنّ الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه مَن يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتُمنّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّةً القراء المراءون، والمستضعفون، الّذين يظهرون الخشوع والنُّسُك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقرّبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الّذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها، ولا تدينُوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولَي عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك

والصلاح والدين ببغض عليّ وموالاة أعدائه، وموالاة مَن يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضّ من عليّ عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له حتى إنّ إنساناً وقف للحجّاج -- ويقال إنّه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب -- فصاح به: أيُّها الأمير إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجّاج، وقال: لَلَطف ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيّام بني أمية، تقرُّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يُرغمون به أنوف بني هاشم.

هذا ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن كتاب الأحداث للمدائني، وعقب عليه بما ذكره نفطويه في كتابه نحوه[1]. وقد أثار العجب حين ذكر بعد هذا إفتراءاً عجيباً، وذلك حين طعن الشيعة في الصميم فبهتهم بأنّهم أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل، وإن تعجب فعجب قوله في ما أورده في شرح النهج وإليك ذلك في النقطة.

(١) لقد ذكر أحمد أمين في فجر الإسلام كتاب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألاَ يجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة كما مرّ أعلاه.

الثالثة: قال: فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث

واعلم أنّ أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنّهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم، حملهم على وضعها خصومهم مثل حديث (السطل) وحديث (الرّمانة) وحديث غزوة البئر الّتي كان فيها الشياطين، كما زعموا بـ (ذات العلم) وحديث غَسل سلمان الفارسي، وطيّ الأرض، وحديث الجمجمة ، ونحو ذلك. فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو (لو كنت متخذاً خليلاً)، فإنّهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء، ونحو سدّ الأبواب فإنّه كان لعليّ عليه السلام فقلبته البكرية إلى أبي بكر، ونحو (ائتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان). ثمّ قال: (يأبّى الله تعالى والمسلمون إلاّ أبا بكر)، فإنّهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه: (ائتوني بدواةٍ وبياض أكتب لكم ما لا تضلّون بعده أبداً) ، فاختلفوا عنده. وقال قوم: منهم: لقد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله، ونحو حديث: (أنا راضٍ عنك فهل أنت عنّي راضٍ!)، ونحو ذلك. فلمّا رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، فوضعوا حديث الطوق الحديد الّذي زعموا أنّه فتله في عُنق خالد، وحديث اللوح الّذي زعموا أنّه كان في غدائر الحنفية أم محمّد، وحديث: (لا يفعلنّ خالد ما أمر به)، وحديث الصحيفة الّتي علّقت عام الفتح بالكعبة، وحديث الشيخ الّذي صعد

المنبر يوم بويع أبو بكر، فسبق الناس إلى بيعته، وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم، وعلى أدون الطبقات فيهم، فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في عليّ وفي ولديه، ونسبوه تارة إلى ضعف العقل، وتارة إلى ضعف السياسة، وتارة إلى حبّ الدنيا والحرص عليها. ولقد كان الفريقان في غنية عمّا اكتسباه واجترحاه، ولقد كان في فضائل عليّ عليه السلام الثابتة الصحيحة، وفضائل أبي بكر المحقّقة المعلومة ما يغني عن تكلّف العصبية لهما، فإنّ العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوي والمقابح.

ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحبّ العصبية وأن يجرينا على ما عوّدنا من حبّ الحقّ أين وجد وحيث كان، سخط بذلك من سخط، ورضي به من رضي بمنّه ولطفه»[1].

وبهذا الدعاء ختم ابن أبي الحديد كلامه وبلغ مرامه، ونحن أيضاً ندعو بدعائه، ولا نطيل الوقوف عند كلامه، وحسبنا أن أرينا القارئ تناقضه، فبينا هو قد ذكر أولاً عن المدائني أنّ معاوية هو الّذي حمل الناس على الكذب في الفضائل وكتب إلى عمّاله نسخة واحدة...، وذكر من قهره واستذلاله للشيعة وقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، إذا به يرمي الشيعة بأنّهم هم أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل! إنّه أمر عجيب ومريب!

(١) شرح النهج ١١: ٤٨ ــ ٥٠.

ولّما كان قد شرح كلاماً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر. ونحن نرضى بما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، فهو الحكم الفصل الّذي ينير لنا السبيل في تمييز الطيب من الخبيث، والخبر الصادق من الكاذب في الحديث، فإلى قراءة ذلك، ونستتبعه بقراءة ما شرح به ابن أبي الحديد، ليتضح لنا، كيف نتعامل مع مرويّات الأحاديث النبوية، فضلاً عن مرويات التاريخ الّتي عراها من الدوافع السياسية ما عراها.

النقطة الرابعة: صفحات من شرح نهج البلاغة

الأصل: ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال عليه السلام: **إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)). وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحُدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَال لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلاَمِ، لاَيَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله رآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عليه السلام، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ**

وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إِلاَّ مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَهذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لاَيَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللهِ، وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ، خَوْفاً للهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ، وَلَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَىءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلاَمٌ خَاصٌّ، وَكَلاَمٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ بِهِ، وَلاَ مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَة بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ أَوْ الطَّارِىءُ، فَيَسَأَلَهُ عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِي مِنْ ذلِكَ شَىءٌ إِلاَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ.

فَهذِهِ وَجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلاَفِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

الشرح : الكلام في تفسير الألفاظ الأصولية، وهي العامّ والخاصّ، والناسخ والمنسوخ، والصدق والكذب، والمحكَم والمتشابه، موكول إلى فنّ أُصول الفقه، وقد ذكرناه فيما أمليناه من الكتب الأصولية، والإطالة بشرح ذلك في هذا الموضع مستهجَن .

قوله عليه السلام : (وحفظاً ووهَماً) الهاء مفتوحة، وهي مصدر وَهِمتُ، بالكسر، أوْهُم، أي غلطت وسهوت، وقد روى: (وَهْماً) بالتسكين، وهو مصدر وهَمت بالفتح أوْهُم، إذا ذهب وهْمُك إلى شئ وأنت تريد غيره، والمعنى متقارب . وقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : (فليتبوّأ مقعده من النار) كلامٌ صيغته الأمر، ومعناه الخبر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾[1] وتبوّأت المنزلَ: نزلته، وبوّأتُه منزلاً: أنزلته فيه.

والتأثّم: الكفّ عن موجب الإثم، والتحرّج مثله، وأصله الضِّيق، كأنّه يضيق على نفسه . ولقَفَ عنه: تناول عنه، وجنّب عنه: أخذ عنه جانباً.

و (إنْ) في قوله: (حتى إنْ كانوا ليحبّون) مخففة من الثقيلة، ولذلك جاءت اللام في الخبر. والطارئ ، بالهمز: الطالع عليهم، طَرَأ أي طلع، وقد روى: (عللهم)، بالرفع عطفاً على (وجوه)، وروى بالجرّ عطفاً على (اختلافِهم).

---

(١) مريم: ٧٥.

[ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاة محمد ﷺ]

واعلم ان هذا التقسيم صحيح، وقد كان في أيّام الرسول ﷺ منافقون، وبقوا بعده، وليس يمكن أن يقال: إنّ النفاق مات بموته، والسبب في استتار حالهم بعدَه أنّه ﷺ كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فإنّه مشحون بذكرهم، ألا ترى أنّ أكثر ما نزل بالمدينة من القرآن مملوء بذكر المنافقين، فكان السبب في انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هو القرآن، فلما انقطع الوحي بموته ﷺ لم يبقَ من يَنعَى عليهم سقطاتِهم ويوبخّهم على أعمالهم، ويأمر بالحذَر منهم، ويجارهم تارةً، ويجاملهم تارة، وصار المتولّي للأمر بعده يحمِلُ الناس كلّهم على كاهل المجاملة، ويعاملهم بالظاهر، وهو الواجب في حكم الشرع والسياسة الدنيوية، بخلاف حال الرسول ﷺ فإنّه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف، ألا ترى أنّه قيل له: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً﴾[1]! فهذا يدلّ على أنّه كان يعرفهم بأعيانهم، وإلاّ كان النهي له عن الصلاة عليهم تكليف ما لا يطاق، والوالي بعده لا يعرفهم بأعيانهم، فليس مخاطباً بما خُوطب به ﷺ في أمرهم، ولسكوت الخلفاء عنهم بعده خَمَلَ ذكرهم، فكان قُصارى أمر المنافق أن يُسِرّ ما في قلبه، ويعامل المسلمين بظاهره، ويعاملونه بحسب ذلك. ثمّ فُتحت عليهم البلاد، وكثرت الغنائم، فانشغلوا بها عن الحركات الّتي كانوا يعتمدونها أيّام رسول الله، وبعثهم الخلفاء مع

---

(١) التوبة: ٨٤.

الأمراء إلى بلاد فارس والروم، فألهتهم الدنيا عن الأمور الّتي كانت تُنقَم منهم في حياة رسول الله ﷺ، ومنهم مَن استقام اعتقاده، وخلصت نيّته، لّما رأوا الفتوح وإلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمة، والكنوز الجليلة إليهم، فقالوا: لو لم يكن هذا الدين حقّاً لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه. وبالجملة لّما تَركُوا تُرِكُوا، وحيث سُكِت عنهم سكَتوا عن الإسلام وأهله، إلاّ في دنية خفيّة يعملونها، نحو الكذب، الّذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه خالط الحديث كذبٌ كثيرُ، صدر عن قومٍ غيرِ صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلال وتخبيط القلوب والعقائد، وقَصَدَ به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيوي. وقد قيل: إنّه افتُعِل في أيّام معاوية خاصّة حديث كثير على هذا الوجه، ولم يسكت المحدّثون الراسخون في علم الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيراً من هذه الأحاديث الموضوعة، وبيّنوا وضعها، وأنّ رواتها غير موثوق بهم، إلاّ أنّ المحدّثين إنّما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة، ولا يتجاسرون في الطعن على أحدٍ من الصحابة لأنّ عليه لفظ (الصحبة) على أنّهم قد طعنوا في قومٍ لهم صُحبة كبسر بن أرطاة وغيره.

فإن قلت: من هم أئمّة الضلالة، الّذين يتقرّب إليهم المنافقون الّذين رأوا رسول الله ﷺ، وصحبوه للزور والبهتان؟ وهل هذا إلاّ تصريح بما تذكره الإمامية، وتعتقده!

قلت: ليس الأمر كما ظننت وظنّوا، وإنّما يعني معاوية وعمرو بن العاص ومَن شايعهما على الضلال، كالخبر الّذي رواه مَن رواه في حقّ معاوية: (اللّهمّ قِهِ العذاب والحساب، وعلّمه الكتاب)، وكرواية عمرو بن العاص تقرّباً إلى قلب معاوية: (إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين)، وكرواية قوم في أيّام معاوية أخباراً كثيرة من فضائل عثمان، تقرّباً إلى معاوية بها، ولسنا نجحَدُ عثمان وسابقته، ولكنّا نعلم أنّ بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، كخبر عمرو بن مرّة فيه وهو مشهور، وعمرو بن مرّة ممّن له صحبة، وهو شامي.

[ذكر بعض ما مُني به آل البيت من الأذى والاضطهاد]

وليس يجب من قولنا: إنّ بعض الأخبار الواردة في حقّ شخص فاضل مفتعلة أن تكون قادحة في فضل ذلك الفاضل، فإنّا مع اعتقادنا أنّ عليّاً أفضل الناس، نعتقد أنّ بعض الأخبار الواردة في فضائله مفتعل ومختلق.

وقد روي أنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قُبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثمّ تداولتها قريش، واحدٌ بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحبُ الأمر

في صعود كئود، حتى قتِل، فبويع الحسن ابنه وعُوهد ثمّ غدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليلُ حقُّ قليل. ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثمّ لم نزل - أهل البيت - نُستذل ونُستضام، ونُقصى ونُمتهن، ونُحرم ونُقتل، ونُخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، وكان عُظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظّنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن أونهب ماله، أو هُدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد، إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثمّ جاء الحجّاج فقتّلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظِنّة وتهمة، حتى إنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن يقال: شيعة عليّ، وحتى صار الرجل الّذي يذكر بالخير - ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً- يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سَلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنّها حقٌّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذبٍ ولا بقلّة ورع.

قلت: ولا يلزم من هذا أن يكون عليّ عليه السلام يسوءه أن يذكر الصحابة والمتقدّمون عليه بالخير والفضل، إلاّ أنّ معاوية وبني أمية كانوا يبنون الأمر من هذا على ما يظنّونه في عليّ عليه السلام من أنّه عدوّ من تقدّم عليه، ولم يكن الأمر في الحقيقة كما يظنّونه، ولكنّه كان يرى أنّه أفضل منهم، وأنّهم استأثروا عليه بالخلافة من غير تفسيقٍ منه لهم، ولا براءة منهم.

فأمّا قوله عليه السلام: (ورجل سمع من رسول الله شيئاً ولم يحفظه على وجهه فوهم فيه)، فقد وقع ذلك. وقال أصحابنا في الخبر الّذي رواه عبد الله بن عمر إن الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه: إنّ ابن عباس لّما روي له هذا الخبر، قال: ذَهَل ابن عمر، إنّما مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على قبر يهودي، فقال: إنّ أهله ليبكون عليه، وإنّه ليعذّب.

وقالوا أيضاً: إنّ عائشة أنكرت ذلك، وقالت: ذَهل أبو عبد الرحمن، كما ذهل في خبر قَلِيب بدر، إنّما قال عليه السلام: (إنّهم ليبكون عليه، وإنّه ليعذّب بجرمه).

قالوا: وموضع غلطه في خبر القَلِيب أنّه روى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وقف على قَليب بدر، فقال: (هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً)؟ ثمّ قال: (إنّهم يسمعون ما أقول لهم)، فأنكرت عائشة ذلك، وقالت: إنّما قال: (إنّهم

يعلمون أنّ الّذي كنت أقوله لهم هو الحقّ)، واستشهدت بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[1].

فأمّا الرجل الثالث، وهو الّذي يسمع المنسوخ ولم يسمع الناسخ، فقد وقع كثيراً، وكتب الحديث والفقه مشحونة بذلك، كالّذين أباحوا لحوم الحُمر الأهلية لخبر رووه في ذلك، ولم يرووا الخبر الناسخ .

وأمّا الرجل الرابع فهم العلماء الراسخون في العلم .

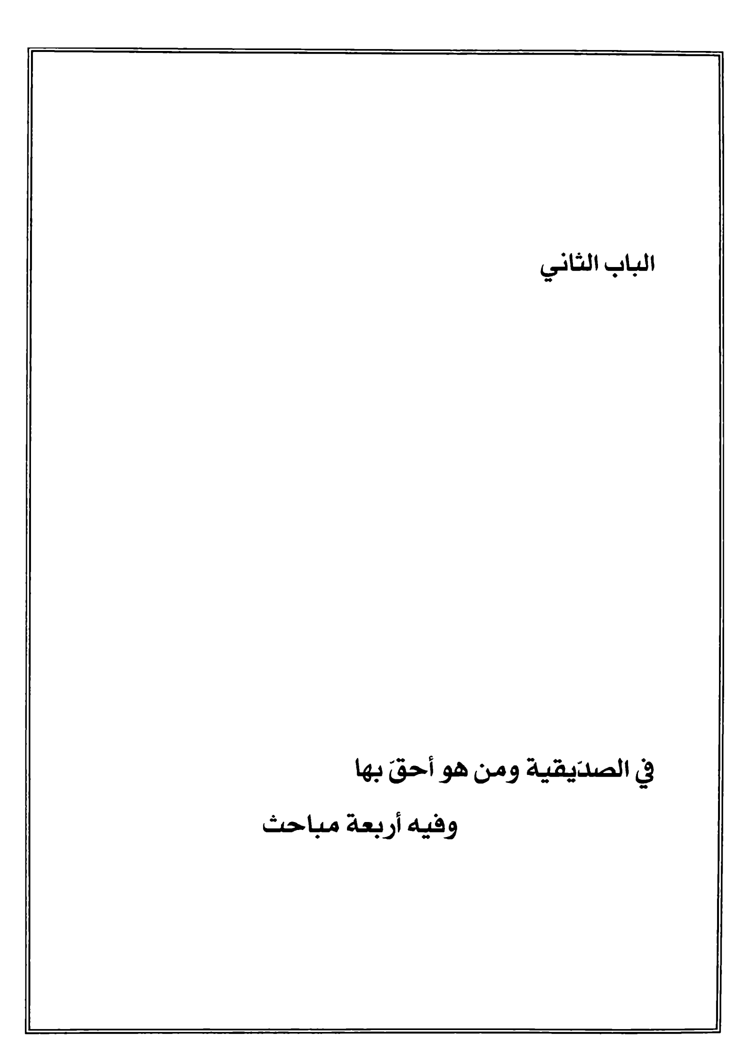
وأمّا قوله عليه السلام : (وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام له وجهان)، فهذا داخلٌ في القسم الثاني وغير خارج عنه، ولكنّه كالتنّوع من الجنس، لأنّ الوهم والغلط جنس تحته أنواع.

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مخصوصاً من دون أصحابه رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يطّلع أحدٌ من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن معاني القرآن وعن معاني كلامه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا لم يسأل ابتدأه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتعلم والتثقيف، ولم يكن أحدٌ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، بل كانوا أقساماً، فمنهم من يهابه أن يسأله، وهم الّذين يحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ فيسأله وهم يسمعون، ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمّة في النظر والبحث، ومنهم من كان مشغولاً عن طلب العلم وفهم المعاني، إمّا

(١) النمل: ٨٠ .

بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلّد الّذي يرى أنّ فرضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشّانئ الّذي ليس للدّين عنده من الموقع ما يضيّع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه، وأنضاف إلى الأمر الخاصّ بعليّ عليه السلام ذكاؤه وفطنته، وطهارة طينته، وإشراق نفسه وضوؤها، وإذا كان المحلّ قابلاً متهيّئاً، وكان الفاعل المؤثّر موجوداً، والموانع مرتفعة، حصل الأثر على أتمّ ما يمكن، فلذلك كان عليّ عليه السلام - كما قال الحسن البصري - ربانيّ هذه الأمة وذا فضلها، ولذا تسميه الفلاسفة: إمام الأئمّة وحكيم العرب.

انتهى ما في شرح النهج لابن أبي الحديد وبه تمام الباب الأوّل.



الباب الثاني

في الصدّيقية ومن هو أحقّ بها

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: في صديقية فاطمة الزهراء عليها السلام

بعد تمهيد في معنى الصدّيقية وبعضه مستلّ من كتابنا (عليّ إمام البررة) مع ما أضيف إليه، قلنا في الكتاب المذكور:

الفضيلة الثالثة: وهي كونها (صدّيقة)، ومعنى الصدّيق والصدّيقة هو من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، فوافق قولَه فعلُه، وطابق ظاهرَه باطنُه، ومنزلته دون النبيّ وفوق الشهداء والصالحين، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[1].

قال الآلوسي في تفسير الآية المذكورة في (روح المعاني): فالمنازل أربعة، بعضها دون بعض.

الأولى: منازل الأنبياء: وهم الّذين تمدّهم قوّة إلهية، وتصحبهم نفس في أعلى مراتب القدسية، ومثلهم كمن يرى الشئ عياناً من قريب، ولذلك قال تعالى في صفة نبيّنا صلّى الله عليه (وآله) وسلم: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[2].

والثاني: منازل الصديقين: وهم الّذين تأخروا عن الأنبياء عليهم السلام في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشئ عياناً من بعيد، وإيّاه عنى عليّ كرّم الله

(١) النساء: ٦٩.

(٢) النجم: ١٢.

وجهه حيث قيل له: هل رأيت الله تعالى؟ فقال: ما كنت لأعبد ربّاً لم أره. ثمّ قال: لم تره العيون بشواهد العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

والثالث: منازل الشهداء: وهم الّذين يعرفون الشئ بالبراهين، ومثلهم كمن يرى الشئ في المرآة من مكان قريب، كحال من قال: كأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزاً. وإيّاه قصد النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم بقوله: أعبد الله كأنّك تراه.

والرابع: منازل الصالحين: وهم الّذين يعلمون الشئ بالتقليد الجازم، ومثلهم كمن يرى الشئ من بعيد في مرآة، وإيّاه قصد النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم بقوله: فإن لم تكن تراه فإنّه يراك.

قاله الراغب، ونقله الطيبي وغيره[1].

وإذا عرفنا معنى الصدّيقية، وأنّها مساوقة في الكمال المتناهي في النبوة، إلاّ أنّها دونها في الرتبة، مع فارق آخر هو أنّ النبوة والرسالة لا تكون إلاّ في الرجال، لأنّ مبناها الدعوة والظهور، والنساء لهن الصون، وعليهن الحجاب، فلم تكن لهن رسالة ولا فيهن نبوّة، وإن ذهب بعضهم فأغرب وقال بنبوّة مريم عليها السلام بل وغيرها، وردّ ذلك عليه كما هو الحقّ.

---

(١) روح المعاني ٥: ٦٨ ط المنيرية.

وما تخيّل ذلك إلاّ من مخاطبة الوحي لها بالاصطفاء والاجتباء والتطهير، ولم يدرك أن ذلك يحصل للصدّيقين أيضاً كما يحصل للأنبياء عليهم السلام فقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1] لا يدل على نبوّتها، ولا غيره من خطاب روح الله القدس لها ومن حال اختصها به، إنّما كان ذلك تكريماً لها، وإعراباً عن مكانتها الصدّيقية، كما سمّاها بذلك في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2]. فسمّاها الله تعالى صدّيقة، ولم يسمّها رسولاً كما سمّى ابنها المسيح عيسى عليه السلام.

فالصدّيقيّة مقام سامٍ في الكمال لا يناله إلاّ من اختصه الله بفضله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

ولأجل هذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل من مريم عليها السلام، لأنّها كانت صدّيقة أيضاً، لاصطفاء الله تعالى لها مع أبيها وبعلها وابنيها، الّذين خصّهم بالتطهير، فعصمهم من كلّ رجس، وطهّرهم تطهيراً.

وعلى ذلك كافة الشيعة وجمهرة كبيرة من أعلام المسلمين من غيرهم، مستدلين بالآية الكريمة، وقد مرّ الكلام فيها، ومؤكّدين ذلك

---

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) المائدة: ٧٥.

بالأحاديث النبوية الشريفة، نحو قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتَهنّ أحد ولا أنا: صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي، ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم[1]. فسمّاها رسول الله ﷺ (صدّيقة)، كما أنّه شبّهها بمريم عليها السلام بقوله ﷺ لها في حديث الجفنة: الحمد لله الّذي جعلك شبيهة سيّدة نساء بني إسرائيل.

فلنقرأ الحديث كما أخرجه الزمخشري والنظام النيسابوري وابن كثير في تفاسيرهم عن أبي يعلى بسنده عن جابر، واللفظ للأخير:

وقال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا سهل بن زنجلة، حدّثنا عبد الله بن صالح، حدّثنا عبد الله بن لهيعة عن محمّد بن المنكدر عن جابر أنّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم أقام أيّاماً لم يطعم طعاماً حتى شقَّ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً. فأتى فاطمة فقال: يا بُنية هل عندك شئ آكله، فإنّي جائع؟ قالت: لا والله بأبي أنت وأمي. فلمّا خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته في جفنة لها، وقالت: والله لأوثرنّ بهذا رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم على نفسي ومن عندي. وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمي، قد أتى الله بشئ

---

(١) الرياض النضرة للمحب الطبري ٢: ٢٠٢ نقلاً عن أبي سعيد في شرف النبوة.

فخبأته لك. قال: هلمي يا بُنية. قالت: فأتيته بالجفنة، فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلمّا نظرت إليها بهتُّ، وعرفت أنّها بركة من الله، فحمدتُ الله وصلّيتُ على نبيّه، وقدّمته إلى رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، فلمّا رآه حمد الله وقال: من أين لك هذا يا بُنية؟ قالت: يا أبت ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. فحمد الله وقال: الحمد لله الّذي جعلك يا بُنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنّها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسُئلت عنه قالت: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فبعث رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم إلى عليّ، ثمّ أكل رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، وأكل عليّ وفاطمة وحسن وحسين، وجميع أزواج النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً. قالت: وبقيت الجفنة كما هي. قالت: فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً[2].

وروى الكرامة هذه الصابوني في تفسيره نقلاً عن ابن كثير في تفسيره، ثمّ قال: والقصة مشهورة[3].

---

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) تفسير الكشّاف للزمخشري ١: ٣٢١. تفسير النظام النيسابوري (بهامش تفسير الطبري ٣: ١٨٣ ط الميمنية). تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٣٦٠.

(٣) تنوير الأذهان ١: ٢٣٧ ـــ ٢٣٨.

أقول: ولم يقتصر ابن كثير على إيرادها في تفسيره فحسب، بل أوردها في تاريخه نقلاً عن الحافظ أبي يعلى، لكنه هناك لم يستسغ أن يمرّ حديث الجفنة دون غمز، فقال: وهذا حديث غريب إسناداً ومتناً[1].

وقد ذكر بعده عدة أحاديث عن سمرة بن جندب وغيره فيها ظهرت بركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شبه ذلك من تكثير الطعام في قصة بيت الصدّيق أو غيره، فلم يستغرب ذلك لا سنداً ولا متناً، وكأنّ بركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت تعم سائر الناس إلاّ أهل بيته؟! فالله المستعان. ولا نقول فيه شيئاً إلاّ ما قاله الخطيب الشربيني وقد ذكر القصة في تفسيره (السراج المنير)، فقال بعدها: (فهذه كرامة لفاطمة رضي الله عنها[2])، ويقول الصابوني: (والقصة مشهورة)، وليقل ابن كثير ما يقول.

الفضيلة الرابعة والخامسة: وهي كونها عليها السلام طاهرة ومعصومة، ولا نطيل المقام في استيعاب ما ورد في ذلك، وبيننا كتاب الله تعالى يغنينا بواضح بيانه وبيّناته، وحسبنا منه آية من آياته، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[3].

فهذه الآية الكريمة دالّة على طهارة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم من درن الأرجاس، وقد سبق لنا أن ذكرنا مفصلاً ما يتعلق بها، وشأن نزولها،

---

(١) تاريخ ابن كثير ٦: ١١١.

(٢) السراج المنير ١: ١٧٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

وفيمن نزلت، وأردفناها بأحاديث نبوية وآثار صحابية تغنينا عن التكرار، فمن ابتغى المزيد والاستكثار فليرجع إلى هذا، ففيه الكفاية وبلوغ الغاية.

بقيَ علينا أن نختم الكلام في المقام بعرض أقوال الأعلام من أئمّة السنّة والتفسير والكلام في المفاضلة بين كلّ من النساء الأربع، وبينهن وبين عائشة، وفي ذلك مسك الختام.

١ - قال الخازن في تفسيره بعد ذكره حديث الكمال ملحقاً بحديث الثريد نقلاً عن ابن ماجة، فعقّب عليه بقوله:

وليس في هذا تصريح بتفضيلها - يعني عائشة - على مريم وآسية، لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة، عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية امرأة فرعون. أخرجه الترمذي)[1].

٢ - وقال الخطيب الشربيني في تفسيره (السراج المنير): (فائدة): أفضل نساء العالمين مريم كما في الآية، إذ قيل بنبوّتها، ثمّ فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، ثمّ خديجة أمّها، ثمّ عائشة، ثمّ آسية امرأة فرعون . فإن قيل: روى الطبراني: خير نساء العالمين: مريم بنت عمران،

---

(١) تفسير الخازن ١ : ٢٣.

ثمّ خديجة بنت خويلد، ثمّ فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه (وآله) وسلم، ثمّ آسية امرأة فرعون.

أُجيب: بأنّ خديجة إنّما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة. أهـ[1].

أقول: لقد أغفل تقدير السؤال والجواب عن تفضيله عائشة على آسية، مع أنّها لم يرد ذكرها في حديث الطبراني ضمن النساء اللاتي هن خير نساء العالمين.

٣ - وقال ابن جزي في تفسيره (التسهيل) في تفسير آية اصطفاء مريم في سورة آل عمران، آية ٤٢: يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصاً بأن وهب لها - يعني مريم - عيسى من غير أب، فيكون ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عاماً، أو يكون الاصطفاء عاماً، فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة، أو يكون المعنى: على نساء زمانها. وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق، وقيل: إنّها كانت نبيّة لتكليم الملائكة لها. أهـ[2].

٤ - وقال الشوكاني في تفسيره (فتح القدير): وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عليّ، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم يقول: خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد. وأخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله

---

(١) السراج المنير ١: ١٧٦ ط الخيرية.

(٢) التسهيل ١: ١٠٦ ط مصطفى محمّد سنة ١٣٥٥ هـ.

صلّى الله عليه (وآله) وسلم: أفضل نساء العالمين: خديجة وفاطمة ومريم وآسية امرأة فرعون.

وأخرج ابن مردويه عن أنس مرفوعاً نحوه، وأخرج أحمد نحوه، والترمذي وصحّحه، وابن المنذر وابن حبان والحاكم من حديثه مرفوعاً.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وإنّ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وفي المعنى أحاديث كثيرة كلّها تفيد أنّ مريم سيّدة نساء عالمها، لا نساء جميع العالم، ويؤيّده ما أخرجه ابن عساكر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم، قال: أربع نسوة سادات نساء عالمهن: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وأفضلهنّ عالماً فاطمة[1].

٥ – وقال الصابوني في تفسيره (تنوير الأذهان): وعن النبيّ ﷺ: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). وإنّما شُبّهت عائشة بالثريد لأنّ العرب كانوا لا يؤثرون على الثريد شيئاً...

---

(١) فتح القدير ١: ٣٠٩. وفي ط مصر أفست دار المعرفة بيروت ١: ٣٤٠.

واستمر في بيان فضل الثريد وأوجه التشابه بين عائشة وبين الثريد، إلى أن قال: لكن الكمال المطلق إنّما هو لفاطمة الزهراء رضي الله عنها كما دلّ عليه الحديث المذكور[1].

٦- وقال الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) بعد إيراد معاني اصطفاء مريم عليها السلام، وما قيل في تفضيلها على سائر نساء العالمين، وما استدلّ به على أفضليّتها بعد خديجة وفاطمة عليها السلام، قال: والذي أميل إليه أنّ فاطمة البتول أفضل النساء المتقدّمات والمتأخرات من حيث إنّها بضعة رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، بل ومن حيثيات أُخر أيضاً، ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة، لجواز أن يراد بها أفضليّة غيرها عليها من بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات، وبه يجمع بين الآثار، وهذا سائغ على القول بنبوّة مريم أيضاً، إذ البضعية من روح الوجود وسيّد كلّ موجود لا أراها تقابَل بشيء، وأين الثريا من يد المتناول؟

ومن هنا يعلم أفضليّتها على عائشة رضي الله عنها الذاهب إلى خلافها الكثير، محتجين بقوله: صّلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم: (خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، وبأنّ عائشة يوم القيامة في الجنّة مع زوجها رسول الله صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم، وفاطمة يومئذٍ فيها مع

---

(١) تنوير الأذهان ٤: ٣٦٠ ـــ ٣٦١.

زوجها عليّ كرّم الله تعالى وجهه، وفرق عظيم بين مقـام النبـيّ صـلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم، ومقام عليّ كرّم الله تعالى وجهه[1].

---

(١) قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٧: ٢٥٨ في شرحه وتعقيبه على حديث الكمال المقصور على ذكر آسية ومريم، والمذيّل بحديث الثريد كما رواه البخاري وقد مرّ في المورد الأوّل من موارد الحديث عنه، فراجع.

قال ابن حجر: استدل بهذا الحصر على أنّهما نبيّتان، لأنّ أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثمّ الأولياء ثمّ الصدّيقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيّتين للزم ألا يكون في النساء وليّة ولا صدّيقة ولا شهيدة، والواقع أنّ هذه الصفات في كثير منهن موجودة، فكأنّه قال: (ولم ينبأ من النساء إلاّ فلانة وفلانة). ولو قال: (لم تثبت صفة الصدّيقية أو ا لولاية أو الشهادة إلاّ لفلانة وفلانة) لم يصحَ، لوجود ذلك في غيرهن، إلاّ أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء، فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك، والله أعلم. وعلى هذا فالمراد مَنْ تقدّم زمانه صلّى الله عليه (وآله) وسلم، ولم يتعرّض لأحد من نساء زمانه إلاّ لعائشة، وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة ﵂ على غيرها، لأنّ فضل الثريد على غيره من الطعام إنّما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة، وكان أجلّ أطعمتهم يومئذٍ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كلّ جهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى، وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة من قوله: ((ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد)) أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا ــــ يعني في صحيح البخاري ــ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواته عند الطبراني بهذا الإسناد، وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به، وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما، وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث عليّ بلفظ: ((خير نسائها خديجة))، وجاء في طريق أخرى ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة، وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في كتاب الزهد والحاكم، كلّهم من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس ﵄، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم: ((أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون))، وله شاهد من حديث أبي هريرة في الأوسط

قال: وأنت تعلم ما في هذا الاستدلال، وأنّه ليس بنص على أفضلية الحميراء على الزهراء.

أمّا أوّلاً: فلأنّ قصارى ما في الحديث الأوّل على تقدير ثبوته إثبات أنّها عالمة من حيث يؤخذ منها ثلثا الدين، وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعته عليه الصلاة والسلام، ولعلمه صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أنّها لا تبقى بعده زمناً معتداً به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك، ولو علم لربّما قال: (خذوا كلّ دينكم عن الزهراء)، وعدم القول في حقّ من دلّ العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليّته، وإلاّ لكانت عائشة أفضل من أبيها رضي الله تعالى عنه، لأنّه لم يرو عنه في الدين إلاّ قليل، لقلّة لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم.

على أنّ قوله عليه الصلاة والسلام: (إنّي تركت فيكم الثقلين: كتاب الله تعالى وعترتي، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض)، يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى، كيف لا ، وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيّدة تلك العترة.

وأمّا ثانياً: فلأنّ الحديث الثاني معارض بما يدل على أفضليّة غيرها رضي الله تعالى عنها عليها، فقد أخرج ابن جرير عن عمّار بن سعد أنّه

للطبراني، ولأحمد في← ←حديث أبي سعيد رفعه: ((فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة إلاّ ما كان من مريم بنت عمران))، وإسناده حسن.

قال: قال لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم: فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، بل هذا الحديث أظهر في الأفضلية، وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف، لأنّ ذلك الخبر وإن كان ظاهراً في الأفضلية لكنه قيل - ولو على بُعد -: إن (أل) في (النساء) فيه للعهد، والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الإخبار، ولم يقل مثل ذلك في هذا الحديث.

وأمّا ثالثاً: فلأنّ الدليل الثالث يستدعي أن يكون سائر زوجات النبيّ صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، لأنّ مقامهم بلا ريب ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم، فلو كانت الشركة في المنزل مستدعية للأفضلية لزم ذلك قطعاً، ولا قائل به.

ثمّ قال: وبعد هذا كلّه، الّذي يدور في خلدي أنّ أفضل النساء فاطمة، ثمّ أمّها، ثمّ عائشة، بل لو قال قائل: (إنّ سائر بنات النبيّ صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أفضل من عائشة)، لا أرى عليه بأساً، وعندي بين مريم وفاطمة توقّف، نظراً للأفضلية المطلقة، وأمّا بالنظر إلى الحيثية فقد علمتَ ما أميل إليه.

ثمّ قال: وقد سُئل الإمام السبكي عن هذه المسألة، فقال: الّذي نختاره وندين الله تعالى به أنّ فاطمة بنت محمّد صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أفضل من أمّها ثمّ عائشة.

ووافقه على ذلك البلقيني، وقد صحّح ابن العماد أنّ خديجة أيضاً أفضل من عائشة، لما ثبت أنّه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة حين قالت: قد رزقك الله خيراً منها. فقال لها: (لا والله ما رزقني الله تعالى خيراً منها، آمنت بي حين كذّبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس)، وأيّد هذا بأنّ عائشة أقرأها السلام النبيّ صلّى الله تعالى عليه (وآله) وسلم من جبريل، وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربّها.

ثمّ قال: وبعضهم لمّا رأى تعارض الأدلة في هذه المسألة توقّف فيها، وإلى التوقف مال القاضي أبو جعفر الأستروشني منا. وذهب ابن جماعة إلى أنّه المذهب الأسلم (؟!).

وأشكل ما في هذا الباب حديث الثريد، ولعلّ كثرة الأخبار الناطقة بخلافه تهون تأويله، وتأويل واحد لكثير أهون من تأويل كثير لواحد، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل. أهـ[1].

٧ – وأخرج الموفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن عبيد الله القواريري، قال: اختلف أصحابنا – يعني يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي –

---

(١) روح المعاني ٣: ١٣٧ ط المنيرية.

في عائشة وفاطمة أيهما أفضل؟ فأرسلوني إلى عبد الله بن داود الخريبي، فسألته فقال: أمّا فاطمة فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: (إنّما فاطمة بضعة منّي)، ولم أكن أفضّل على بضعة من رسول الله أحداً[1].

٨ - وقال السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي) في مسألة المفاضلة بين فاطمة وعائشة: وأمّا أيّهما أفضل فثلاثة مذاهب: أصحّها أنّ فاطمة رضي الله عنها أفضل[2].

٩ - وقال القاضي زكريا الأنصاري الشافعي في(شرح البهجة) في زوجاته صلى الله عليه وآله: وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضلهما خلاف، صحّح ابن العماد تفضيل خديجة، لما ثبت من قوله صلّى الله عليه (وآله) وسلم لعائشة حين قالت له: قد رزقك الله خيراً منها: لا والله ما رزقني خيراً منها... الحديث، وعائشة أقرأها النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلم السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل من ربّها السلام على لسان محمّد صلّى الله عليه (وآله) وسلم، فهي أفضل.

قيل له: من أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم قال لفاطمة: (بضعة منّي)، فلا أعدل ببضعة رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم أحداً، وعليه فهي أفضل أيضاً من عائشة[3].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١١٢ ط دار أنوار الهدى في قم سنة ١٤١٨ هـ.

(٢) شرح ثلاثيات أحمد ٢: ٥١٠ ط المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٣٨٠ هـ.

(٣) المصدر السابق.

١٠ - وقال السبكي: الّذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة بنت محمّد أفضل من أمّها خديجة ثمّ عائشة[1].

١١ - وقال ابن العماد: وإنّما فضلت خديجة على فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة.

١٢ - وقال الفقيه عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري في (بهجة المحافل): ومذهب المحقّقين أنّها - يعني خديجة - أفضل من عائشة، وأنّ فاطمة أفضل من الجميع[2].

وأقرّه على ذلك جمال الدين محمّد الأشخر اليمنى في شرحه على ذلك، واستدل على صحّته بنحو ما مرّ عن القاضي زكريا الأنصاري.

١٣ - وحكى السهيلي في الروض الأنف ما قاله أبو بكر بن داود وقد سُئل: عائشة أفضل أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربّها على لسان محمّد صلّى الله عليه (وآله) وسلم، فهي أفضل.

قيل له: فمن أفضل: خديجة أم فاطمة؟ قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم قال: (إنّ فاطمة بضعة منّي)، فلا أعدل ببضعة من رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم أحداً.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بهجة المحافل ٢: ١٣٩.

قال السهيلي: وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحّة الاستقراء أنّ أبا لبابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحلّه إلاّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، فجاءت فاطمة لتحلّه، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم: (إنّما فاطمة بضعة منّي)، فحلّته، وقال: ويدل على تفضيل فاطمة قوله عليه السلام لها: أمّا ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنّة إلاّ مريم، فدخل في هذا الحديث أمّها وأخواتها...[1] إلى آخر ما قال.

قال أبو بكر - أحمد بن عبد العزيز الجوهري - وحدّثني المؤمل بن جعفر قال: حدّثني محمّد بن ميمون عن داود بن المبارك، قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن، ونحن راجعون من الحجّ في جماعة فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال: كانت أمي صدّيقة بنت نبيّ مرسل، فماتت وهي غضبى على إنسان، فنحن غِضاب لغضبها وإذا رضيت رضينا.

قال ابن أبي الحديد بعد روايته لما تقدم، قلت: قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد

(١) الروض الأنف ١: ١٦٠.

الحميد بن محمّد بن عبد الحميد العلوي قال أنشدني هذا الشاعر - وذهب عني اسمه -[1] قال:

يا أبا حفص الهوينا وما	كنت مليّا بذاك لولا
أتموت البتول غضبى	ما كذا يصنع البنون

قال ابن أبي الحديد يخاطب عمر ويقول له: مهلاً رويداً يا عمر، أي أرفق واتئد ولا تعنف بنا، وما كنت ملياً أي وما كنت أهلاً لأن تخاطب بهذا وتستعطف، ولا كنت قادراً على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦: ٤٩ تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم. أقول: وقد ذكر ابن أبي الرجال في مطلع البدور ٣: ٢٩٥ اسم الشاعر وهو عليّ بن حمزة بن وهاس وقال: ومن شعره← ←البيتان السائران في آل محمّد مسير الأمثال (يا أبا حفص الهوينا... إلى تمام البيتين. وجاء في الهامش: وقد روى معناهما لكامل أهل البيت والإمام القاسم بن إبراهيم (عليهم السلام) وهو قولهما لمن سألهما عن قول أهل البيت في شأن فاطمة الزهراء والمشائخ فقالا: كانت لنا أم صدّيقة ابنة صدّيق ماتت غضبانة ونحن غاضبون لغضبها، وذكر أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ص ٣٦ ـــ ٣٧ تحقيق صقر في ذكر العجوز الجرشية أكرم الناس أحماءً فقال: وذكرها الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ فقال:

كانت الجرشية أكرم الناس أحماءً، ذكر رسول الله ﷺ وعلياً وحمزة وجعفر والعباس، ولم يذكر أبا بكر، وكان في مجلسه جماعة من ولده، فرأى ذلك قد شقّ عليهم فقال: وأبو بكر بعد سكوت طويل.

(أقول) وهذا بعض مظاهر الغضب التي أشار إليها عبد الله بن الحسن بن الحسن، ووافقه على ذلك آخرون من بني فاطمة (عليها السلام) ، وكذلك ينبغي لمن هو من ذرّيتها، ومن لم يكن كذلك منهم فهو يوالي عدوّها ويكون حرباً بقول شاعرهم:

إذا العلوي تابع ناصبياً	على رأي فما هو من أبيه
وكان الكلب خيراً منه طبعاً	لأن الكلب طبع أبيه فيه

الّذي وجته عليها، لولا أنّ أباها الّذي كان بيتها يحترم ويصان لأجله مات فطمع فيها من لم يكن يطمع.

ثمّ قال: أغدت أمنا وهي غضبى ونرضى نحن؟! إذن لسنا بكرام، فإنّ الولد الكريم يرضى لرضى أبيه وأمه، ويغضب لغضبهما.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: والصحيح عندي انّها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنّها أوصت أن لا يصلّيا عليها[1].

وروى الخوارزمي الحنفي في كتابه مقتل الحسين عليه السلام بسنده عن عائشة انّها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قالت: ما رأيت أحداً أصدق لهجة منها إلا أن يكون الّذي ولدها[2]..

الصلاة والسلام على الصدّيقة

جاء في مصباح المتهجد[3]: (اللّهمّ صلّ على الصدّيقة فاطمة الزكية حبيبة حبيبك ونبيّك وأم أحبائك وأصفيائك، الّتي انتجبتها وفضلتها وأخترتها على نساء العالمين.

اللّهمّ كن الطالب لها ممّن ظلمها واستخف بحقها، وكن الثائر - اللّهمّ - بدم أولادها، اللّهمّ وكما جعلتها أم أئمّة الهدى، وحليلة صاحب

---

(١) نفس المصدر ٢: ٢٠ الطبعة الأولى بمصر.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ١: ٥٦ ـــ ٥٧ ط الزهراء في النجف ١٣٦٧ هـ.

(٣) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٤٠١ ط مؤسسة فقه الشيعة لبنان سنة ١٤١١ هـ.

اللواء، والكريمة عند الملأ الأعلى، فصلّ عليها وعلى أمها خديجة الكبرى، صلاة تكرم بها وجه أبيها محمّد ﷺ، وتقرّ بها أعين ذرّيتها، وأبلغهم عني في هذه الساعة أفضل التحية والسلام).

الإغارة على لقب الصدّيقة

لقد أغار رواة السوء تزلفاً لزعانف الحكم، فجعلوا من ألقاب السيدة عائشة (الصدّيقة) وسمّوها (الصدّيقة ابنة الصدّيق) وقد سمّى العقاد كتابه فيها بذلك، ولم يكن في ذلك بدعاً، فإن أبناء مذهبه، سمّوها قبله بذلك، فقد جاء في مغني المحتاج[1]: فقد قبّل ﷺ فاطمة، وقبّل الصدّيقُ الصدّيقة... ومثله في حواشي الشرواني والعبادي[2].

وجاء في حاشية رد المختار لابن عابدين[3]: قال في البحر: وينبغي أنّ من اعتقد مذهباً يكفر به: إن كان قبل تقدم الاعتقاد الصحيح فهو مشرك. وإن طرأ عليه فهو مرتد أهـ. وبهذا ظهر أن الرافضي إن كان ممّن يعتقد الإلوهية في عليّ، أو إنّ جبرئيل غلط في الوصي. أو كان ينكر صحبة الصدّيق، أو يقذف الصدّيقة فهو كافر لمخالفته القواطع المعلومة من الدين بالضرورة، بخلاف ما إذا كان يفضل عليّاً أو سبّ الصحابة،

---

(١) مغني المحتاج ٢: ١٣٣.

(٢) حواشي الشرواني والعبادي ٧: ٢٠٢.

(٣) حاشية رد المختار ٢: ٥٠.

فإنّه مبتدع لا كافر كما أوضحته في كتابي (تنبيه الولاة والحكّام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام).

وجاء في كشف القناع للبهوتي[1]: (ووقفت عائشة) الصدّيقة بنت الصدّيق... (حائضاً بأمر النبيّ ﷺ).

فالآن إلى المبحث الثاني في صدّيقية عائشة

(١) كشف القناع للبهوتي ٢: ٥٧٥.

المبحث الثاني: في صدّيقية عائشة

إنّ الباحث في أحاديث التراث السنّي، لا يجد حديثاً واحداً مرفوعاً حتى ولو كان مكذوباً - تذكر فيه السيّدة عائشة بأنّها صدّيقة، وأنّى يجد ذلك، وهذه دواوين الحديث والتراجم الّتي ذكرتها، لم يرد فيها شيء من ذلك، وإنّما الّذي نجده، هو أنّ أحد الرواة عنها كان يقول: حدّثتني الصدّيقة ابنة الصدّيق، وذلك هو مسروق بن الأجدع فمن هو مسروق؟

هو مسروق بن الأجدع.. أبو عائشة الوداعي الهمداني الكوفي.. قال: لقيت عمر فقال: ما اسمك؟ فقلت: مسروق بن الأجدع، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبدالرحمن. قال الشعبي: فرأيته في الديوان[1] مسروق بن عبد الرحمن وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الّذين أسلموا في حياة النبيّ ﷺ. وكانت عائشة قد تبنته فسمّى بنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئاً. وقالت له عائشة: يا مسروق إنّك من ولدي، إنّك لمن أحبّهم إليَّ...

وكان إذا قيل له: أبطأت عن عليّ وعن مشاهده فيقول: أرأيتم لو أنّه حين صفّ بعضكم لبعض فنزل بينكم ملك فقال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ

(١) الديوان: الكتاب الّذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء والعمّال.

اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[1] أكان ذلك حاجزاً لكم؟ قالوا: نعم، قال: فوالله لقد نزل ملك كريم على لسان نبيّكم، وإنّها لمحكمة ما نسخها شئ[2].

(أقول): وهذا نموذج من استدلال جهلة المتفيهقة من النواصب، مع الإعراض عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3].

وتجاهل لأقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: (عليّ مع الحقّ والحق مع عليّ) و (سلمك سلمي وحربك حربي).

ولولا خوف الإطالة لذكرت من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ما يكشف زيف مسروق في فهمه ودينه، ألم يكن هو الّذي سألته عائشة من هو الّذي قتل المخدّج ذا الثدية، وقد لعنت عمرو بن العاص لأنّه غشّها في ذلك، وقد أخرج حديثه الحاكم في المستدرك[4]، والذهبي في تلخيصه بهامشه عن مسروق قال: قالت لي عائشة إنّي رأيت على تل وحولي بقر تنحر، فقلت لها: إن صدقت رؤياك لتكونن حولك ملحمة، قالت: أعوذ بالله من شرّك، بئس ما قلت، فقلت لها فلعله إن

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٨: ١٩٧ ـــ ٢٠٥ ط الخانجي وسير أعلام النبلاء ٥: ١٠٢ ـــ ١٠٦ ط دار الفكر.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) المستدرك ٤: ١٣.

كان أمراً سيسوؤك ، فقالت: والله لئن أخّر من السماء أحبّ إليَّ من أن أفعل ذلك ، فلمّا كان بعدُ، ذكر عندها انّ عليّاً قتل ذا الثدية، فقالت: إذا أنت قدمت الكوفة فاكتب لي ناساً ممّن شهد ذلك ممّن تعرف من أهل البلد، فلمّا قدمت وجدت الناس أسباعاً، فكتبت لها من كلّ سُبع عشرة ممّن شهد ذلك، قال: فأتيتها بشهادتهم فقالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنّه زعم لي أنّه قتله بمصر.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجّاه، ووافقه الذهبي على ذلك.

وفي شرح النهج للمعتزلي نقلاً عن كتاب صفين للمدائني عن مسروق أنّ عائشة قالت له لما عرفت أنّ عليّاً قتل ذا الثديّة: لعن الله عمرو بن العاص، فإنّه كتب إليَّ يخبرني أنّه قتله بالأسكندرية، إلاّ انّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:(يقتله خير أمتي من بعدي)[1].

ولو أنّ مسروقاً تسامى عن نصبه، وتدانى من أبي حنيفة في فقهه لقال كقوله: (ما قاتل أحد عليّاً إلاّ وعلي أولى بالحقّ منه، ولولا ماسارعليّ فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين، ولا شك أنّ عليّاً إنّما قاتل

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٢٠٢ ط مصر الأولى.

طلحة والزبير بعد أن بايعاه وخالفاه، وفي يوم الجمل سار عليّ فيهم بالعدل، وهو علّم المسلمين، فكانت السنّة في قتال أهل البغي)[1].

وليت مسروقاً وسّع فهمه فقال كما قال سفيان الثوري: (ما قاتل عليّ أحداً، إلاّ كان عليّ أولى بالحقّ منه)[2].

وقد ذكرت مجموعة من أقوال أئمّة المذاهب في الفقه والحديث والكلام في موسوعة ابن عباس كان من بينها قول ابن تيمية فقد ذكر في مجموع فتاواه[3]: حديث (عمّار تقتله الفئة الباغية) فقال: (وهذا أيضاً يدل على صحّة إمامة عليّ ووجوب طاعته، وإنّ الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولاً - وهو دليل على أنّه لم يكن يجوز قتال عليّ، وعلى هذا فمقاتله مخطئ - وإن كان متأولاً - أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليّاً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الّذين فرّعوا على ذلك قتال البغاة المتأوّلين).

ولا عجب من مسروق بعد هذا لو قرأناه يقول: كنت مع أبي موسى أيّام الحكمين، فسطاطي إلى جانبه، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا

(١) مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ٢: ٨٣ ط حيدرآباد، ومناقب أبي حنيفة للكردري بهامش المصدر السابق.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٧: ٣١.

(٣) فتاوى ابن تيمية ٤: ٤٣٧.

بمعاوية، فرفع أبو موسى رفرف فسطاطه وقال: يا مسروق قلت: لبيّك قال: إنّ الإمارة ما أتمر فيها، وإنّ الملك ما غلب عليه بالسيف.

ولا غرابة في فقهه إنّه زوّج بنته السائب بن الأقرع على عشرة آلاف اشترطها لنفسه قال: جهز امرأتك من عندك وقال: جعلها في المجاهدين والمساكين والمكاتبين، وله في مصادر ترجمته، أخبار في صلاته وصيامه، وفيها أنّه كان قاضياً، ولا يأخذ على القضاء رزقاً ، وقد عيب عليه تولي العمل لبني أمية؟ فقال: لم يدعني ثلاثة: زياد وشريح والشيطان حتى أوقعوني فيه[1]. وروى ابن سعد بسنده عن شقيق قال: كنت مع مسروق بالسلسلة سنتين... فسمعته يقول: ما عملت عملاً قطّ أخوف عليَّ من أن يدخلني النار من عملي هذا، وما بي أن أكون أصبت درهماً ولا ديناراً، ولا ظلمتُ مسلماً ولا معاهداً، ولكن ما أدري ما هذا الحبل[2] الّذي لم يسنّه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر. قال: قلت فما ردّك عليه وقد كنت تركته؟ قال: اكتنفني زياد وشريح والشيطان فلم يزالوا يزيّنونه حتى أوقعوني فيه[3].

هذا بعض ما ذكره ابن سعد والذهبي في ترجمة مسروق، وقد زاد ابن سعد عن مدى علاقة مسروق بعائشة انّه قال: (لولا بعض الأمر لأقمت

---

(١) طبقات ابن سعد ٨: ٢٠٤.

(٢) السلسلة الّتي تمدّ على النهر حيث تدفع العطايا ـــ عن هامش الطبقات.

(٣) طبقات ابن سعد ٨: ٢٠٤ ط الخانجي.

على أم المؤمنين مناحة)[1] فمن كان بهذه المثابة والتفجع بموت عائشة، لا يستغرب منه لو غالى فيها حين يحدّث عنها فيقول: (حدّثتني الصدّيقة بنت الصدّيق حبيبة حبيب الله المبّرأة...)[2].

وفي معجم الطبراني: (حدّثتني المبّرأة الصدّيقة بنت الصدّيق حبيبة حبيب الله)، وفي لفظ آخر: (حدّثتني الصادقة بنت الصدّيق البريئة المبرأة بكذا وكذا...)(٣). ولم أجد أي راو آخر عن عائشة ذكر لها مثل ذلك، وإذا ازددنا علماً بحال مسروق وأنّه كان مناوئاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حتى ورد أنّه وعبيدة السلماني وشريح القاضي وأبو وائل قالوا له: لئن فارقت سيرة الشيخين لنفارقنك، بل وذكر انّ مسروق خذله وسار إلى معاوية يحرضه على حربه[4]. فلا عجب ولا غرابة أن يقول في عائشة ما قال رافعاً بضبيعها بعد أن تبنته كما مرّ ذلك.

ولكن هلّم الخطب كيف للقارئ أن يصدّق بمسروق، وهو كما وصفوه متهم في مدحه لأمه ومنحه لها لقب الصديقية، وهي نفسها روت قصة الإفك وجاء في حديثها: (قالت: دخلت عليَّ أم مسطح فخرجنا إلى حير عاد، فوطئت أم مسطح على عظم أو شوكة فقالت: تعس مسطح،

---

(١) طبقات ابن سعد ٨: ٢٠٢.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٤١ ط مصر الأولى.

(٣) معجم الطبراني ٢٣: ١٥٣ ط الموصل.

(٤) كامل البهائي ٢: ٢٦، انتشارات المكتبة الحيدرية.

فقلت: بئس ما قلت، رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالت: أشهد أنّك من الغافلات المؤمنات، أتدرين ما قد طار عليك؟ قلت: لا والله قالت: متى عهد رسول الله بك؟ قلت: رسول الله يفعل في أزواجه ما أحب، يبدأ بمن أحبّ منهن، ويأتي من أحب، قالت: فإنّه طبق عليك كذا وكذا، فخررت مغشياً عليَّ، فبلغ أم رومان أمي فلما بلغها الأمر أتتني فحملتني، فذهبت إلى بيتها، فبلغ رسول الله أنّ عائشة قد بلغها ا لأمر، فجاء إليها، فدخل عليها وجلس عندها وقال: (يا عائشة إن الله قد وسّع التوبة) فازددت شرّاً إلى ما بي، فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو بكر فدخل عليَّ فقال: يا رسول الله ما تنظر بهذه الّتي خانتك وفضحتني؟ قالت: فازددت شرّاً إلى شرّ، قالت: فأرسل إلى عليّ، فقال: (يا عليّ ما ترى في عائشة)؟ قال: قد وسّع الله النساء، ولكن أرسل إلى بريرة خادمتها فسلها، فعسى أن تكون قد اطّلعت على شئ من أمرها، فأرسل إلى بريرة فجاءت فقال لها: (أتشهدين إنّي رسول الله؟) قالت: نعم، قال: (فإني سائلك عن شئ فلا تكتميني) قالت: نعم يا رسول الله ما من شئ تسألني عنه إلاّ أخبرتك به، ولا أكتمك إن شاء الله، قال: (قد كنت عند عائشة فهل رأيت منها ما تكرهينه)؟ قالت: لا والذي بعثك بالنبوّة ما رأيت منها مذ كنت عندها إلاّ خلّة، قال: (وما هي؟) قالت: عجنتُ عجيناً لي فقلت لعائشة: احفظي هذه العجينة حتى أقتبس ناراً فأخبز، فقامت تصلي، فغفلت عن الخمير، فجاءت شاة فأكلتها. فأرسل إلى

أسامة فقال: (يا أسامة ما ترى في عائشة؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال: (لتخبرني بما ترى فيها) قال: فإنّي أرى أن تمسك فيها حتى يحدث الله إليك فيها، قالت: فما كان إلاّ يسيراً، حتى نزل الوحي، فلم يزل يرى في وجه رسول الله ﷺ السرور وجاء عذرها من السماء - يعني من الله - فقال رسول الله ﷺ: (أبشري يا عائشة ، ثمّ أبشري يا عائشة، فقد نبأني الله بعذرك) فقلت: بغير حمدك وحمد صاحبك قالت: فعند ذلك تكلمت، وكانت إذا أتاها يقول: (كيف تيكم؟)أهـ.

موقفنا من عائشة

لسنا ممّن يعجبه التطاول على مقامات أُمهات المؤمنين، وليس من حقنا ولا حقّ أي أحد أن يتجاوز حدود ما أنزل الله تعالى فيهن ولهن حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ۞ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَّ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ۞ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهَّ يَسِيراً ۞ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهَّ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ۞ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ۞وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهَُّ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾[1]. ولا شكّ في أنّهن لم يكنّ على مستوى واحد من الإيمان والعقل والفهم بل وحتى السلوك الزوجي، لذلك كنّ حزبين كما تقول عائشة فيما رواه عنها البخاري، وهذا من الطبيعي أن يكون بين الضرائر، ولا شكّ انّ عائشة أخذت دوراً كبيراً في الحياة السياسية لم يكن لأي من بقية الأزواج سواء من كان في حزبها أو من كان في الحزب الآخر.

وقد مرّت بأحداث ظهرت لها فيها ذاتية خلدت ذكرها سواء رضيت بذلك أم أبت، فلا يتجنّى عليها من يروي عنها حديثها، في قصة الإفك، وفيه قول أبيها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما تنتظر بهذه الّتي خانتك وفضحتني) وهذه الكلمة قالها أبوها فيها، وروتها عنه هي نفسها، وأيم الله لو كان القائل غير أبيها لأقامت الدنيا ولم تقعدها على رأس قائلها. فقذف أبيها لها بتلك الكلمة الشائنة الشائنة ، لم تزعزع مكانته عندها، ولها عند موته كلام طويل عريض في مدحه والثناء عليه. ولم تزعزع مقام صدّيقيته المزعومة له خاصة، ولو أنّا أنصفنا أنفسنا وقارنا بين كلمته هذه وبين ما قاله الإمام عليّ عليه السلام حين استشاره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصة في هذه الرواية نفسها عن عائشة قالت: فأرسل إلى عليّ فقال: (يا عليّ ما ترى في عائشة؟ قال الله ورسوله أعلم، قال: لتخبرني ما ترى في عائشة. قال: قد وسّع الله النساء، ولكن أرسل إلى بريرة خادمها فسلها، فعسى أن تكون

(1) الأحزاب ٢٨ ــ ٣٤.

قد اطّلعت على شئ من أمرها...) هكذا نص الرواية عن عائشة وقد أخرجها الطبراني[1]، والهيثمي[2]، وغيرهما، ولو قارنا بين الكلمتين لرأينا البون شاسعاً، فأبوها يرميها بالخيانة وعليّ لا يرميها، فبالله عليكم أيّ العبارتين أجرح لشعور عائشة؟: (ما تنتظر بهذه الّتي خانتك وفضحتني) أو عبارة: (قد وسّع الله النساء، ولكن أرسل إلى بريرة خادمها فسلها...).فما بال عائشة تحقد على عليّ قوله هذا؟ وهي مذ سمعته لم تزدد شرّاً إلى شرّ، بينما هي لمّا سمعت كلمة أبيها قالت: (فازددت شرّاً إلى شرّ)؟ ولكنها كما قال أحمد شوقي مخاطبا الإمام عليه السلام:

يا جبلاً تأبى الجبال ما حمل
ماذا رمت عليك ربة الجمل
أثأر عثمان الّذي شجاها
أم غصةٌ لم ينتزع شجاها
وإن أم المؤمنين لامرأة
وإن تك الطاهرة المبرأة
أخرجها من كنّها وسنّها
ما لم يزل طول المدى من ضغنها[3]

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ١٠٠ ط الموصل، قال السلفي محقق الكتاب: وفيه خصيف وقد وثقه جماعة وضعّفه آخرون، وبقية رجاله رجال الصحيح. وفي المعجم الأوسط ٩: ٢٧١.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ٢٢٩.

(٣) دول العرب وعظماء الإسلام...

المبحث الثالث: صدّيقية أبي بكر الصدّيق بين التصور والتصديق

لاشكّ في أنّ أبا بكر حاز لقب الصدّيق وعُرف به منذ أيامه، أمّا كيف كان مبدأ ذلك؟ ومن الّذي لقبّه بذلك؟ فهذا ما لم تتفق عليه الأخبار، ولا تتسق في مضمونها مع الآثار، ولئلا يسئ بنا الظن ظانّ معاند، بأنا نحاول دفع أبي بكر عن صدّيقيته كما يحلو لمكابر جاحد، كلا، بل الّذي نريده هو اطلاع القارئ على ما هو من إسفاف البكرية في حشر أخبار وآثار، فيها من التناقض والاضطراب ممّا لا يدع مجالاً للتصديق بما هو واقع، لكثرة الشك والإرتياب، وإنا في ذلك لنحَفظ لأبي بكر مقامه في المسلمين ، كخالف تولى الأمر فقام بعد سيد المرسلين ﷺ، وقد جرت بينه وبين أهل البيت عليهم السلام خطوب وخطوب، ولا تزال تنزف منها القلوب، وهذا لا يمنعنا من تسليط الضوء على ما صنعته مدرسة الكذب من إساءة إلى أبي بكر وإلى تاريخ المسلمين حين نسجوا من الخيال الحبال، وصنعوا من الذّرة مجرّة، فاختلط الحابل بالنابل، وقمشوا الحقّ بالباطل من دون أن يرفعوا بضبع أولئك الرموز الذين تبنّوا نصرتهم فلم يحسنوا لهم صورة، ولم يحسنوا إليهم وفيهم صنعاً، وخير مصدر يحسن بنا عرض ما فيه للقارئ في هذا المقام هو كتاب (الرياض النضرة في مناقب العشرة) للمحبّ الطبري (ت ٦٤٩) والكتاب مطبوع بمصر بعناية بدر الدين النعساني، وقد ضم الكتاب كثيراً من الغث ولم يخل من سمين، إذ جمع

فيه مؤلّفه ما حصل له، على جهد بالغ وهوى متبَع، وإلى القارئ ما فيه ممّا يتعلّق بتحقيق لقب أبي بكر بالصدّيق فقال:

ذكر ما جاء في إثبات الصديقية لبعضهم والشهادة لبعضهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: اسكن حرا، فما عليك إلاّ نبيّ أو صدّيق أو شهيد.

وفي رواية: وسعد بن أبي وقاص، ولم يذكر عليّاً، أخرجها مسلم، وانفرد بإخراجه، وأخرجه الترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا، وقال: اهدأ مكان أسكن، وقال حديث صحيح.

وأخرجه الترمذي أيضاً عن سعيد بن زيد، وذكر أنّه كان عليه العشرة إلاّ أبا عبيدة، وقال: البث حراء الحديث. وأخرجه الخلعي عنه ولفظه انّه قال: تأمروني بسب إخواني، بل صلّى الله عليهم أو قال: غفر الله لهم، ثم ذكر انّه كان على حرا فتحرّك فقال ﷺ: اسكن حرا، وذكر معناه، وذكر انّه كان عليه العشرة إلاّ أبا عبيدة وأخرجه الحربي عن ابن عباس رضي الله عنه ولفظه: كان رسول الله ﷺ على حراء فتزلزل الجبل فقال ﷺ: اثبت حراء فما عليك إلاّ نبيّ وصدّيق وشهيد، وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وذكر العشرة إلاّ أبا عبيدة.

وأخرجه الحافظ إسحاق بن إبراهيم البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وسعداً وسعيداً، كانوا - يعنى على حراء - فتحرّك الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **أسكن حراء فما عليك إلاّ نبيّ وصدّيق وشهيد، فسكن حراء.**

ثم قال المحب الطبري: وسيأتي في مناقب الثلاثة نحو هذا الفضل فيهم في أجبل مختلفة، واختلاف الروايات محمول على قضايا متكررة والله أعلم. ألا ترى إلى اختلاف عدد الكائنين على الجبل في كل رواية، واثبات الصدّيقية لأبي بكر ظاهرة وبها اشتهر، واثبات الشهادة للخمسة الذين تضمنهم الحديث الأوّل ظاهرة، فإنّهم قتلوا شهداء والثلاثة الأُخر الذين تضمنهم باقي الأحاديث لم يقتلوا، فلعلّهم داخلون في الصدّيقية أو شهداء بمعنى آخر غير القتل والله أعلم[1].

أقول: من العجيب الغريب أن يجهد المحب الطبري نفسه، ويتكلف في تعقيبه على اختلاف الروايات بما يحسبه توجيهاً مقبولاً، بينما كان عليه أن يمعن النظر في روايتي أبي هريرة الأولى والثانية التي ذكر فيهما الصعود على جبل حراء، وهذا هو جبل بمكة، وأبو هريرة لم يتفق له الحضور بمكة مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا قبل الهجرة ، ولا بعدها، أمّا قبل الهجرة فمن الواضح لأنّه أسلم في السنة السابعة من الهجرة فأتى المدينة أيّام

(١) الرياض النضرة ١: ٢١.

خيبر، وبقي تلك السنة إلى أن خرج مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين في السنة الثامنة في ذي القعدة فكان مؤذناً له، ولم يرجع إلى أيّام عمر بن الخطاب حين استدعاه للشهادة على قدامة بن مظعون لأنّه شرب الخمر فتنطع في الشهادة فأنبه عمر وقال له: قد تنطعت في الشهادة[1] فجميع مروياته في فترة غيابه ويزعم فيها السماع والحضور في مكة أو المدينة فهو مردود ومرذول غير مقبول، ولا يخدع القارئ بمن ذكرها في كتابه عنه، سواء كان من أصحاب الصحاح أو غيرهم.

وأمّا رواية سعيد فإن صحت سنداً عنه ففيها ما يشير إلى الضغط الحاكم عليه وعلى المسلمين من إعلان السبّ لمن سبّه - يعني سبّاً لله ولرسوله - كما في رواية أم سلمة[2]. فإنّ لفظ الخلعي في رواية الرجل (تأمروني بسبّ إخواني) إذن فثمة أمر بالسبّ، فمن هو الآمر بالسبّ؟ ولمن كان ذلك السبّ؟ ولماذا يغفل الرواة عن سعيد الإفصاح عن تلك الأزمة الخانقة التي ألّمت بسعيد بن زيد وغيره يومئذٍ حين كانوا

---

(١) راجع الاستيعاب والإصابة وأُسد الغابة ترجمة قدامة بن مظعون، والمصنف لعبد الرزاق ٩: ٢٤١ ط المجلس العلمي، وتفسير القرطبي ٦: ٢٩٨ ط دار إحياء التراث العربي وأحكام القرآن لابن العربي ٢: ١٦٨ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢: ٢٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ٨: ٣١٥ وغيرها وغيرها.

(٢) لقد ورد في حديثها قالت لبعض أهل العراق منهم أبو عبد الله الجدلي: أيسبّ رسول الله فيكم؟ فقال الجدلي: معاذ الله، أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله) راجع كتابي عليّ إمام البررة ١: ١٦٢ تجد مصادر هذا الحديث بلغت العشرين من التراث السنّي.

يـؤمرون بـسبّ الإمـام أمير المـؤمنين عليه السلام؟ إنّهـا مفارقـات المـؤرّخين في ازدواجية المعايير حين يذكرون الصحابة بمن فـيهم ممّـن لا تلتقـي بذمـه الشفتان من منافقين وفسّاق ندّدت بهم آيات القرآن المجيد وتكفي سورة براءة التي سماها ابن عباس (الفاضحة) وخـل سـورة المنـافقين وسـورة الحجرات وسورة الطلاق وو، ويمنعون من سبّهم، ثـم هـم لا ينكـرون مسألة إعلان السبّ وفرضه على المسلمين الّذي كان يأمر به معاوية بعـد المهادنة التي كانت بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام عام ٤١ وهو عـام الفرقـة كما سمّاه الجاحظ[1] ومهما يكن ذلـك التهمـيش والتـشويش عـلى مـسألة السبّ. فقد رووا انّ معاوية لمّا دخل الكوفة ومعه سـعيد بـن زيـد وأبـو هريرة والمغيرة وأضرابهم، وصعد المغيرة فسبّ الإمـام أمير المـؤمنين عليه السلام فقام سعيد بن زيد وأنكر ذلك وروى لهم حديث العـشرة المبـشرة الّـذي طبّلوا له كثيراً ونمقّوه وزوّقوه بما يحلو لهم، ولا ريب انّ أبـا هريـرة كـان حاضراً ذلك المشهد، فلعلّه روى ما رواه سماعاً من سعيد بن زيد إلاّ أنّـه

(١) قال في رسالته في بني أمية: إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحرب، وتخليته الأمور عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلوّنهم عليه، فعندها استبد معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الّذي سموه (عام الجماعة) وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الّذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصباً قيصرياً، ولم يعدُ ذلك أجمع الضلال والفسق، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتبنا... راجع بقية كلامه في كتابي (عليّ إمام البررة ٣: ٣٦٥ ـــ ٥٦٦) نقلاً عن رسائل الجاحظ جمع ونشر حسن السندوبي بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ.

دلسّ في سماعه فلم يذكره، وليس ذلك بغريب منه بعد أن عرفنا كذبه في جملة أحاديث رواها فأكذبه عمر وعلي وعائشة وآخرون[1] .

ثم عاد المحب الطبري فقال[2]:

ذكر إثبات الصدّيقية لأبي بكر والشهادة لهما

عن أنس بن مالك ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صعد أحداً فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم برجله وقال اثبت فما عليك إلاّ نبيّ وصدّيق وشهيدان. وقال: خرّجه أحمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم.

وعن بريدة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً على حرا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اثبت حرا فإنّه ليس عليك إلاّ نبيّ أو صدّيق أو شهيد.

وقال خرّجه أحمد ، ثم قال: وقد سبق في الباب الثالث من حديث مسلم وغيره عن أبي هريرة وفيه زيادة عليّ وطلحة والزبير وسعد.

وعن ثمامة عن عثمان بن عفان انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجار بالحضيض، فركضه برجله وقال: اسكن ثبير فإنّما عليك نبيّ وصدّيق وشهيدان.

خرجّه الترمذي والنسائي.

---

(١) راجع (عليّ إمام البررة ١: ١٩٦ ــ ١٩٨).

(٢) الرياض النضرة ١ : ٤٠.

ثم قال (شرح) أحد جبل معروف بالمدينة وهو الّذي قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم أحد جبل يحبنا ونحبّه، وحرا وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة، واختلاف الروايات نحمله على انها قضايا تكررت فيهن والله أعلم. والحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل، وركضه برجله: أي ضربه بها والركض تحريك الرجل، وإنّما أسندنا الصدّيقية إلى أبي بكر حملاً لمطلق هذا الحديث على مقيد غيره.

أقول: هذا جميع ما ذكره المحب الطبري في محاولته اثبات صدّيقية أبي بكر، وهو لا يخلو من مناقشة سنداً ومتناً وإن حاول - فاشلاً - درءَ ذلك، إلاّ أن ما في (اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) للسيوطي ج١ في فضائل أبي بكر يأبى عليه تصحيح شئ من ذلك، وقد ناقش المرحوم الشيخ الأميني ذلك في موسوعته الغدير[1] وحسبنا إنصافاً له ولغيره من سائر المسلمين ممّن صدّقوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وآمنوا بنبوته، وعاضدوه على نشر رسالته من مهاجرين وأنصار وتابعين لهم بإحسان ولم يغيّروا من بعده أن يكونوا من الصدّيقين أمّا إذا أبينا العقلانية وأسفنا مع الذين أسفّوا فقالوا: ان أبا بكر سمّاه الله صدّيقاً في تنزيله فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[2] فجاء عن عطاء الّذي جاء بالصدق محمّد، فأفاض من بركات أنوار صدقه على أبي بكر

(١) راجع الغدير ٥: ٤٧٦.

(٢) الزمر: ٣٣.

فسمّي صدّيقاً[1] بينما ورد عن ابن عباس ومجاهد وأبي الطفيل عن عليّ وحتى عن أبي هريرة كما في الدر المنثور أنّ الآية نزلت في علي عليه السلام[2] وأما إذا طرنا مع الذين وضعوا على لسان عليّ انّه كان يحلف بالله انّ الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصدّيق[3]. وإذا ما عفنا الحياء لأهله فروينا للناس انّ أبا بكر كان يلقب في الجاهلية بالصدّيق[4].

فلا عجب ولا غرابة بعد هذا أن نجد الفيروزآبادي الشافعي يقول في خاتمة كتابه سفر السعادة في باب فضائل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات - ثم ذكر بعض الأحاديث ثم قال - وأمثال هذه من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل.

فالّذي ينسف كل تلك المقولات الفجة والدعاوى الفارغة والتي لا تغني ولا تسمن عند احتكاك المواقف، واصكاك الحجة بالحجة ما نقرأ انّ الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام طالبت أبا بكر الصدّيق بفدك، فلم يعطها وردّها، فهاهنا تسكب العبرات، فإمّا أن تكون الصدّيقة فاطمة صادقة في دعواها - وهذا ما اعترف لها به أبو بكر نفسه كما سيأتي قوله لها : (وأنت صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن

---

(١) تفسير السلمي ٢: ١٩٩.

(٢) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢ / ١٢٠ـ ١٢٢ بتحقيق المحمودي، وكتاب المحسن السبط مولود أم سقط) ١٤٦ ـــ ١٤٧.

(٣) أسد الغابة ٢: ٢١٦.

(٤) سمط النجوم العوالي ٢: ٤١٢.

حقك، ولا مصدودة عن صدقك) فكيف إذن نصدّق بالمزاعم السابقة في صدّيقية أبي بكر.

بقي علينا أن نشير إلى خبرين وردا في التراث الشيعي وصفا أبا بكر بالصدّيق وهما:

١ ـ خبر في كشف الغمة[1] قال: وعن عروة بن عبدالله قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام عن حلية السيوف ؟ فقال: لا بأس به، وقد حلّى أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول الصّديق؟ قال: فوثب واستقبل القبلة وقال: نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، فمن لم يقل له الصدّيق فلا صدّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة اهـ.

وهذا الخبر لو سلّم سنداً لكان حجة ما لم يصادمه واضح البرهان، ولكن عروة بن عبد الله مجهول الحال عند أصحابنا فقد ترجمه سيدنا الأستاذ في معجمه[2] ولم يذكرله ما يشعر بتعريفه فضلاً عن توثيقه ليصحّ الأخذ بروايته.

وإذا رجعنا إلى رجال العامة نجد ترجمته وقد وثّقه أبو زرعة، وذكره ابن حبان في الثقات[3]، ولو سلّمنا جدلاً بوثاقته، فإنّ جهالة السند من

(١) كشف الغمة للإربلي ٢: ٦٨٥ نشر الشريف الرضي بقم.

(٢) معجم رجال الحديث ١١: ١٤٩ ط الآداب.

(٣) كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ٧: ١٨٦.

صاحب كتاب كشف الغمة المتوفّى سنة ٦٩٢ إلى عروة بن عبد الله تمنع من الاعتماد على الرواية والأخذ بها.

٢ ـ خبر الجعفريات[١] ولفظه بعد السند عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى المصلّى فاستسقى واستقبل القبلة ونظر إلى السماء وحوّل رداءه، يمينه على شماله، وشماله على يمينه اهـ، وهذا رواه السيد البروجردي قدس سره[٢] وفيه قال جعفر بن محمّد عليه السلام قال أبي: فعل ذلك أبو بكر الصدّيق بعده اهـ.

ونحن أزاء قبول الخبر في حيرة من أمره، فإنّ الجعفريات من الكتب المعتبرة المعوّل عليها[٣] فلا مناص من قبول أخبارها ما لم يصادمها واضح البرهان، وفي المقام قد حصل ذلك، إذ لم يذكر أحد ولا ورد في أنّ أبا بكر صلّى صلاة الاستسقاء في أيّامه،[٤] على إن في حديث حبر الأمة عبد الله بن عباس رحمه الله مع أم المؤمنين عائشة بعد حرب الجمل وقد أرسله أمير المؤمنين إليها يأمرها بقلة العرجة وتعجيل الرحيل - ما يشير إلى أن أبا بكر كان يدعى صدّيقاً أوّل أيّامه، وإلى القارئ تلك المحاورة:

(١) رواه الشيخ النوري في مستدرك الوسائل ٦: ١٨٥ ط المؤسسة.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ٦: ٢٦٣.

(٣) كما في الذريعة ٢: ١.

(٤) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ١٢٠ ـ ١٢٢ بتحقيق المحمودي، وكتاب المحسن السبط مولود أم سقط: ١٤٦ ــ ١٤٧.

قال السيّد المرتضى في الشافي: فإنّ الواقدي روى بإسناده عن شعبة عن ابن عباس قال: أرسلني عليّ عليه السلام إلى عائشة بعد الهزيمة وهي في دار الخزاعيين يأمرها أن ترجع إلى بلادها، قال: فجئتها فوقفت على بابها ساعة لا تأذن لي، ثمّ أذنت فدخلت ولم توضع لي وسادة ولا شئ أجلس عليه، فالتفت فإذا وسادة في ناحية البيت على متاع فتناولتها ووضعتها ثمّ جلست عليها، فقالت عائشة: يا بن عباس أخطأت السنّة، تجلس على متاعنا بغير إذننا، فقلت لها: ليست بوسادتك، تركتِ متاعكِ في بيتكِ الّذي لم يجعل الله لك بيتاً غيره. فقالت: والله ما أحبّ أنّي أصبحت في منزلٍ غيره. قلت: أمّا حين اخترتِ لنفسكِ فقد كان الّذي رأيتِ.

فقالت: أيها الرجل أنت رسول فهلّم ما قيل لك؟

قال: فقلت: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يأمرك أن ترحلي إلى منزلك وبلدكِ.

فقالت: ذاك إلى أمير المؤمنين عمر.

قال ابن عباس: فقلت أمير المؤمنين عمر والله يرحمه، وهذا والله أمير المؤمنين. فقالت: أبيت ذلك.

فقلت: أما والله ما كان إباؤكِ إلّا فواق ناقة غير غزير حتى ما تأمرين ولا تنهين، كما قال الشاعر الأسدي:

ما زال إهداء القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة
حتى تركتِ كأن أمركِ فيهم ... فى كلّ مجمعة طنين ذباب

قال ابن عباس: فوالله يعلم لبكت حتى سمعت نشيجها، فقالت: أفعل، ما بلد أبغض إليَّ من بلد لصاحبك مملكة فيه. وبلد قتل فيه أبو محمّد وأبو سليمان - تعني طلحة وابنه - .

فقلت: أنتِ والله قتلتهما، قالت: وأجلهما إلى سباق.

قلت: لا ولكنكِ لمّا شجّعوكِ على الخروج خرجتِ، فلو أقمتِ ما خرجا.

قال: فبكت مرة أخرى أشدّ من بكائها الأوّل، ثمّ قالت: والله لئن لم يغفر الله لنا لنهلكنّ، نخرج لعمري من بلدكِ، فأبغض بها والله بلداً إليَّ وبمن فيها.

فقلت: والله ما هذا جزاؤنا وما هي بأيدينا عندك، ولا عند أبيك؟

لقد جعلنا أباك صدّيقاً وجعلناكِ للناس أماً.

فقالت: أتمنّون عليَّ برسول الله.

قلت: أي والله لأمنّ به عليكِ، والله لو كان لكِ لمننتِ به.

قال ابن عباس: وتركتها، فجئت عليّاً فأخبرته خبرها وما قلت لها.

فقال عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1](1).

---

(١) آل عمران: ٣٤.

وهذه المحاورة أوردتها في موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن) من عدة مصادر مرتبة على القرون بدءاً من القرن الثالث وحتى القرن التاسع. وفي بعضها وردت جملة الصديقية هكذا (وجعلنا أباك صدّيقاً وهو ابن أبي قحافة، وجعلناك أم المؤمنين وأنت ابنة أم رومان) فراجع الموسوعة تجد تفصيل ذلك.

فنحن أمام هذا النص بالصدّيقية الّذي يوحي بأنّه بجعل من أهل بيت ابن عباس حيث يقول: (وجعلنا) فيا ترى ماذا يعني ذلك الجعل؟ ولم يعهد ذلك الجعل تاريخياً فلابدّ انّه كان يعني به دين الإسلام الّذي أتى به محمّد رسول الله ﷺ فبلّغ الناس بشيراً ونذيراً، فآمن به من آمن وكفر به من كفر، وكان أبو بكر ممّن أسلم وإن لم يكن هو أوّل من أسلم بشهادة سعد بن أبي وقّاص وبرواية الطبري في تاريخه وانّ إسلامه كان بعد أكثر من خمسين إنساناً.

فقد روى بسنده عن محمّد بن سعد قال قلت لأبي أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين[2].

إذن فابن عباس يقرّر لعائشة بأنّ أبا بكر صار صدّيقاً بفضل الإسلام، أمّا متى حصل على ذلك اللقب؟ وكيف حصل؟ ومن الّذي منحه؟ فثمة

---

(١) الشافي: ٢٩٢ ط حجرية.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٢: ٢١٥ ط الحسينية بمصر.

أخبار مذكورة ولكنها مخدوشة الإسناد فكيف يصح إليها الإستناد، وقد ذكر المرحوم الشيخ الأميني طائفة منها وبيّن عوارها[1].

وقال السيّد أحمد بن موسى ابن طاووس المتوفى (٦٧٠) في كتابه: وتعلق - يعني الجاحظ - بقول ابن عباس لعائشة: (نحن سمّينا أباك صدّيقاً) وهذا، إن ثبت فمعناه بطريقنا (سُمّي أبوك صدّيقاً) والقرائن دالّة على ذلك، إذ فنون كلمات ابن عباس تشهد لأمير المؤمنين - صلّى الله عليه - بعلوّ الدرجات الساميات، وأنّه الشمس التي لا تكسفها يد الحادثات، الصادق في اللهجات، وأنّ حال بني هاشم مع الّذين تقدّم عليهم ظاهر في المعاينات (المعاتبات - ظ)[2].

وعلينا أن نستحضر في المقام ما مرّ من كلمة الفيروزآبادي في خاتمة كتابه سفر السعادة في باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات، وقال بعد ذكر أحاديث مفتعلة في فضائل أبي بكر: وأمثال هذه من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل. ومثله.

ثمّ لنقرأ ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي بكر من قول ابن أبي عزة القرشي الجمحي:

شكراً لمن هو بالثناء خليق ... ذهب اللجاج وبويع الصدّيق
من بعد ما دحضت بسعد نعله ... ورجا رجاءً دونه العيّوق

(١) راجع موسوعة الغدير ٥: ٤٧٦ ط مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي.

(٢) بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية: ٢٨٥ ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

جـاءت بـه الأنـصار عاصـب   فأتـاهم الـصدّيق والفـاروق
وأبـو عبيـدة والـذين إلـيهم   نفـس المؤمـل للبقـاء تتـوق
كنـا نقـول لهـا عـليّ والـرضى   عمـر وأولاهـم بتلـك عتيـق
فدعت قـريش باسمه فأجابها   إنّ المنـوّه باسـمه الموثـوق

ولكن مع الأسف أنّ الشاعر مجهول والشعر منحول، إذ لا يوجد في بني جمح من اسمه أبو عزة إلاّ أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عمير بن أهيب، وهذا قتله رسول الله ﷺ يوم أحد صبراً، بعد أن كان قد منّ عليه يوم بدر فأطلقه على أن لا يخرج مع أعدائه، فخان يوم أحد فأمر بقتله.

وهذا الإنسان لاعقب له كما ذكر ابن حزم[1]، وكذا قال غيره من النسّابين، فصار منح لقب الصدّيق لأبي بكر خاضعاً لعواطف سياسية تتلاعب بعقول الناس، وللسياسة دهاقينها يصرّفون الناس كما يشتهون.

فيوماً بحزوى ويوماً بالعقيق   تـردد أنغاماً لولهان عاشـق

فأبو بكر اسمه عتيق لأنّهم رووا عن النبيّ ﷺ انّه قال: هذا عتيق من النار؟! وأبو بكر لقبه الصدّيق لأنّهم رووا عن النبيّ ﷺ انّه قال ذلك له في أحاديث لم تسلم سنداً ولا متناً كما مرّت الإشارة إلى ذلك.

والله أعلم بمن قال وما قال.

غير أنّ السمعاني ذكر في تفسير الآية ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[1] فقال: والصدّيق كثير الصدق وهو للمبالغة، ومنه سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه صدّيقاً،

---

(١) كما في الجمهرة: ١٦٢.

وقيل سمي صدّيقاً لأنّه قيل لـه إنّ صـاحبك يقـول أُسري بي إلى الـسماء فقال ان (هو قال) ذلك فقد صدق.

والآن إلى المبحـث الرابـع في صـدّيقية الإمـام أمير المـؤمنين عليه السلام، وإلى القارئ ما ذكرته في كتاب (عليّ إمام البررة) ممّا يتعلّق بالمقام:

---

(١) المائدة: ٧٥.

المبحث الرابع: عليّ الصدّيق الأكبر

«يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمّة»

أكــبرُ صــدّيق أتــاهُ لَقَبــاً مع النبيّ كـان للنـاس أبـاً

إشارة منه دام ظله إلى فضيلتين خصّ النبيّ ﷺ بهما أمير المؤمنين عليه السلام:

الأولى: لقّبه بالصدّيق الأكبر. والثانية: جعله معه أباً للأمّة.

أمّا الأولى: فقد ورد في عدّة أحاديث أنّه ﷺ لقّبه تارة بالصدّيق وتـارة بالصدّيق الأكبر.

١ - أمّا ما ورد من تلقيبه بالصدّيق فمن ذلك ما رواه ابن عباس وأبـو ليلى وجابر وأبو أيوب الأنصاري وغـيرهم عنـه ﷺ، قـال: الـصدّيقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار صاحب آل يس، وعـلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم[1].

---

(١) راجع أحاديث الصحابة المذكورين وغيرهم في كلٍّ من: مناقب الإمام أميرالمؤمنين لأحمد بن حنبل (مخطوط)، مناقب ابن المغازلي:٢٤٥، الرياض النضرة ٢: ١٥٣ ط تصحيح النعساني، كفاية الطالب: ٤٧، فرائد السمطين ١: ٢٨٢، شواهد التنزيل ٢: ٢٢٤، معرفة الصحابة لأبي نعيم ١: ٣٠٢ ط مكتبتي الدار بالمدينة والحرمين بالرياض، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١: ٨٠، ينابيع المودّة: ١٢٤ ط إسلامبول عن أحمد في مسنده وأبي نعيم وابن المغازلي والموفق الخوارزمي، وص ١٨٥ نقلاً عن مناقب أحمد، وص ٢٣٣ و٢٨٤، أُسد الغابة ٥: ٢٨٧، الفتح الكبير للنبهاني: ٢٠٢، مشارق الأنوار للحمزاوي: ٧٨ ط مصر بمطبعة الشرق سنة ١٣٥٦ هـ، منتخب كنز العمّال (بهامش مسند أحمد) ٥: ٣٠ ــ ٣١،

٢ - أمّا ما ورد من تلقيبه عليه السلام بالصدّيق الأكبر فمن ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وآله: إنّ هذا ـ يعني عليّاً ـ أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهذا فاروق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين .وقد رواه غير واحد من الصحابة، منهم سلمان وأبو ذر وابن عباس وحذيفة وأبو ليلى الغفاري وغيرهم بألفاظ متفاوتة، ومنهم من سمعه يقول لعليّ ما مرّ نقله، ومنهم من سمعه يقول له: أنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الّذي يفرق بين الحقّ والباطل(١).

الصواعق المحرقة: ٧٤ ــ ٧٥ ط الميمنية، شرح نهج البلاغة ٢: ٤٥١ ط مصر الأولى، فردوس الأخبار للديلمي حرف الصاد ٢: ٥٨١، تفسير الرازي ٢٧: ٥٧ ط عبد الرحمن محمّد بمصر، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٥٦ ط بولاق، السراج المنير للعزيزي ١: ٤٠٣ ط الشرقية سنة ١٣٠٤ هـ، جمع الجوامع كما في ترتيبه كنز العمّال ١٢: ٢٠١ ــ ٢٠٢ ط حيدرآباد الثانية، التيسير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٢: ١٠٤ ، ثمّ قال: فهو صدّيق هذه الأمة الأعظم، ولهذا قال: أنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها غيري، الأمالي الخميسية للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري ١: ١٣٩، ذخائر العقبى: ٥٦، فيض القدير للمناوي ٤: ٢٣٧ ــ ٢٣٨.

(١) وقد أخرج أحاديثهم كلٌّ من: المحب الطبري في الرياض النضرة ٢: ١٥٥، وقد قال في ص ١٥٣: وسمّاه رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم صدّيقاً، وحكى في ص ١٥٥ عن الخجندي قوله: ويلقب بيعسوب الدين وبالصدّيق الأكبر، ذخائر العقبى: ٥٦، الاستيعاب لابن عبد البر ٤:١٦٩ بهامش الإصابة ط مصطفى محمّد، المناقب للخوارزمي: ٦٢ ط تبريز، أُسد الغابة ٥: ٢٨٧ ط مصر الأولى، فرائد السمطين ١: ١٣٩ ــ ١٤٠، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١: ٧٥ ــ ٧٨، أبو جعفر الإسكافي في نقض العثمانية للجاحظ المطبوع معها بمصر: ٢٠ جمع ونشر السندوبي سنة ١٣٥٢ هـ، شرح النهج للمعتزلي ٣: ٢٥٧ ط مصر الأولى، اللئالئ المصنوعة للسيوطي ١: ١٦٧، السيرة الحلبية ١: ٣٨٠ ط سنة ١٣٢٠، البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني نقيب دمشق ٢: ١١٠ ط حلب و٣:٢٧ ط دار الكتب

ولشيوع هذا اللقب وثبوته كان عليّ عليه السلام يفتخر به على المنبر، ويسمعه المسلمون، ويتحدّى به من يعانده، ولم يُؤثر أنّ أحداً أنكر عليه ذلك أو غمز فيه، فقد كان عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر، وأنا الفاروق الأعظم، لا يقولها بعدي إلاّ كاذب مفترٍ، ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين، قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة(١١٩).

العلمية، بيروت، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٠٢ ط القدسي، جمع الجوامع للسيوطي كما في ترتيبه كنز العمّال ١٢: ٢١٤ ط حيدر آباد الثانية، منتخب كنز العمّال للمتقي الهندي ٥: ٣٣ بهامش مسند أحمد ط الأولى بمصر، الأمالي الخميسية للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري ١: ١٤٤، ميزان الاعتدال للذهبي ١: ٣١٦ ط السعادة بمصر، جمع الفوائد للروداني ٢: ٣٣١.

(١١٩) أخرجه بهذا اللفظ أو بألفاظ متقاربة كلٌّ من: سنن ابن ماجة ١: ٥٧ ط الغازية،ص ٤٤ ط مصر برقم ١٢٠ ط محققة، خصائص النسائي: ٣ ط التقدم ، مناقب الإمام لأحمد بن حنبل (مخطوط)، رسالة النقض على العثمانية للإسكافي: ٢٠ ط مصر ونشر حسن السندوبي، وقال في ص ٢٨: ولو كان إسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام على رؤوس الأشهاد ولا خطب على المنبر وهو بين عدو محارب وخاذل منافق فقال: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، صلّيت قبل الناس سبع سنين، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وآمنت قبل إيمانه. فهل بلغكم أنّ أحداً من أهل ذلك العصر أنكر ذلك، أو عابه أو ادّعاه لغيره، أو قال له: إنّما كنت طفلاً... إلى آخر كلامه في إثبات مرامه، مستدرك الحاكم ٣: ١١١، الرياض النضرة ٢: ١٥٥، ١٦٧، ذخائر العقبى: ٥٨، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢: ٢٠ ط حيدرآباد، تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك ٣: ١١١، الكشف والبيان للثعلبي (مخطوط)،شرح النهج للمعتزلي ١: ١٠ ط مصر الأولى، الأوائل لأبي هلال العسكري، الضعفاء للعقيلي في ترجمة عباد بن عبد الله ٣: ١٣٧ ط دار الكتب العلمية، تهذيب الكمال للمزي، المصنف لابن أبي شيبة، فرائد السمطين ١: ٢٤٨، اللئالئ المصنوعة ١: ١٦٦ ط بولاق، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١: ٥٣ ـــ ٥٤، جمع الفوائد للروداني ٢: ٣٣١ نشر المكتبة الجامعة بمكة المكرمة، جمع الجوامع للسيوطي كما في

ونختم الحديث عن اختصاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بلقب الصدّيق الأكبر بقول السيّد الحميري ولنَعِمَ ما قال:

أشهدُ بالله وآلائه — والله عمّا قلته سائلي
إنّ عليّ بن أبي طالب — لخير ما حاف وما ناعل
صدّيقنا الأكبر فاروقنا — فاروق بين الحقّ والباطل[1]

هذا ما يتعلق بالفضيلة الأولى الّتي أشار إليها الناظم دام ظله بقوله:

أكبر صدّيق أتاهُ

وأمّا الفضيلة الثانية: وهي الّتي أشار إليها بقوله:

... ... — مع النبيّ كان للناس أباً

فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله قوله لعليّ: (أنا وأنت أبوا هذه الأمة)، أو قوله: (أنا وعلي أبوا هذه الأمة)، أو قوله: (أنا وهو أبوا هذه الأمة)[2].

وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة حديث أبي سعيد بن عقيصا، عن الحسين، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أنت أخي وأنا أخوك... إلى أن قال: أنا وأنت أبوا هذه الأمة. الحديث[1].

ترتيبه كنز العمّال ١٥: ١٠٧، ١٤٥، تاريخ الطبري ٢: ٥٦، أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ١٤٩ (في ترجمة الإمام) ط بيروت بتحقيق المحمودي.

(١) ديوان السيّد الحميري: ٣٣٧ ــ ٣٣٨ ط بيروت.

(٢) غاية المرام: ٥٤٤ ــ ٥٤٥ نقلاً عن المناقب المائة لأبي الحسن بن شاذان من طريق العامّة، وعن غيره من طريق الخاصّة في ثلاث منها النصوص المتقدمة.

وأخرج القندوزي أيضاً في الينابيع عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله قد فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وفرض عليكم طاعة عليّ بعدي، ونهاكم عن معصيته، وهو وصيي ووارثي، وهو منّي وأنا منه...إلى أن قال: وأنا وهو أبوا هذه الأمة[٢].

وروى في غاية المرام نقلاً عن الخصائص للشريف الرضي رحمه الله وقد أخرجه الشريف[٣] بإسناد عن سلمة بن كهيل عن أبيه في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾[٤]. قال: أحد الوالدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥]. وهناك أحاديث تؤكد هذا المعنى بلفظ: حقّ عليّ على هذه الأمة - على المسلمين - كحقّ الوالد على الولد - على ولده - .

وتلكم الأحاديث رواها من الصحابة عليّ عليه السلام، وعمّار بن ياسر، وجابر بن عبد الله، وأبو أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، كلّهم رووها عنه صلى الله عليه وآله، وقد أخرجها الحفّاظ في زبرهم[٦].

---

(١) ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ١٢٣ نقلاً عن المناقب.

(٢) المصدر السابق: ١٢٣ نقلاً عن المناقب.

(٣) نفس المصدر: ٣٩ ط الحيدرية.

(٤) العنكبوت: ٨.

(٥) غاية المرام للسيد هاشم البحراني: ٥٤٥.

(٦) كالخوارزمي في مناقبه: ٢٢٤ ط تبريز، والمحب الطبري في الرياض النضرة ٢: ١٧٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ترجمة الإمام عليه السلام).



الباب الثالث

في مصادر خطب الزهراء عليها السلام

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث، قبلها تمهيد في حيثياتها عدداً وزماناً ومكاناً وأسبابها، ثم آثارها في المجتمع، وتأثيرها على التاريخ.

وسوف نقرأ في المبحث الأوّل: المصادر في التراث الشيعي.

وفي المبحث الثاني: المصادر في التراث السنّي.

وفي المبحث الثالث: النصوص بصورها من المصادر المختارة.

التمهيد

أوّلاً: ماذا عن عدد الخطب؟

سؤال قد يبدو مستغرباً لدى الكثير من القرآء، فهل هناك خطب متعددة؟ أو أنّها هي خطبة واحدة خطبتها سلام الله عليها في مسجد أبيها على حشد من المهاجرين والأنصار؟

والجواب: انّها ثلاث خطب، أشهرها التي كانت في المسجد، والثانية والثالثة كانت في بيتها.

وتوضيح ذلك: انّ الخطبة الأولى كانت الوحيدة في شهرتها وبليغ بيانها وقوّة برهانها، كما أنّها الفريدة في طولها، وما جرى عليها وفيها من كلام ونقض وإبرام، وهي مدرسة لمن يريد تعلم أساليب الكلام في الجدل والخصام ووثيقة متكاملة في تسجيل أحداث تلك الحقبة العصيبة،

وتعرف بالخطبة (الكبيرة) وخطبة (اللمة) لقول الراوي في أوّلها يصف خروجها عليها السلام (في لمّة من حفدتها).

أمّا الخطبة الثانية، فهي كلام جرى مجرى الخطبة استعرضت فيه بيان ظلامتها، وتقريع خصومها، ألقتها على مسامع النساء اللواتي أتين لعيادتها من نساء المهاجرين والأنصار، وتسمّى بالخطبة (الصغيرة).

وأمّا الخطبة الثالثة فهي كلام لها مع عائشة بنت طلحة وقد دخلت عليها فرأتها باكية فقالت لها: بأبي أنت وأمي ما الّذي يبكيك؟ فانفجرت تبثها شكواها من صحابة أبيها الذين ما رعوا لها حرمة، وقد ذكرت الشيخين بما ينبئ عن مدى غيظها منهما وغضبها عليهما، كما سيأتي ذلك في محلّه. ولمّا كان هذا الكلام جرى مجرى ما تقدّم في معنى الخطبتين، فقد جعلته خطبة ثالثة وإن لم يعرف عنها من قبل إلاّ القليل.

ثانياً: ماذا عنها زماناً ومكاناً وموضوعاً؟

لقد كان زمان الخطبة (الكبيرة) وهي الأولى زماناً ومن حيث الترتيب أيضاً فهي بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بفترة ربّما جاوزت الشهر فما بعده لأن الزهراء عليها السلام لم تضطر إلى الخروج إلى المسجد لتعلن سخطها على أبي بكر ومن معه، إلاّ بعد أن أجمع أبو بكر على منعها فدكاً، وذلك بعد أن كانت قد استنفذت جميع وسائل المطالبة المتاحة لها - ففي حديث عائشة وقد

رواه ابن سعد[1] قالت - : انّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ فيما أفاء الله على رسوله، وفاطمة حينئذٍ تطلب صدقة النبيّ التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلّمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر[2]. ولم تفصح عائشة عن اسم الرسول الّذي أرسلته الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر في ذلك، ويبدو لي أنّها عليها السلام لّما رأت انّ ذلك لم يجد شيئاً مع أبي بكر، فقد أتت هي ومعها العباس، وهذا أيضاً روته عائشة قالت: انّ فاطمة عليها السلام والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذٍ يطلبان أرضيهما من فدك، وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال، قال أبو بكر: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلاّ صنعته .

قال: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتى ماتت[3].

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧٣.

(٢) رواه أحمد في المسند ١: ٣٤ برقم ٢٥ تحـ شاكر و١: ٤٥ برقم ٥٥، ورواه البخاري في صحيحه في أواخر باب غزوة خيبر ٥: ١٣٩، ورواه غيرهم.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفرائض باب قول النبيّ ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة ٨: ١٤٩، كما رواه أحمد في مسنده وعبد الرزاق في مصنفه وغيرهما.

ولّما كان حديث المطالبة بفدك تعـدّدت رواياتـه، وتفاوتـت نـصوصه، لتعدد مرات المطالبة، وتعدد وجوه المطالبة فمن دعوى النحلـة أوّلاً، ثـم المطالبة بالميراث ثانياً، لهـذا كلّـه وقـع الخلـط بـين الـدعويين في التقـديم والتأخير عند بعض الرواة، لعدم استيعاب كـل واحـد مـنهم جميـع مـا جرى، فمـنهم مـن روى مـا حـضره، ومـنهم روى مـا بلغـه، وفي أولاء وهؤلاء من لم يتفطّن إلى حقيقة وجه المطالبة، فروى ما عنده كيفما خبُره.

ولو أمعنا النظر في تلك الروايات لرأينا جملـة منهـا تتفـق في المـضمون وتختلف في الأداء إجمالاً وتفصيلاً، وللدلالة عـلى هـذا سـنذكر للقـارئ رواية عن الإمام الصادقعليه السلام وردت في كتاب الاختصاص للمفيد وهـو من التراث الشيعي وورد مضمون جانب منها باختصار في كتـاب فتـوح البلدان للبلاذري وهـو مـن الـتراث الـسنّي، وفـيهما معـاً نجـد مطالبـة الزهراءعليها السلام بفدك لأنها نحلة فطلب أبو بكر منها البيّنـة فجـاءت بعـليّ وأم أيمن، وهذا هو القدر المشترك بين روايتي التراث الـشيعي والـسنّي، أمّا مقدّمات المطالبة وكيف حدثت؟ ومتى كانت؟ وإلى أين انتهت، فهذا كلّه مسكوت عنه في رواية البلاذري - من التراث السنّي – لماذا؟ بينما هو مذكور في رواية المفيد في الاختصاص - من التراث الشيعي، وذلك كلّـه قد استغرق زماناً طويلاً قبل أن تصحر السيدة الصدّيقةعليها السلام بـدعواها في مسجد أبيها ، لذلك لا يمكن تصديق ابن أبي الحديد في ان الخطبة كانـت بعد عشرة أيّام من وفاة النبيّصلى الله عليه وآله وسلم .

فلنقرأ الّذي جاء في التراثين في هـذا المقـام. ففـي كتـاب الاختـصاص (حديث فدك) عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قـال: لّما قـبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلس أبو بكر مجلسه بعث إلى وكيل فاطمة صلوات الله عليها فأخرجه من فدك، فأتته فاطمة فقالت : يـا أبـا بكـر ادّعيـت أنّـك خليفة أبي وجلست مجلسه، وأنّك بعثت إلى وكيلي فأخرجتـه مـن فـدك، وقد تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدّق بها عليّ وأن لي بـذلك شـهوداً، فقـال لها: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يورّث ، فرجعت إلى عليّ عليه السلام فأخبرته فقال: ارجعي إليه وقولي لـه: زعمـت أنّ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يـورّث، وورث سـليمان داود، وورث يحيى زكريا، وكيف لا أرث أنـا أبي؟ فقـال عمـر: أنـت معلّمـة. قالت: وإن كنت معلّمة فإنّما علّمني ابن عمي وبعلي، فقال أبو بكر، فـإنّ عائشة تشهد وعمر أنّهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: انّ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يورّث، فقالت: هـذا أوّل شـهادة زور يـشهدان بهـا في الإسـلام، ثـم قالت: فإنّ فدك إنّما هي صدّق بها عليّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولي بـذلك بيّنـة، فقال لها: هلمي بيّنتك، قال: فجاءت بأم أيمن وعلي عليه السلام فقال أبـو بكـر: يا أم أيمن إنّك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في فاطمة؟ فقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ثم قالت أم أيمن: لمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدّعي ما ليس لها؟ وأنـا امـرأة مـن أهـل الجنة ما كنت لأشهد إلاّ بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصص بأي شئ تشهدان، فقالت: كنـت جالـسة في

بيت فاطمة عليها السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس حتى نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد قم فإنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أخطّ لك فدكاً بجناحي فقام رسول الله صلى الله عليه وآله مع جبرئيل عليه السلام فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبة أين ذهبت؟ فقال: خط جبرئيل عليه السلام لي فدكاً بجناحيه وحدّ لي حدودها، فقلت: يا آبة إنّي أخاف العيلة والحاجة من بعدك فصدّق بها عليَّ. فقال: هي صدقة عليك، فقبضتها؟ قالت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أم أيمن إشهدي، ويا عليّ أشهدا[1]. فقال عمر: أنتِ امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأمّا عليّ فيجرّ إلى نفسه.

قال: فقامت مغضبة وقالت: اللّهمّ انّهما ظلما ابنة محمّد نبيّك حقها، فأشدد وطأتك عليهما. ثم خرجت. وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين معهما وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا الله فإنّي ابنة نبيّكم، وقد بايعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله صلى الله عليه وآله ببيعتكم.

قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها[2].

---

(١) أخرج الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين ١: ٧١ بسنده عن أبي سعيد قال: لمّا نزلت آية ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ الاسراء: الآية٢٦، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً، وقد روى ذلك أيضاً السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية الشريفة.

(٢) الاختصاص: ١٧٨ ــ ١٧٩ ط الحيدرية.

ففي هذا الحديث كانت دعوى النحلة، إلاّ انّ أبا بكر تذرع بأنّ النبيّ ﷺ لا يورّث ، فردّت عليه الزهراء عليها السلام بارث سليمان من داود ويحيى من زكريا، ولمّا أراد عمر نصرته من حيث لا تنفع، ورأى أبو بكر نفسه مخصوماً زعم انّ عائشة وعمر سمعا من النبيّ ﷺ أنّه لا يورّث. ولمّا طعنت في شهادتهما، عادت إلى دعواها الأولى وهي النحلة فطالبها بالبيّنة، فأتت بأم أيمن وعلي، وشهدا فلم يقبل أبو بكر تلك الشهادة، وفي هذه الحال منه أوقع أنصار الفقه السلطاني في حيص وبيص، إذ لم يكن له الحقّ أولاً في سلب فدك من مالكتها الصدّيقة عليها السلام لأنّها صاحبة اليد، فهو طرد وكيلها منها ظلماً وعدواناً وأخذها غصباً فهذه مخالفة أولى وثانياً: طلب البيّنة من الزهراء عليها السلام على صدق دعواها مع انّها سيدة نساء أهل الجنة، ومن كانت سيدة نساء أهل الجنة لا تدعي ما ليس لها وهذا ما احتجت به أم أيمن (رحمها الله) . وهذه مخالفة ثانية.

وثالثاً: ردّ شهادة أم أيمن وعلي، بحجة أنّه لا يجيز شهادة امرأة وحدها. وأنّ عليّاً يجرّ إلى نفسه كما قال عمر، وكلاهما مشهود لهما بالجنة، ومن كان من أهل الجنة لا يشهد زوراً وهذه مخالفة ثالثة، وتتبعها رادفة وخالفة .

ورابعاً: وخامساً... وهكذا فتق فتقاً لا يرتق وترك فقهاء السلاطين في حيرة من أمره فشرّقوا وغرّبوا، وسيأتي بعض ما عندهم فيما ننقله من النصوص عن شرح النهج لابن أبي الحديد.

ولقد روى البلاذري هذا بصورة مختصرة فقال: (إنها قالت لأبي بكر: انّ رسول الله ﷺ جعل لي فدك فأعطني إيّاها، وشهد لها عليّ بن أبي طالب، فشهدت لها أم أيمن، فقال: قد علمت يا بنت رسول الله انّه لا تجوز إلاّ شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فانصرفت)[1].

(أقول) أحسب انّها لما رأت انّ ذلك لم يغيّر من موقف أبي بكر شيئاً، فذهبت هي وعمّها العباس معها كما مرّ في حديث عائشة، ولما رأت انّ ذلك أيضاً لم ينفع مع أبي بكر لتصلّبه بموقفه، وإصراره على عدم إرجاع فدك ولا غير فدك (حتى سهم ذوي القربي فأصحرت بظلامتها في مسجد أبيها، فصح إذن استعمال الرواة لصيغة (لّما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فدكاً...) والمراد بالإجماع في المقام هو التصميم وسبق الإصرارعن عمد، وهذا لا يعرف عادة إلاّ بعد تكرار المراجعة سابقاً حول الموضوع، وهذا جميعه يستغرق وقتاً طويلاً ربّما جاز الشهر على أقل التقدير.

هذا ما أراه في زمان الخطبة الكبيرة وهي الأولى زماناً، كما هي الأولى في نسق الترتيب الآن .

أمّا عن المكان الّذي خطبت فيه فهو المسجد النبوي الشريف، وهذا ما لا شك فيه ويبدو من بعض النصوص انّه كان للمهاجرين مجلسهم الخاص وذلك هومجلس أبي بكر، كما انّ للأنصار كان مجلسهم الخاص في جانب من المسجد، حيث دل على ذلك الفصل الثاني من الخطبة،

---

(١) فتوح البلدان: ٣٦.

واختصاص المخاطبة بأبي بكر والمهاجرين وزادنا تأكيداً ما جاء في أول الفصل الثالث في مخاطبة الأنصار. (ثم عدلت إلى مجلس الأنصار).

وأمّا عن موضوع الخطبة فقد اشتملت على ثلاثة أنحاء من البيان، استعرضت في الأوّل جانباً كبيراً من علل الأحكام في التشريع، وفي الثاني احتجت على أبي بكر والمهاجرين الذين معه بقوارص الكلام مع قوة الحجة في البيان، وفي الثالث عاتبت الأنصار عتاباً ممضّاً ممّا أيقظ فيهم الحسّ الخامل، والجاهل الغافل، كما سيتضح ذلك من قراءة النص.

هذا جميعه ما يتعلّق بالخطبة الأولى وهي التي حفلت بها المصادر الكثيرة.

وأمّا زمان الخطبة الثانية فهي في أيّام مرضها عليها السلام، إذ كانت قالتها لنساء المهاجرين والأنصار وقد أتين لعيادتها، ومن المعلوم أنّها لم تمرض عقب وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل، وإن جلّ الخطب وعظم المصاب، لأنّها كانت بعد الهجوم على بيتها يحملها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً تستنصر الأنصار وهم في مجالسهم، فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو انّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا عنه، فيقول عليّ - كرّم الله وجهه - أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه.

فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[1].

فالخطبة في نساء المهاجرين كانت بعد هذا زماناً، وإذا اعتمدنا تعبير الوزير الآبي[2] في المقام فقد ذكر (قولها عند احتضارها) وهذا يعني انّ النساء أتينها عائدات في أخريات أيّامها عليها السلام ومكانها بيت الزهراء عليها السلام وموضوعها عتاب أقوى من سباب.

وأمّا الخطبة الثالثة وهي كلامها مع عائشة بنت طلحة فزمانها أيّام شدّة بكائها لمصائب فقد النبيّ وغصب الوصي وهضمها من الصحابة، فلم يراعوا فضل القرابة، ومكانها هو بيتها عليها السلام، وموضوعها كسابقتها.

ثالثاً: قراءة واعية في التاريخ من جديد:

لاشك في أنّ التاريخ الإسلامي خضع في تسجيله لعواطف محسوبة ولم يكتب بنزاهة تامة، ولم يأتنا بجميع حذافيره صحيحاً، ولذلك طالب كثيرون بإعادة كتابة التاريخ من جديد، وحتى هذه المطالبة أيضاً خضعت لأهواء وآراء لست بصدد البحث عنها فعلاً، وحسبنا أن نقول بما قاله المستشار محمّد سعيد العشماوي في كتابه فقد قال: (وقد بدت نزعة غريبة تزعم انّ التاريخ الإسلامي قد زيّف إذ عمد العباسيون إلى

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٢.

(٢) أنظر نثر الدرر ٤: ٨ ط العلمية بيروت.

تشويه أعمال الأمويين، وسعى خلفاء العباسيين إلى الإساءة لأعمال هؤلاء، وقصد الشيعة إلى العبث بكلّ أفعال وأقوال السنّة وهكذا... إنّ دعوى تزييف التاريخ الإسلامي لإخفاء وقائع ضد الإسلام تعمل من حيث تدري أو لا تدري على توطيد احتمالات عودة مثل هذه الوقائع وتكرارها ما دامت لا تستنكرها ولا تستهجنها، ولا تعرف انها ضد الإسلام ذاته)[1].

(لكن الحقيقة ستبقى واضحة، وإنّ من عمل المسلم الحقّ - وصحيح إيمانه - أن يرفض كل ما هو مضاد للإسلام منافٍ للشريعة، حتى ولو كان صدر من صاحب شأن أو مكانة، أو كان قد تكرر على مدى التاريخ الإسلامي حتى أخفى وراءه الحقيقة، لقد صاحب هذا الإنكار دفاع عن الأمويين وغيرهم من الطغاة، كأنّما ذكر مظالم الظالمين دون التبرّؤ منها يسئ إلى الإسلام ولا يطهّره منها ومنهم)[2].

والذي يعنينا في المقام ما يتعلّق بخطب الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقلت انّها كوثائق تاريخية عن حقبة تاريخ الصدر الأوّل، الّذي تحاشى المؤرّخون اقتحام البروج العاجية لرموزه فيما لهم وعليهم، غير أنّ بعض الأقلام الحرّة نفثت بما يكنّه أصحابها ممّا ينبغي أن نسوقه في المقام شاهداً، داعياً إلى قراءة واعية في التاريخ من جديد عن حقبة صدور الخطب

(١) الإسلام السياسي لمحمد سعيد العشماوي: ٣ ط ٤ الناشر مدبولي الصغير بمصر.

(٢) نفس المصدر: ٣١.

الفاطمية فيها تمهيداً لمعرفة أسبابها ومسبباتها وآثارها سلباً وايجاباً، فإنّ تاريخ تلك الحقبة عليه من التعتيم السياسي ما يشوّش الرؤية، وحتى تفاوت الناس في قبوله ورفضه كلاً أو بعضاً، فلابدّ لنا من قراءة بعض نفثات تلك الأقلام الحرّة والجريئة قراءة واعية.

١ – قال محمّد فريد وجدي بعد أن ذكر خطبة أبي بكر يوم السقيفة نقلاً عن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة فقال: (يرى المتأمل في خطبة أبي بكر انّه لم يشر إلى حديث الخلافة في قريش، مع انّه كان أمضى سلاح له في ذلك اليوم الصعب، الأمر الّذي يجعلنا نشك في صحته، وانّ الكتاب الّذي نقل منه هذه الخطبة هو من أقدم الكتب وأوثقها في مسائل الخلافة الإسلامية)[1].

ثم قال ناقداً أبا بكر في خطبته فقال: يؤخذ من خطبة أبي بكر رضي الله عنه انّه احتج بفضل المهاجرين على الأنصار، أنّهم أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجابوه.. ولكن هذا شئ والصلاحية للخلافة شئ آخر، فربّما سبق قوم إلى خير ولم يوجد فيهم من يصلح للملك[2].

وقال أيضاً: (وظن أكثر المسلمين انّ الإنسان يأثم إن انتقد أحد الصحابة أو رأى خلاف رأيه، واستحال لديهم هذا الظن إلى وسوسة حسنّت لهم أن ينظروا لحوادث ذلك التاريخ من خلال حجب مموّهة

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٢: ٣١٢ ط دار الفكر.

(٢) نفس المصدر: ٣١٣.

حتى يروا فيه كل شئ حسناً، وكل عمل متقناً، وقد غلا بعضهم فقال: قاتلهم ومقتولهم في الجنة، والحقيقة أنّهم بشر مثلنا، وإن كانوا أفضل منّا تقوى وإيمانًا وحباً للحق وقربهم من النور المحمّدي، ولكن لا يقول أحد أنّهم منزهون عن الخطأ، وبأن جميع أعمالهم حسنة، مع انّه قد ثبت لنا أنّهم تجادلوا وتشاتموا وتضاربوا، وقتل بعضهم بعضاً، ومرّ عليهم زمن كانت فيه المجازر بينهم على أشد ما يكون بين المتخاصمين من الشعوب المتعادية)[1].

وقال أيضاً: يقول عمر رضي الله عنه : (والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم) وهذا الكلام عليه رائحة من التمييز بين القبائل، فقوله من غيركم - أي يا معشر الأنصار - مع انّ الأنصار والمهاجرين وجميع سكان جزيرة العرب هم عرب لا جدال في أصلهم، فكيف يسوغ أن يقال للأنصاري نبيّنا من غيركم، وقد محا الله التمايز بالقبائل؟ ولم يمح الله التمايز بين قبائل العرب فقط، بل محاها من بين جنسيات جميع المسلمين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ - ولم يقل يا أيها العرب - إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2][3]. ولم يقل (أن أكرمكم عند الله من كان قرشيا) .

---

(١) نفس المصدر: ٣١٤.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) المصدر قبل السابق: ٣١٥.

٢ – قال عليّ عبد الرازق في كتابه: كانوا يومئذٍ – يوم السقيفة – إنّما يتشاورون في أمر مملكة تقام، ودولة تنشأ، وحكومة تُنشأ، ولذلك جرى على لسانهم يومئذٍ ذكر الإمارة والأمراء، والوزارة والوزراء... وتذاكروا قوة السيف ، والعزة، والثروة، والعدد، والمنعة، والبأس والنجدة، وما كان ذلك إلاّ خوضاً في الملك، وقياماً بالدولة، وكان من أثر ذلك ما كان من تنافس المهاجرين والأنصار، وكبار الصحابة بعضهم مع بعض، حتى تمت البيعة لأبي بكر... فكان أول ملك في الإسلام[1].

٣ – قال عبد الكريم الخطيب في كتابه: وإنّما كانوا يتنازعون في الحكم والإمارة، إذ لم تكن كلمة (خليفة) من الألفاظ التي وقعت في خواطر المسلمين، أو جرت على ألسنتهم في اجتماعهم يوم السقيفة[2].

٤ – قال أحمد أمين المصري في كتابه: (ومن مظاهر هذا – يعني عصبية العرب في تولية الأمر نقلاً عن ابن خلدون – ما كان من خلاف الصحابة على من يتولى الأمر بعد الرسول، (وكان هذا ضعف لياقة منهم إذ اختلفوا قبل أن يدفن الرسول، ولكن كان عذرهم في ذلك العمل على ضم الشمل وجمع الكلمة، فلمّا مات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حصل هذا الإختلاف، فبايع عمر أبا بكر ثم بايعه الناس، وكان هذا مخالفة لركن الشورى، ولذلك قال عمر: إنّها غلطة وقى الله المسلمين شرّها، وكذلك كانت

(١) الإسلام وأصول الحكم: ٩٢.

(٢) الخلافة والإمامة ديانة وسياسة: ٣٣٧.

غلطة بيعة أبي بكر لعمر، وإن كان قد استشار كبار الصحابة في ذلك فبعضهم حمده وبعضهم خاف من شدته...)[1].

٥ - وقال الدكتور طه حسين في كتابه: (وما أريد أن أتزيد ولا أنّ أتكلف، ولا أن أوذي بعض الضمائر، ولا أن أحفظ بعض الصدور، ولكني مع ذلك ألاحظ انّ جماعة من أصحاب النبيّ قد حسن بلاؤهم في الإسلام حتى رضي النبيّ عنهم وبشّرهم بالجنة أو ضمنها لهم، ثم طال عليهم الزمن، واستقبلوا الأحداث والخطوب، وامتحنوا بالسلطان الضخم العظيم والثراء الواسع العريض، ففسدت بينهم الأمور، وقاتل بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً، وساء ظن بعضهم ببعض، إلى أبعد ما يمكن أن يسوء ظن الناس بالناس، فما عسى أن يكون موقفنا نحن من هؤلاء؟

لا نستطيع أن نرضى عن أعمالهم جميعاً، فلا نلغي عقولنا وحدها، وإنّما نلغي معها أصول الدين التي تأمر بالعدل والإحسان وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ولا نستطيع أن نحكم بالخطيئة على من نظن أنّه قد خطئ لمكانتهم من النبيّ أوّلاً، ولما بشّرهم به النبيّ من الجنة ورضا الله ثانياً.

ولحسن ظنّهم بالله ورسوله وثقتهم بما وعد الله ورسوله وإيمانهم بالجنة التي بشّروا بها.

---

(١) يوم الإسلام لأحمد أمين المصري: ٥٣ ـــ ٥٤ وهو من خيرة كتبه.

وما نحب أن نذهب في أمرهم مذهب الذين عاصروهم من خصومهم وأنصارهم، فنحكم على بعضهم بالخير، ونحكم على بعضهم بالشر. فالّذين عاصروهم من الأنصار والخصوم كانوا شركاءهم فيما ألّمّ بهم من الفتنة، فكانوا يرضون أو يُسخطون حسب مكانهم من أولئك أو هؤلاء.

أما نحن فلسنا نعاصرهم ولا نشاركهم فيما شجر بينهم من الخلاف، وليس من المعقول لذلك أن نقحم عواطفنا في أمرهم إقحاماً، وإنما سبيلنا أن ننظر في أعمالهم وأقوالهم من حيث صلتها بحياة الناس وأحداث التاريخ، وأن نخطّئ من نخطئ ونصوّب من نصوّب منهم من هذه الجهة وحدها، دون أن نقضي في أمر دينهم بشئ ، فإنّ الدين لله، ودون أن نستبيح لأنفسنا أن نقول كما كان يقول أنصارهم وخصومهم: هؤلاء مؤمنون وهؤلاء كافرون، وهؤلاء في منزلة بين بين، وهؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار، ذلك شئ لا نخوض فيه، وليس لنا أن نخوض فيه، وإنّما أمره إلى الله وحده.

فأمّا الّذي إلينا فهو أن نتبيّن من أعمالهم وأقوالهم وسيرهم ما يلائم الحقّ والعدل والصواب وما لا يلائمها. وهذا في نفسه كثير، ولكن لابدّ ممّا ليس منه بدّ)[1].

هكذا قال طه حسين ونحن لا نصادقه على جميع قوله، ولكن نأخذ من كلامه ما ختم به (فهو أن نتبين من أعمالهم وأقوالهم وسيرهم ما يلائم

(١) الفتنة الكبرى ١: ٤٠ ــــ ٤١.

الحقّ والعدل والصواب، وما لا يلائمها، وهذا في نفسه كثير، ولكن لابدّ ممّا ليس منه بدّ).

ونصادقه على قوله: (ولكن أبا بكر لم يبايع بالخلافة عن مشورة من المسلمين، وإنّما كانت بيعته فلتة، وقى الله المسلمين شرّها كما قال عمر، كما أنّ عمر نفسه لم يبايع عن مشورة من المسلمين، وإنّما عهد إليه أبو بكر فأمضى المسلمون عهده... ولم تكن الشورى التي تمت بها خلافة عثمان مقنعة ولا مجزئة، فقد اختص عمر بها ستة من قريش على أن يختاروا واحداً منهم...)[1].

كما أنا نوافقه في قوله: (إنّ عليّاً كان أقرب الناس إليه - النبيّ ﷺ - وكان ربيبه، وكان خليفته على ودائعه، وكان أخاه بحكم تلك المؤاخاة، وكان ختنه وأبا عقبه، وكان صاحب لوائه، وكان خليفته في أهله، وكانت منزلته منه بمنزلة هارون من موسى، بنص الحديث عن النبيّ نفسه، لو قال المسلمون هذا كلّه واختاروا عليّاً بحكم هذا كلّه لما أبعدوا ولا انحرفوا... وكان كل شئ يرشح عليّاً للخلافة، قرابته من النبيّ ﷺ وسابقته في الإسلام، ومكانته بين المسلمين، وحسن بلائه في سبيل الله، وسيرته التي لم تعرف العوج قط، وشدته في الدين، وفقهه بالكتاب والسنّة، واستقامة رأيه).

---

(١) المصدر السابق ٢: ٣٥.

وقوله: (فكان بنو هاشم قد أبعدوا عن هذا الأمر عمداً، أبعدتهم عنه قريش، مخافة ان تظل لبني هاشم رعيّة، وألا تكون الخلافة في حيّ آخر من أحيائها)[1].

وقال: (وكانوا - الناس - كذلك يعرفون أنّ قريشاً قد صرفت الخلافة عن بني هاشم بعد وفاة النبيّ إيثاراً للعافية، وكراهة أن تجتمع النبوّة والخلافة لهذا البطن من بطون قريش، وكانوا يرون أنّ الله قد آثر بني هاشم بنبوّة محمّد ﷺ فاختصها بخير كثير، وأنّ بني هاشم ينبغي لهم أن يقنعوا بما آثرهم الله به من الخير الضخم والفضل العظيم)[2].

٦ـ وقال الدكتور صبحي الصالح (أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية): (لقد كانت بيعة أبي بكر للخلافة أول فتنة أو (فلتة) وقى الله المسلمين شرّها، وكانت مقدّماتها كنتائجها ذات طابع سياسي يتلخص في اختيار شخص دون شخص للخلافة)[3].

وقال وهو يتحدث عن تولية أبي بكر لعمر واختلاف الناس فيه: (على أنّ نفراً من الناس في تلك الفترة العصيبة بدؤوا يعتقدون أنّ السلطة الدينية يجب أن تفرضها على الناس سلطة إلَهية، فجعلوا السلطة بذلك

(١) المصدر السابق ١: ١٥٢.

(٢) نفس المصدر ٢: ١٥.

(٣) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها: ٨٧.

مفروضة لا منتخبة تعيّنها إرادة السماء كما تعيّن الأنبياء وتصطفي المرسلين)[1].

٧- وقال حسن فرحان المالكي في كتابه الصحبة والصحابة بين الأطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي في (مبحث الصحابة): من المباحث والموضوعات ذات الأهمية البالغة في التراث والفكر الإسلامي قديماً وحديثاً لما يترتب عليه من قضايا فقهية وحديثية وإيمانية وجوانب أخرى تتصل بالجوانب الفقهية والسياسية والشوروية والاقتصادية في الفكر الإسلامي...

إنّ موضوع (الصحبة والصحابة) من أكبر الموضوعات أهمية ، وأشدها حرجاً عند كثير من مفكري وعلماء المسلمين، بل عند سائر المهتمين بالإسلام ودراسته من غير المسلمين...)[2].

وقال أيضاً: (وكانت السياسة تلعب أيضاً الدور الأكبر في توسيع الفجوة بين علماء المسلمين وعوامهم، ولم يكن الساسة يشتهون الفرقة بين المسلمين لمجرد الإفساد بينهم، ولكن كانت لهم مصالح في تأييد هذه الجماعة أو تلك، ومنها إظهار الحاكم نفسه بمظهر الحريص على سلامة العقيدة، والحامي لها ضد الطوائف الأخرى، فلذلك شكّل مغفلّوا

---

(١) نفس المصدر: ٩٠ ط الأولى دار العلم للملايين بيروت.

(٢) الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي: ١٣ ط مركز الدراسات الإسلامية الأردن.

الصالحين والعوام الساعد الأيمن لكلّ سلطة تستغل هذه القضية على مرّ التاريخ، سواءً كان هؤلاء من السنّة أو الشيعة أو المعتزلة أو النواصب أو الخوارج...

وقضية (الصحابة) من القضايا المستثمرة في تصفية الخصوم أو كبتهم أو التضييق عليهم، أو التشكيك في عقائدهم، وتنفير الناس عنهم، وعن علمهم، دون النظر إلى حججهم وأدلّتهم.

ولذلك نجد انّ عبارة (فلان يطعن في الصحابة) تكفي للقضاء على كل إبداع بحثي عند أهل السنّة، كما تكفي عبارة (فلان يثني على أعداء أهل البيت) للقضاء على الإبداع نفسه عند ا لشيعة.

والشيعة والسنّة يشكلان أهم فرقتين إسلاميتين من حيث الانتشار وكثرة الانتاج الفكري، مع تقدم زمانهما وبداياتهما الهادئة من أيّام الخلافة الراشدة، بل إنّ جذورهما الأولى تمتد منذ عهد النبوة)[1].

وقال أيضاً: (حقاً انّ تعميم فضل الصحبة ومنزلتها على كل من لقي النبيّ ﷺ من المسلمين أدى إلى اختلاف بين كثير من الفرق الإسلامية، ولا زال الاختلاف بينهما إلى يومنا هذا، إذ أدّى هذا التعميم في المديح إلى

(١) نفس المصدر: ١٦.

تعميم فرق أخرى كالشيعة لنصوص أخرى في الذم، وأصبح الناجون عندهم أفراداً قلائل)[1].

وقال أيضاً: (وهناك أناس صحبوا النبيّ ﷺ قبل الحديبية لكنهم أساؤا الصحبة، أو تغيّروا، وبعضهم نافق، وبعضهم تذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن أبرز أولئك - ثم ذكر أكثر من سبعين اسماً ثم قال - : وغيرهم وأغلب هؤلاء متهمون بالنفاق مع انّ لهم صحبة قبل الحديبية، بل بعضهم مذكور في أهل بدر، وبعضهم قيل إنّه تاب، أمّا أسباب إتهامهم بالنفاق فمختلفة، فبعضهم قتل نفساً بغير حقّ، وبعضهم اعترض على النبيّ ﷺ أو لم يرض بحكمه، وبعضهم ساءت سيرته ونحو هذا)[2].

وقال أيضاً: (وكثير من الطلقاء لم يحسنوا الإسلام فهم الذين طلبوا من النبيّ ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط، وسرقة ثلاثة منهم جملاً يوم حنين (سرقه أبو سفيان وابنه معاوية وأخوه عتبة) حتى دعا عليهم النبيّ[3] وحاول بعض الطلقاء اغتيال النبيّ ﷺ، وبقي بعضهم مستهزءاً بالنبي ﷺ حتى لعنه ونفاه إلى الطائف، وهو الحكم بن أبي العاص، وركل بعضهم قبر حمزة بن عبد المطلب وقال: قد عدنا يا حمزة، وأثر عن

---

(١) نفس المصدر: ١٩٨.

(٢) نفس المصدر: ١٨٠.

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: (اللّهمّ العن الراكب والقائد والسائق).

هذا الشخص انّه قال: تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فليس هناك من جنة ولا نار[1].

وأخذ النواصب والشاميون ومغفّلوا الصالحين من أهل السنّة يحاولون تحسين صورة الطلقاء، وانّه حسن إسلام جميعهم مرددين الحديث الشريف: (الإسلام يجبّ ما قبله) متناسين الحديث الآخر الّذي أخرجه مسلم عن ابن مسعود[2]: (قال: قال أناس لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: أمّا من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام، وقد غفل عن هذا الحديث ومثله كثير من الناس)[3].

٨ - وقال الشيخ محمود أبو رية في كتابه: (والصحابة ناس يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من التابعين وغير التابعين - وقد أثبت التاريخ والقرآن يؤيّده - انّه قد وقع منهم مثل ما وقع من سائر خلق الله من الأناسي أجمعين، فكان منهم المنافقون، وكان منهم من ارتكب الكبائر، وكان منهم من قاتل بعضهم بعضاً، وكفّر بعضهم بعضاً، ثم كان منهم المرتدون، وغير ذلك ممّا يعلم من تاريخهم، ولا يستطيع عاقل منصف أن يدافع عنهم، وقد أشبعنا القول في أمر عدالة الصحابة، فارجع إلى

(١) إشارة إلى أبي سفيان فهو صاحب المقالة وقد قالها لمّا ولي عثمان، ومن الغريب انّ المؤلّف لم يسمّه..

(٢) صحيح مسلم ١: ١١١.

(٣) الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي ١٣٩ مركز الدراسات الإسلامية الأردن.

الفصل الّذي عقدناه لـذلك في كتابنـا (أضـواء عـلى الـسنّة المحمّديـة - الطبعة الثالثة)[1].

وقال أيضاً: (وممّا قالوه فيهم: إنّ بـساطهم قـد طـوي!! كـأنّ العدالـة موقوفة عليهم، والعصمة مختصة بهم! وكأنّهم في ذلك قـد ارتفعـوا عـن درجة الإنسانية، فلا يعتريهم ما يعتري كل إنـسان مـن سـهو أو خطـأ أو وهم أو نسيان، ولا نقول الكذب والبهتان! فحاشاهم من ذلك!!

وماذا يقولون فيما جاء في القرآن الكريم عنهم ووصفه لأعمالهـم، وانّـه قد نزلت سـورة خاصـة بالمنـافقين مـنهم وإنّ سـورة بـراءة قـد سـمّيت (بالفـاضحة)[2] لأنّها فضحت جماعة منهم - وإنّ أكثرهم قـد ارتـدّ بعـد موت الرسول ﷺ، وكذلك ما ورد فيهم من أحاديث صحيحة وأخبـار متواترة.

إذا جابهتهم بذلك نبحوك ولعنوك، وقالوا: مرتد وزنديق وفاسق، ثـم قذفوك بسبابهم وشتائمهم)[3].

٩ - وقال الدكتور هشام جعيط (تونسي) في كتابه:

---

(١) شيخ المضيرة أبو هريرة: ١١٩ ط دار المعارف بمصر.

(٢) أخرج البخاري عن سعيد بن جبير انّه قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظننا أنّها لم تبق أحداً ــ وهي تسمّى كذلك المنقّرة ــ لتنقيرها عن أسرار المنافقين، والمخزية، والمثيرة، والحافرة، والمنكّلة، والمدمدمة، والمقشقشـة، والمبعثرة، والمشـردة، وتسمّـى سـورة العذاب. (تفسير الكشـاف للزمخشـري ٢: ١٣٦).

(٣) المصدر قبل السابق: ٢٦٣ ــ ٢٦٥.

(ولم يكن العقائديون الشيعيون هم الوحيدين الذين فكّروا بالأمر، ولن يظلوا الوحيدين، لقد اغتُصب حقّ عليّ في الخلافة، إنّها فكرة شائعة حتى في أيامنا في الضمير الإسلامي قاطبة عند الشيعة والسنيّين معاً، كما أنّ من الصعب على السنيين أن يتبعوا عقيدتهم التي تضع عليّاً بعد عثمان من حيث الفضل. في الواقع يتمتع عليّ بحب المسلمين كافة، إمّا لأن التشيع فرض رؤيته للإنسان - في أفريقية، في مصر، في العراق - بعد مروره فيها، وإمّا نتيجة الأسطورة الملحمية الحيّة على الدوام التي اتخذت عليّاً موضوعها، وإمّا لأنّه تعذّب من جراء رفضه وخسارته بينما كان حبيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[1].

١٠ - وقال خالد محمّد خالد في كتابه: لقد كانت حياته - الإمام عليّ - في دورها الأخير وقفاً على قضية كبرى... أن يعيد للإسلام حقيقته، وللمسلمين وحدتهم، وللدولة الإسلامية تماسكها وشرعيتها واستقامتها.

أجل، كانت القضية التي نذر لها حياته هي ذي: أن يردّ الإسلام إلى حقيقته، وأن يردّ المسلمين إلى الإسلام، ولم يترك سلماً ولا حرباً يبلغان به

(١) (الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر) ترجمة خليل أحمد خليل، استاذ المعرفة والفلسفة الجامعة اللبنانية بمراجعة المؤلّف، نشر دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط الثالثة سنة ١٩٩٥ م.

غايته النبيلة، هذه إلاّ توصل بهما في عدالة وشرف، ولقد كانت قضيته واضحة المحيّا، مشرقة الجبين، ناصعة الحجة، طاهرة الضمير...)[1].

هذه عشرة شواهد من نفثات الأقلام الحرّة الجريئة على ما تعرض له تاريخ رموز الصحابة في تاريخ الإسلام السياسي من تضبيب وتعتيم، ودون كشف الحجاب فشهروا مقولة (عدالة الأصحاب) وكأنّها آي من وحي الكتاب، ولو أغمضنا عن كل ما قيل ويقال في حقّ الصحابة، وما جرى منهم مع القرابة، فكيف بنا ونحن نقرأ لهم اعترافات خطيرة، تكشف زيف الكثير من رموز تاريخ الإسلام السياسي: ولما كانت الأعمال بخواتيمها كما في الحديث النبوي الشريف، فإنّ كثيرا من الصحابة زلزلت الدنيا أقدامهم، فخاضوا غمارها وراء الأهواء، ولمّا أحسّوا بدنو أجالهم، ندموا على ما فرّطوا ولات مندم، فكانت منهم اعترافات بالخطأ، وأنّهم أحدثوا بعد النبيّ ﷺ ما لم يكن ينبغي لهم أن يحدث، وهذا هو الّذي حذرّهم منه ﷺ كما في جملة أحاديث الحوض التي رواها البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، وسيأتي ذكر بعضها. وقبل ذلك، فلنقرأ نماذج من الاعترافات الخطيرة.

(١) في رحاب عليّ: ١٨٠ ــ ١٨١ ط دار الأندلس بيروت.

رابعاً: اعترافات خطيرة تنسف تاريخ الإسلام السياسي والسيرة:

لقد عاش المسلمون تاريخهم الإسلامي السياسي من خلال الحكّام الذين بذلوا للمرتزقة، فرووا لهم أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ تمجّد بالصحابة نكاية بالقرابة، حتى زرعوا في النفوس بذرة (عدالة الصحابة) ولكنهم لسوء حظهم لم يراعوا نبتتها وسقايتها، وحذف الدخيل عنها كما يصنع البستاني في مراعاة زرعه، بل جمعوا الصحابة تحت خيمة الإسلام السياسي حتى الذين مردوا على النفاق، وهذا عصفت به رياح أحاديث الحوض، وحسب القارئ منها ما رواه البخاري في صحيحه في عشرة موارد كما في (قطف الروض من أحاديث الحوض) وإليه ثلاثة منها أحدها عن ابن عباس:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير آخر سورة المائدة باب قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[1] بسنده عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: (يا أيّها الناس إنّكم محشورون إلى الله حُفاة عراة غرلاً، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[2] إلى آخر الآية ثم قال: ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يقوم القيامة إبراهيم، ألا وأنّه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال

(١) المائدة: ١١٧.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[1] فيقال انّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)[2].

وثانيها عن أبي هريرة في كتاب الرقاق باب الحوض عن النبيّ ﷺ قال: بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلّم، فقلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلّم، قلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: انّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النَعم[3].

وثالثها عن ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت قال النبيّ ﷺ: إنّي على الحوَض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يا ربّي منّي ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللّهمّ انّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا.

---

(١) المائدة: ١١٧.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٥٥.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٢١.

فهذه الأحاديث لا تلتقي مع فكرة عدالة الصحابة أجمعين أكعتين أبصعين، وتكشف عن زيف عقيدة الطحاوي وأضرابه ممّن أفرط في حبّهم حتى جاز حدّ الغلو فقالوا: (ونحبّ أصحاب الرسول ﷺ ولا نفرّط في حبّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الحقّ يذكرهم، ولا نذكرهم إلاّ بخير، وحبّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[1].

ويقول أحمد بن حنبل : (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدّب، فإن تاب وإلاّ خُلّد في الحبس حتى يموت أو يرجع)[2].

وقال ابن حجر في الإصابة: (اتفق أهل السنّة على انّ الجميع عدول، ولم يخالف ذلك إلاّ شذوذ من المبتدعة...

ومع الأسف الشديد، إنّ هذا الإطراء والثناء، إنّما هو هباء في الهواء، لأنّ القرآن الكريم أكذب هذه الأحدوثة فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُّ الشَّاكِرِينَ﴾[3] إلى غير ذلك من آيات فصّلت - بدون محاباة أو ممالاة - مراتب الصحابة، فذكرت السابقين من

(١) شرح العقيدة الطحاوية.

(٢) كتاب السنّة لأحمد وعقيدة أهل السنّة.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

المهاجرين والأنصار فقال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1] وهذا مدح عظيم، وليس لكلّ الصحابة فقد فضّل بعضهم على بعض فقال تعالى في سورة الأنفال (الآية ٧٢) :﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إلى غير ذلك من آيات المدح والثناء على من استحق ذلك، وليس كل الصحابة كذلك فمنهم من ينكث من بعد مبايعته[2]، ومنهم ﴿الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[3]، ومنهم من كان يرفع صوته على النبي ﷺ لجهالته وسمّى أيضاً منهم الفاسق[4] وشنّع عليهم فرارهم يوم حنين في نفس السورة.

---

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح:١٠).

(٣) الحجرات ٤.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:٢).

وكما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

وأمّا سورة التوبة فحسبنا قول ابن عباس فيها: ما زالت تنزل حتى ظننا لن تترك أحداً إلاّ فضحته لذلك سميت الفاضحة، ودع عنك آيات في آل عمران (١٢١ - ١٢٢ / ١٥٢ - ١٥٣/ ١٥٥) وفي سورة (الأحزاب/ ٥٧) وسورة (مريم / ٤ - ١٠) و سورة (الجمعة/ ١١) وسورة المنافقين إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم.

فمع هذا كلّه كيف يصحّ قول النووي في التقريب: (الصحابة كلّهم عدول من لابس الفتنة وغيرهم)؟

وكيف يصحّ هذا مع قول ابن أبي مليكة: أدركت أكثر من خمسمائة من أصحاب النبيّ ﷺ كل منهم يخشى على نفسه النفاق لأنّه لا يدري ما يختم له[1] .

وكيف يصحّ الغلو في الصحابة مع ما أخرجه الطبراني عن أم الفضل وعبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ انّه قام ليلة بمكة من الليل فقال: (اللّهم هل بلّغت؟ ثلاث مرات، فقام عمر بن الخطاب - وكان أوّاهاً - فقال: اللّهمّ نعم فحرصت وجهدت ونصحت، اللّهمّ نعم فحرصت وجهدت ونصحت، فأصبح فقال: (ليظهرنّ الإيمان حتى يُردّ الكفر إلى مواطنه، وليخاض البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن فيعلّمونه ويُقرؤونه، ثم يقولون قد قرأنا وعلمنا فمن ذا الّذي هو خير منا؟ فهل في أولئك من خير؟)

---

(١) أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ط أفست المثنى عن طبعة استنابول سنة ١٣٤٦هـ.

قالوا: يا رسول الله من أولئك؟ قال: (أولئك منكم وأولئك هم وقود النار)[1]. فبعد هذا لا غرابة في قول الصدّيقة الزهراء عليها السلام لصحابة أبيها في خطبتها في المسجد وقد حملتهم مسؤولية الانحراف: (حتى إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، أطلع الشيطان رأسه، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة ملاحظين ثم استنهضكم فوجدكم غضاباً فوسمتم غير أبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكَلَم رحيب، والجرح لمّا يندمل، إنّما زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[2][3] فهم في الفتنة سقطوا وهم في النهاية كما في بقية الآية، فلا عتاب بعد هذا على من رأى في بيعة السقيفة الفتنة هي السبب الأقوى والأول في تفريق كلمة المسلمين إلى يوم الدين.

وهذا ما اقتبسه دعبل الخزاعي فقال في تائيته العصماء ما يشير إليه:

وما سهّلت تلك المذاهب فيهمُ ... على الناس إلّا بيعة الفلتات

وما نال أصحاب السقيفة إمرة ... بدعوى تراث بل بأمر ترات

ولو قلّدوا المُوصى إليه أمورَها ... لزّمت بمأمون عن العثرات

أخا خاتم الرسل المصفّى من ... ومفترس الأبطال في

فإن جحدوا كان الغدير شهيده ... وبدرٌ وأحد شامخ الهضبات

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٢: ١٩٤ ط الموصل.

(٢) رواه الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين ١: ٧٨. وغيره.

(٣) سورة التوبة الآية: ٤٩.

وآيٌ مـن القـرآن تـتلى بفـضله   وإيثـاره بـالقوت في اللزّبـات
وغـرٌّ خـلالٍ أدركتـه بـسبقها   مناقب كانت فيه مؤتنفـات[1]

إذن ليس من الافتئات على بعض الصحابة حين يذكرهم شاعر أو نـاثر فيحمّلهم مسؤولية الإنحراف حين غاب الرسول عن أمتـه فخـالفوه في وصيته كيف يعاتب أو يعاب عليه وهو يذكر عن بعضهم اعترافه بذلك، وهي اعترافات جدّ خطيرة، تنسف تـاريخ الإسـلام الـسياسي والـسيرة نسفا، كما مرّ في العنوان، ولتوثيق تلك الاعترافات نـسوقها مـن مـصادر التراث السنّي الّذي يدين لأصحابها بالمحبة والولاء، فضلاً عـن الـتراث الشيعي الّذي هو مظّنة الافتراء فلتقرأ الإعترافات بعين القلب المفتوحة، وليتدبّر القارئ ما تحمل حروفها اليسيرة من معان خطيرة، وليتجرّد مـن رواسـبه الموروثـة ولـيصحح تلـك المغالطـات التـي عاشـها في تاريخـه الإعلامي المخادع الّذي كانت تمليه عليه السلطة، فشبّ على ذلك وحتى نمت فروعه على أصوله. وإنّ في هذا لبلاغ مبين لمن اهتدى ، ومن ضـل فما أنا عليه بوكيل.

---

(١) ديوان دعبل جمع عبد الصاحب عمران الدجيلي ١٢٧ ـــ ١٣٠ ط الثانية دار الكتاب اللبناني سنه ١٩٧٢.

١ - أبو بكر بن أبي قحافة، أخرج مالك بن أنس في الموطأ في كتاب الجهاد باب الشهداء في سبيل الله بسنده عن مولى عمر بن عبيد الله أنّه بلغه انّ رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم) فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله ﷺ: (بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي، فبكى أبو بكر ثم بكى، ثم قال: أئنا لكائنون بعدك[1]؟

أقول: فهذا الحوار في الكلام مع النبيّ ﷺ، ثم الجؤار بالبكاء وكلّه من أبي بكر، هو الّذي بخّرته الأيّام القليلة فنسيه أبو بكر أوتناساه، فخاض غمرة الحياة بأساليب ما كان له ولا ينبغي لمثله في مكانته وقرباه من النبيّ ﷺ أن يخوضها، ولكنها الدنيا تصيّدت رجالاً بفخّها، فألهتهم بزينتها وزخرفها، وهم سرعان ما ندموا على مماشاتها ولات حين مندم. فماذا عن ندم أبي بكر؟ فقد أخرج ابن أبي شيبة وابن المبارك والمتقي الهندي انّ ابا بكر قال: (والله لوددت أنّي كنت شجرة إلى جانب الطريق مرّ عليَّ جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني، ثم أخرجني بعراً ولم أكن بشرا) لماذا هذا الجزع؟ وممّ هذا الخوف؟ وعلى م هذا الندم؟

(١) الموطأ ١: ٣٠٧ بشرح تنوير الحوالك للسيوطي ط مصطفى محمّد بمصر.

والجـواب نـسمعه منـه مـن دون مواربـة أو مـداجاة فقـد أخـذ بلـسانه وينضنضه ويقول: ها إنّ ذا أوردني الموارد[1].

ومن تلك الموارد المحزنة المخزية خطبته التـي تحامـل فيهـا ظالمـاً عـلى الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من بعد ما سمع قوارص الكلم والتقريع من الزهراء عليها السلام في خطبتها فصعد المنبر وقال: (أيّها الناس ما هذه الرعـة إلى كل قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهـد رسـول الله صلى الله عليه وآله ألا مـن سـمع فليقل، ومن شهد فليتكلّم، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مربّ لكلّ فتنة، هو الّـذي يقـول كروّهـا جذعـة بعـد مـا هرمـت، يـستعينون بالـضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحبّ أهلها إليها الغوي - البغـي - ألا وإنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إنّي سـاكت مـا تُـرُكت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سـفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنتم، فقد جاءكم فاويتم ونصرتم، ألا وإنّي لستُ باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منّا؟ ثم نزل[2].

وهنا تعقيب لأم سلمة أم المؤمنين وهـذا رواه الطـبري الإمـامي قـال: فأطلعت أم سلمة رأسها من بابها وقالت: (ألمثل فاطمة يقال هذا؟ وهـي الحوراء بين الأنس، والأنس للنفس، رُبيّت في حجور الأنبياء، وتداولتها

---

(١) المصنف لابن شيبة ١٣: ٢٥٩ ط باكستان، و٩: ٦٦ و١٤: ٥٦، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٣، وكنز العمال ٣: ٤٧٨ ط حيدر آباد الحديثة).

(٢) شرح النهج ١٦: ٢١٤.

أيدي الملائكة، ونمت في المغارس الطاهرات، نشأت خير منشأ، ورُبيّت خير مربّى. أتزعمون أنّ رسول الله ﷺ حرّم عليها ميراثه ولم يعلّمها وقد قال الله له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1] أفأنذرها وجاءت تطلبه؟ وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الأقران، تمّت بأبيها رسالات ربّه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقرّ، فيوسّدها يمينه ويدّثرها شماله، رويداً فرسول الله بمرأى لأعينكم، وعلى الله تردون، فواها لكم وسوف تعلمون).

قال: فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها .

قال أبو جعفر – مؤلّف الكتاب – نظرت في جميع الروايات فلم أجد فيها أتم شرحاً، وأبلغ في الإلزام، وأوكد في الحجة من هذه الرواية. ونظرت إلى رواية عبد الرحمن بن كثير فوجدته قد زاد في هذا الموضع: أنسيتم قول رسول الله ﷺ وبدأ بالولاية: أنت منّي بمنزلة هرون من موسى، وقوله: إنّي تارك فيكم الثقلين. ما أسرع ما أحدثتم، وأعجل ما نكثتم، وهو في بقية الحديث على السياقة[2].

وثمة تعقيب آخر لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي على ذلك أيضاً قال:

قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرّض؟ قال: بل يصرّح .

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) دلائل الإمامة للطبري الإمامي: ٣٩ ط الحيدرية سنة ١٣٦٩.

قلت: لو صرّح لما سألتك، فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله؟ قال: نعم، إنّه المُلك يا بُني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم[1].

فكلام أبي بكر غير مقبول منه ولا يمكن الاعتذار عنه، ولعلّ هذا هو مبعث الندم فأخذ لسانه ينضنضه ويقول: ها أن هذا أوردني الموارد، وأصرح من ذلك ندماً قوله في مثلثاته التي نفث بها في حديثه مع عبد الرحمن بن عوف، فقد جاء فيها : (فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شئ وإن كانوا قد غلقوه على حرب...)[2].

٢ – عمر بن الخطاب، وهو كصاحبه في شدة الاضطراب من مغبّة الانقلاب الّذي حدث بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وحسبنا قوله وقد أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني هذه التبنة، ليتني لم أك شيئاً، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسيا[3].

وأصرح من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه باب هجرة النبيّ وأصحابه إلى المدينة بسنده عن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري، قال

---

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٤ ــ ٢١٥.

(٢) راجع كتابنا : المحسن السبط مولود أم سقط: ٢٠٢ ــ ٢١٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ ق ١: ٣٦٠ ــ ٣٦١ ط اوربا ، المصنف لابن أبي شيبة ١٣: ٢٧٦، وكتاب الزهد لابن المبارك: ٧٩.

قال لي عبد الله بن عمر هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال قلت لا قال: فإنّ أبي قال لأبيك يا أبا موسى هل يسرّك إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه، وعملنا كله معه بَردَ لنا (يرد لنا - كما في دليل القاري: ٥٢٠) وانّ كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس. فقال أبي (أبوك - ظ): لا والله قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلّينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً، وأسلم على أيدينا بشر كثير، وانا لنرجو ذلك. فقال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لوددت انّ ذلك بَرَد لنا، وانّ كل شئ عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس، فقلت: إنّ أباك والله خير من أبي[1]. ومعنى (بَرَد لنا): أي ثبت لنا ثوابه ودام وخلص.

وفي حديث الفلتة الّذي رواه عمر جاء فيه قوله: (انّ الله أبقى رسوله بين أظهرنا ينزل عليه الوحي من الله يحلّ به ويحرّم، ثم قبض الله رسوله فرفع معه ما شاء أن يرفع، وأبقى منه ما شاء أن يبقى فتشبثنا ببعض وفاتنا بعض...)[2].

(١) صحيح البخاري ٥: ٦٤ ط بولاق سنة ١٣١٤، وأنظر جامع الأصول لابن الأثير ٩: ٣٦٣، ومشكاة المصابيح: ٤٥٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٤: ٥٦٣، ومسند أحمد ١: ٥٥، وكنز العمّال ٣: ١٣٩ ط الأولى.

وأخرج الهيثمي في حديث قال فيه عمر: وددت إنّي خرجت منها كفافاً لا لي ولا عليَّ وإنّ صحبة رسول الله ﷺ سلمتَ لي[1].

٣ – أنس بن مالك قال: ما نفضنا الأيدي من دفن رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا[2]. وسمعه أبو عمران الجواني يقول: ما أعرف شيئاً ممّا كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ فقال له: أين الصلاة؟ قال: أولم تصنعوا في صلاتكم ما قد علمتم[3].

وذكر الشاطبي في كتابه عن أنس بن مالك قال: ما أعرف منكم ما كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم: لا إله إلاّ الله قلنا: بلى يا أبا حمزة؟ قال: قد صلّيتم حتى تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ [4]؟.

٤ – ابو الدرداء قال: لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئاً ممّا كان عليه هو وأصحابه إلاّ الصلاة، قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى بن يونس، فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان[5].

أقول: فكيف لو أدرك هؤلاء هذا الزمان.

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: ٥٣٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٣: ٣٦٤، وسنن ابن ماجة: ١١٩، وموارد الظمآن: ٥٣٠، والسيرة الحلبية ٣: ٣٦٦ ط البهية بمصر.

(٣) صحيح الترمذي كتاب صفة القيامة باب ١٧.

(٤) كتاب الاعتصام للشاطبي: ج١/ ١٥.

(٥) كتاب الاعتصام للشاطبي: ج١/ ١٥.

٥ – أبيّ بن كعب قال: فوالله ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ قبض رسول الله ﷺ، وأيم الله لئن بقيت إلى يوم الجمعة لأقومن مقاماً أقتل فيه، فمات يوم الخميس[1]. (لأقولن قولاً لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني).

وقال: كان وجهنا على عهد رسول الله ﷺ واحداً، فلمّا توفي رسول الله ﷺ توجهنا هاهنا وهاهنا[2].

٦ – البرّاء بن عازب، أخرج البخاري في صحيحه عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البرّاء بن عازب فقلت: طوبى لك صحبت النبيّ ﷺ وبايعته تحت الشجرة! فقال: يابن أخ إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده[3].

٧ – أبو سعيد الخدري لقيه المسيب قال له: هنيئاً لك برؤية رسول الله ﷺ وصحبته، قال: إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده[4].

٨ – الزبير بن العوام قال: لقد قرأنا قرآناً زماناً وما نرى انّا من أهلها فإذا نحن المعنيّون بها: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾**[1] قال البلاء والأمر الّذي هو كائن[2].

---

(١) مشكاة المصابيح: ٩٩، طبقات ابن سعد ٣ ق ٢: ٦١.

(٢) الفتن لنعيم بن حمّاد: ٤١ تحـ عرفة.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ٧: ٥٧.

(٤) الإصابة لابن حجر ٣ ق ١: ٨٤.

٩ – حذيفة قال: ربّ يوم لو أتاني الموت لم أشك، فأمّا اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري على ما أنا فيها وأوصى أبا مسعود فقال: عليك بما تعرف، وإياك والتلوّن في دين الله.[٣]

١٠ – عائشة أم المؤمنين لما احتضرت جزعت فقيل لها: أتجزعين يا أم المؤمنين وابنة أبي بكر؟ فقالت: إنّ يوم الجمل لمعترض في حلقي ليتني مت قبله وكنت نسياً منسيا[٤].

وعن أنس قال: دخل جماعة على عائشة رضي الله عنها وهي محتضرة يبكون عندها فقال شخص: يا أماه ألا ندفنك عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالت: إنّي أحدثت بعده صلى الله عليه وآله وسلم أموراً فأنا أستحي من لقائه[٥].

هذه عشرة نماذج من اعترافات الصحابة وهم من علّية القوم، يقرّون على أنفسهم بأنّهم أحدثوا بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما لا ينبغي أن يحدث، فما بالك بالآخرين دونهم، إنّها لفتنة عمياء أظلتهم، وطخية سوداء غشيتهم، وما أحراهم بما وصفتهم به فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها – الكبيرة – : (أتقولون مات محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فخطب جليل، استوسع وهنه، واستنهر فتقه،

---

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) الحاشية لأبي نعيم ١: ٢٧٨، وراجع تهذيب ابن عساكر ٤: ١٠٤.

(٣) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/ ١٧٧.

(٤) بلاغات النساء: ٢٧.

(٥) كشف الغمة للشعراني ١: ٢١٧.

وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته،... فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، أعلى بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم، في ممساكم ومصبحكم يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُّ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

خامساً: ماذا عن أسباب الخطب؟:

لعلّ أكثر القرّاء الذين يقرأون تاريخ الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام، سيجدون تظلّمها ممّن ظلمها منصباً على المطالبة بحقها من فدك وسهم ذوي القربى، ولما منعها ذلك أبو بكر صارت تبثّ شكواها للمسلمين تستنصرهم عليه. فتارة تخرج إلى المسجد النبوي لتعلن ذلك أمام الملأ من مهاجرين وأنصار، وأخرى تنفجر أمام النساء العائدات لها، وثالثة تميّز غيضاً على الشيخين فتقول في كلامها مع عائشة بنت طلحة: (ان نُحيف تيم وأحيوك عدي...). هذا ما يدركه عامة القرآء لكلامها ويفسّرونه إنّه وليد انفعال هاج بها الحزن لفقد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وغصب نحلتها فقالت ما قالت، وطالبت ما طالبت.

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

ولكن لو تخطينا حواجز ظواهر الألفاظ قليلاً وأمعنا النظر في سياق المعاني من خلال خلفيات الإعلان المحموم في المواطن كلها لتلك الظلامة مع استذكار السلوك الحياتي لتلك الصدّيقة أم أبيها وهي بضعة منه، أدركنا أنّ الأمر أعمق من ذلك، وأعلا من النهج الساذج لمجريات الأحداث. ولو رجعنا إلى فهم شخصية تلك الإنسانة الفذة من خلال فهمنا لتحديدها على ضوء ما قاله أبوها في حقها، لتبيّن لنا الوجه الآخر وراء تلك المواقف الصاخبة الناحبة.

فأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي عصمه الله تعالى من كل وصمة، فكان مثال كمال العصمة ، إذ يقول الوحي فيه: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[1]، وهو يقول في ابنته: (فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها)[2].

وقال صلى الله عليه وآله: (إنّ فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني)[3].

فهذا القول لم يكن مجرد عاطفة أبوية، خصها بها من دون البقية.

بل إنّه يعني منحها بحكم كونها بضعة منه نفس السمة التي كان يتمتع بها في التعامل مع الناس في تطبيق أحكام الدين، فإن أطاعوا الله تعالى سرّه ذلك، وإن عصوه ساءه ذلك، فحبه وبغضه في الله تعالى ورضاه

---

(١) النجم: ٣ ــ ٥.

(٢) صحيح مسلم فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة وسنن الترمذي أيضاً.

(٣) صحيح البخاري ٥: ٢٦ و٣٦.

وسخطه لله تعالى، فهو لا يغضب إلاّ لله، فكذلك كانت ابنته التي هي بضعة منه. ومن الطبيعي إنّ انحراف المسلمين عن نهج النبيّ صلى الله عليه وآله الّذي أمرهم بالتزامه، موجب لغضبه، فكذلك ابنته وقد رأت الإنحراف ظاهراً منذ بيعة السقيفة، وغصب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حقه الشرعي، لأنّه الخليفة الّذي عيّنه النبيّ صلى الله عليه وآله، لذلك غضبت لا لفوات الخلافة فحسب، بل لما يترتب على ذلك الغصب من سلبيات تمسّ الجوهر، فهي إن غضبت لتعلن للملأ إنّ انحرافكم عن عليّ وهو صاحب الحقّ الشرعي سوف يؤدي بكم إلى مزالق خطيرة، وسوف تنحدرون إلى مهوى سحيق، حتى يتولى أموركم من لا حريجة له في الدين. وهذا ما قد حصل.

إذن فالمطالبة بفدك كانت وسيلة لا غاية، وهذا ما أدركه الشيخان قبل غيرهما، فلم يستكينا لحجتها على قوتها ومع اعترافهما بصدقها، ولم يستلينا لحرمتها مع عظمتها، بل أصرّا - وأيّ إصرار - على منعها فدكاً، وردّ دعواها بكلّ ما أوتيا من قوّة وقد كلفهما ذلك الرد جهداً بالغاً في حياتها، ونقداً لاذعاً بعد وفاتها، حتى ممّن يدين بخلافتهما.

فهذا ابن أبي الحديد - وهو من أشد المحامين عنهما في شرحه نهج البلاغة - قال: وسألت عليّ بن الفارقي مدرّس الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم ، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه

وحرمته وقلة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يمكنه الإعتذار والموافقة بشيء، لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود.

ثم قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل[1].

فهذا الّذي أدركه الشيخان أوردهما والمسلمين معهما المهالك، لأنّ ذلك أغضب فاطمة عليها السلام، ومن أغضب فاطمة أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أغضب النبيّ أغضب الله تعالى، ومن أغضب الله فله عذاب أليم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[2]. ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام: (إنّ الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك)[3].

ولا ينقضي العجب من الشيخين حين أتيا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له عمر - والقول له بروايته - : ما تقول فيما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

(١) شرح النهج ١٦: ٢٨٤ تحـ إبراهيم.

(٢) طه: ٨١.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ١٠٨، والمستدرك للحاكم ٣: ١٥٤ وصححه، ومجمع الزوائد ٩: ٢٠٦ ومصادر أخرى كثيرة.

قال: (نحن أحق الناس برسول الله ﷺ) فقلت: والذي بخيبر؟ قال: (والذي بخيبر)، قلت: والذي بفدك؟ قال: (والذي بفدك) فقلت: أما والله حتى تحزّوا لرقابنا بالمناشير[1].

ولا شك أنّها علمت بذلك فهي لم تخرج لتطالب بفدك وحدها، ولم توّبخ المسلمين على عدم نصرتها من أجل استردادها، بل كانت صريحة في خطبتها وسبب إقامة دعواها، فهي حين تقول في فصلة من خطبتها بعد أن بيّنت ما أنعم الله به على المسلمين من نعمة الإسلام وذكّرتهم بما كانوا عليه من شظف العيش وتفاهة الحياة وذلة النفوس[2].

(فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومحل أصفيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وانسمل جلباب الدين، وأخلق عهده، وانتقض عقده، ونطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فنيق الباطل، يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، صارخاً بكم، فألفاكم لدعوته مصغين، وللغرّة ملاحظين، واستنهضكم فوجدكم خِفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فخطمتم غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم، بداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[3] هذا والعهد قريب، والكَلَم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يُقبر.

(١) مجمع الزوائد ٩: ٣٩ ــ ٤٠ ط القدسي بمصر.

(٢) نقلا عن منال الطالب لابن الأثير ط الخانجي بمصر.

(٣) التوبة: ٤٩.

هيهات منكم، وأين بكم، وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم، زواجره قاهرة، وأوامره لائحة، وأدلته واضحة، وأعلامه بيّنة، أرغبة - ويحكم - عنه ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[1].

ثم لم تريّثوا بعد اجتهاد، إلاّ ريثما سكنت نفرتها، وأسلس قيادها، تسرّون حسواً في ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل وخز المدى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ولا حظّ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

ثم إنّها عليها السلام قد عاشت تلك الأيّام التي أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها أصحابه في حياته برعايتها ومودّتها فخالفوه ولم يمتثل إلاّ القليل ممّن امتحن الله قلبه بالإيمان، أمّا الرموز التي برزت على الساحة من بعده، فكانت معلنة للمخالفة، بالرغم من التهديد والوعيد في كتاب الله تعالى لمن يخالف أمره كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) المائدة: ٥٠.

(٣) النور: ٦٣.

فهل نسيت فاطمة عليها السلام يوم دعاهم – وهم مجتمعون عنده في الحجرة – ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فخالفوه أمره، وقال قائلهم كلمته النابية الجافية (إنّ الرجل يهجر!)(١)؟

وهل نسيت لعنه صلى الله عليه وآله وسلم من تخلّف عن جيش أسامة، وقد سمّى أُناساً بأسمائهم ليخرجوا في ذلك الجيش وكان منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسمى آخرين من وجوه الصحابة، فلم يخرجوا؟

أم هل خفي عنها ماطرحه القوم بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم من إنكارهم الوصية(٢)، وأنّه قد ترك الأمر للأمة في سياسة الرعية؟

كل ذلك كان بمرأى منها ومسمع، وهي تعلم جيّداً عواقب ذلك الخلاف، وماذا سينجم عنه من مآسي وويلات تطال الأمة جميعاً، فهي عليها السلام كانت بدافع الحرص على سلامة الأمة من شرور الأهواء وخطل الآراء تعلن عن نهج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي أمر بالتزامه، وبيّنه لهم قولاً وعملاً منذ يوم غدير خمّ حين نصّب عليّاً إماماً وهادياً من بعده وقرن موالاته بموالاته ومعاداته بمعاداته، وهذا ما سمعه كل من كان في ذلك

---

(١) صحيح البخاري في سبعة مواضع وغيره كما في موسوعة ابن عباس الجزء الثاني الحلقة الأولى.

(٢) رحم الله أحمد بن عليّ بن المرتضى بن المفضل الزيدي حيث يقول:

يقولون ما أوصى الرسول إلى امرئ ... إليه أمور المسلمين تؤول

فيا عجبا أبقى الرسول عظيمة ... وعلّمنا المختار كيف نبول

راجع مطلع البدور لابن أبي الرجال اليماني ١ : ٣٧.

اليوم وهم مائة ألف أو يزيدون، وأقام ثلاثة أيّام فلم يريم، يأمرهم بمبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وشاعره حسّان بن ثابت يهتف قائلاً:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكمُ ونبيّكم؟ ... فقالوا ولم يُبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيّنا ... ولم تلق منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً
فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أتباع صدقٍ مواليا
هناك دعا اللّهمّ وال وليّه ... وكن للّذي عادى عليّاً معاديا(1)

وهي عليها السلام إنّما تذكّرهم بآيات الله البيّنات، وما أنزل الله تعالى من ترغيب وترهيب في اتباع أوامر النبيّ صلى الله عليه وآله والإنزجار عن نواهيه حرصاً على سلامتهم، ومَن منهم ينكر ما أنزل الله في ذلك اليوم من قرآن يتلى إلى يوم القيامة، وهو قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلامَ دِيناً**﴾(2)(3).

---

(1) الغدير للشيخ الأميني رحمه الله.

(2) المائدة: ٣.

(3) راجع بشأن نزول الآية في ذلك اليوم الدر المنثور للسيوطي ٣: ١٩، وتاريخ بغداد ٨: ٢٩٠، وشواهد التنزيل للحسكاني ١: ٢٠١، ومناقب الخوارزمي: ٨٠ ط حجرية، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٨ ط حجرية، وفرائد السمطين للجويني الحنفي ١: ٧٢ وغيرها.

وهي عليها السلام إنّما تبكي حزناً على أبيها صلّى الله عليه وعليها، لأنّها رأت أتعابه كادت أن تذهب أدراج الرياح وإنّ الناس كثير منهم عادت إليهم جاهليتهم، واستزلهم الشيطان فألفاهم لدعوته مصيخين كما مرّ من قولها شاهداً على ما نقول. ولم لا تبكي وقد أحدق الخطر بالمسلمين وداهمهم الأعراب من خارج المدينة، ومن داخلها الذين مردوا على النفاق حتى قال عمرو بن ثابت أبي المقدام[1] : (كفر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أربعة - وفي رواية ابن حجر إلاّ خمسة -) ومهما يكن العدد، فإنّ ذلك يكشف عن عمق الشرخ الّذي خلّفته السقيفة، والجرح الّذي لم يندمل ولن يندمل، ولولا موقف الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الحازم بفكره والحاسم بصبره لذهب كل فريق بما يهوى، واختفت كلمة الشهادتين في ضبابية الموقف لذلك أغضى عن منازعة القوم على الخلافة يومئذٍ ، وأرجأ الأمر إلى حين، حفاظاً على وحدة الكلمة ولم يترك واجبه في نصرة الزهراء عليها السلام، فقد شاركها آلامها وأحزانها لفقد النبيّ صلى الله عليه وآله كما انّها عليها السلام لم تترك نصرته في المطالبة بحقه كما في صريح فقرات من خطبها - كما ستأتي - وحتى في

(١) لقد جرحه غير واحد وقالوا عنه رافضي خبيث رجل سوء ولكنّه كان صدوقاً في الحديث، كذا قال أبو داود في السنن وقد أخرج له حديثاً، عن ابن عقيل في الاستحاضة، وقال في غير السنن: قد روى عنه سفيان وهو المشوم ليس يشبه حديثه أحاديث الشيعة، وجعل يقول: يعني إنّ أحاديثه مستقيمة، وقال في موضع آخر: ليس في حديثه نكارة، راجع ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمته ستجد ذلك وأكثر منه، ونحن نقول لهم: إنّ المنقول عنه في المقام هو من بعض حديثه، لأنّه لم يكن يومئذٍ حاضراً لتأخر زمانه، فما قاله إلاّ رواية عن غيره وإن لم يصرّح باسمه، فلنا حديثه وعليه وزر معتقده إن كان رجل سوء كما يقول أبو داود.

بكائها قد اتخذت منه وسيلة إعلامية تفضح غاصبيها إرثها وغاصبي زوجها حقه، وكانت تثير ببكائها العواطف، وتستذرف الدموع ، وتنبه الحسّ الخامل عند الناس، ولم يخف هذا على الخالفين، فحاولا منعها بحجة انّهم لا يقرّ لهم قرار لبكائها في الليل والنهار، وسألوا الإمام عليه السلام أن يسألها إمّا البكاء ليلاً أو نهاراً، فكانت عليها السلام تخرج إلى البقيع وتستظل بظلّ أراكة هناك عن حرارة الشمس فتبكي أباها فعمدوا إليها فقطعوها فبنى لها الإمام بيتاً سمّي بيت الأحزان، وفي أدبيات التراث الشيعي شواهد عديدة على ذلك، كقول بعضهم:

ومذ ألفت ظل الأراكة لم تطب نفوس القوم إلاّ بقطعها

وقول الآخر:

لا تراني اتخذت لا وعلاها بعد بيت الأحزان بيت سرور

فكانت عليها السلام بتلك الحال وبالرغم من معاناتها تستنطق الأحاسيس، فتتجاوب معها بالبكاء، وهذا ما يبعث على الأمل والرجاء في يقظة الضمير ولو على أضعف الإيمان. وهذا ما قد حدث، فقد روى ابن الأثير وغيره أنّها عليها السلام بعد خطبتها الكبيرة انكفأت إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله متمثلة بقول صفية بنت عبد المطلب وقيل أمامة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخُطُبُ

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها وغاب مذ غبت عنّا الوحي
تهضمتنا رجال واستُخفّ بنا إذ بنت عنا فنحن اليوم نغتصب
أبدت رجال لنا فحوى لما فُقدت وحالت دونك الكتب
قال الرواة: فما رأينا يوماً أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم.[2]

فهذا بعضٌ من إيجابيات خطبتها، فإنّ ندبتها لأبيها عقب خطبتها، والناس بعدُ على إجتماعهم يتطلعون إليها ماذا بعدُ لديها، ففاجأتهم بموقفها على قبر أبيها، وتنشدهم رسالتها الشعرية شاكية إليه ما لحق بها من الأذى بعد غيابه عنها، معبّرة عن حرارة فقد الأب، ولا يستشعرها إلاّ من حظي بنعمة الأبوة وحنانها وطعم لسانها. فكان الإمام عليه السلام كما قلنا وهو يشارك الصدّيقة حرارة الفاجعة ويشاطرها ألم المصاب الفادح، يعاني مع ذلك الأمّرين حرارة غصب الخلافة منه، وهو الّذي محلّه منها محل القطب من الرحى، ومرارة الردة التي كادت تغزو المدينة بخيلها ورجلها . فرأى بالموازنة الصحيحة والموفقة، الإغضاء عن المطالبة بحقه إلى حين، وينصر كلمة الإسلام الّذي هو أوّل من آمن به وضحّى في سبيله حتى استوت دعائمه وقام قائمه، وهذا ما قاله عليه السلام في كتابه إلى أهل مصر حين ولّى مالك الأشتر عليها:

---

(١) بحاشية الأصل: واختلّ قومك لما غبت وانقلبوا. عن المصدر وفي الأبيات تحقيق حول قائلها ذكرته في كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط؟) : ٢٤٥ ـــ ٢٤٨ فراجع.

(٢) منال الطالب ٢ / ٥٧.

(أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمرين بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكتُ يدي حتى رأيتُ راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه)[1].

سادساً: ماذا نجم عن الخُطَب وآثارها؟:

فيما قرأنا عن أسباب الخُطَب، عرفنا ارتباطها الوثيق بأحداث بيعة الفلتة - كما سمّاها عمر وغير عمر، وسمّاها أحمد أمين بالغلطة وهي كذلك وأصدق تعبيراً - فكان ما أصاب الأمة من بعدها من نتائج سيئة لا يتحمل وزرها إلّا من باء بها منذ يوم السقيفة وحتى اليوم وإلى يوم القيامة، وقد أشارت الصدّيقة عليها السلام في خطبتها الكبيرة والصغيرة إلى جملة

---

(١) نهج البلاغة شرح محمّد عبده: ٢ . رسالة / ٦٢ وشرح ابن ابي الحديد ج١٧/ ١٥١ ط محققة.

ممّا سيحدث نتيجة ذلك الإنحراف، فأيّ تعبير صادق كان منها وأيّ إنذار صارخ أبلغ من قولها لنساء المهاجرين والأنصار:

(أما لعمر إلهكنّ، لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقرا، هنالك يخسر المبطلون،ويعرف التالون غبّ ما أسّس الأوّلون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً، وطامنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم، وأنّى بكم، وقد عُميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد خاتم النبيين وسيد المرسلين) إنذار مخيف وقعه كوقع صاعقة عاد وثمود، وتشأوم من مستقبل مظلم بتداعياته ومبتدعاته، إنّها نبوءة صادقة من لدن نبيّ مرسل، وهو عن وحي منزّل ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[1] فقد كان يسّر إليها ما يخصّها به من أسرار الكائنات المستقبلية دون غيرها من أزواج فضلاً عن غيرهن من الحضور، وهذا ما حدّثت به عائشة، وهي شاهدة ذلك المشهد.

---

(١) النجم: ٣ ــ ٥.

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها، فسارّها بشئ فبكت، ثم دعاها فسارّها فضحكت، ...[1].

وقد روى مسلم هذا أيضاً بسنده عن مسروق عن عائشة قالت: كنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنده لم يغادر منهنّ واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً، فلمّا رآها رحّب بها فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم سارّها فبكت بكاءً شديداً، فلمّا رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصّكِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين نسائه بأسرار ثم أنتِ تبكين، فلمّا قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألتها ما قال لكِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرّه، قالت: فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت عزمتُ عليك بما لي عليك من الحقّ لما حدّثتني ما قال لكِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: أما الآن فنعم، أمّا حين سارّني في المرّة الأولى فأخبرني أنّ جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرّة أو مرتين، وأنّه عارضه الآن مرتين، وإنّي لا أرى الأجل إلاّ قد اقترب، فاتقى الله واصبري فإنّه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الّذي رأيت، فلمّا رأى جزعي سارّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، قالت: فضحكت ضحكي الّذي رأيتِ.

(١) صحيح البخاري ٥: ٢١ ط بولاق باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنقبة فاطمة عليها السلام.

وأعاد مسلم الخبر بسند آخر عن مسروق عن عائشة وفيه: (وإنّك أوّل أهلي لحوقاً بي)[1].

ولّما كانت عليها السلام معصومة بنص آية التطهير[2] وصدّيقة بنص قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[3] فهي حين تقول أمراً غيبياً، فهي تفرغ عن لسان أبيها، وممّا علّمها واختصها به، فكانت تتلقى ذلك وتكتبه في أوراق جمعتها فسميت بمصحف فاطمة، وهو ليس فيه من القرآن آية، إنّما اشتمل على علم ما سيكون من أحداث، فهي تخبر عمّا فيه، ولا بدع في ذلك ولا غرابة.

ألم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يخبر المسلمين عمّا سيصيبهم من فتنة؟ ألم يقل لهم: (إنّي أوشك أن أُدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير خبّرني انّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[4].

ألم يقل لهم: (إنّي فرطكم على الحوض من مرّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم،

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٤٢ ـــ ١٤٣ ط.

(٢) راجع كتاب عليّ إمام البررة ١: ٣٧١.

(٣) ن م ٢ / ٢٧٨.

(٤) راموز الأحاديث: ١٤٤ ط إسلامبول.

فأقول إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي)[1].

ألم يقل لهم: (لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم. قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟[2]

ألم يخرّج الشيخان عن أسامة بن زيد قال: أشرف النبيّ ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال: (هل ترون ما أرى؟) قالوا لا، قال: (فإنّي أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر)[3].

ولقد كان من هو دون فاطمة عليها السلام شأناً يعلّمه النبيّ ﷺ من المغيبّات، فهذا حذيفة بن اليمان يقول: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني؟ فقلت: يا رسول الله إنّا كنّا في جاهلية وشرّ فجاء الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم وفيه دَخَن، فقلت: وما دخنُه؟ قال: قوم يستنون بغير سنّتي، ويهدون بغير هديي، تعرف

---

(١) نفس المصدر: ١٤٥.

(٢) صحيح البخاري ــ الاعتصام ــ باب ١٤، ومسلم في كتاب العلم: ٦، وأحمد في مسنده ٣: ٨٤، ٨٩، ٩٤ وغيرهم.

(٣) جمع الفوائد ٢: ٤٤٤.

منهم وتنكر، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا.

قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ فقال: فأعتزل تلك الفِرق كلها، ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

وهذا الّذي حدّث به حذيفة فقد أدركه وابتلي بما ابتلي به عامة المسلمين حين انحرفوا عن نهج رسول الله ﷺ ولنقرأ حديثه الآخر قال: (كنا مع رسول الله ﷺ فقال: أحصوا لي كم يلفظ الإسلام؟ قال: فقلنا يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة والسبعمائة؟ قال: إنّكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا، قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلّي إلاّ سرّا)[1].

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة أيضاً قال: (أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شئ إلاّ وقد سألته، إلاّ أنّي لم أسأله ما يُخرج أهل المدينة من المدينة؟)[2].

---

(١) صحيح مسلم ١: ٩١ ط صبيح كتاب الإيمان باب جواز الاستسرار للخائف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كما في جامع الأصول لابن الأثير ١٢: ٦٣.

وحذيفة هذا هو صاحب سرّ النبي ﷺ في معرفة المنافقين ، فكان يقول (ما من صاحب فتنة ... ألا ولو شئت أن أسمّيه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة ، كل ذلك مما علّمنيه رسول الله ﷺ ، ولو أحدّثكم بما أعلم لافترقتم عليّ ثلاث فِرق : فرقة تقاتلني ، وفرقة لا تناصرني ، وفرقة تكذبني) .

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وعنه في كنز العمال برقم (٣١٣٢٧).

ولم يكن حذيفة وحده الّذي أخبره النبيّ ﷺ بغيب الكائنات من بعده، فقد روى عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: (صلّى رسول الله ﷺ يوماً الفجر، وصعد على المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلّى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة، قال: فأعلمُنا أحفظُنا)[1].

إذن فلا غرابة فيما أنذرت به سيدة النساء فاطمة عليها السلام أمة أبيها، ممّا سيصيبها من البلاء، ويحدق بأقطارها نتيجة الإعراض عمّا نهجه لهم خاتم الأنبياء ﷺ .

فمن العدل والإنصاف ، وبعيداً عن التعنت والاعتساف، ومن دون اشتطاط في الحكم أو تفريط أو افراط فلتقرأ الخطب بوعي وإمعان،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كما في جامع الأصول ١٢ : ٦٣.

لمعرفة ما فيها من فصاحة بيان، وقوّة برهان، فالخطوط البيانية العريضة التي رسمتها الصدّيقة عليها السلام في خطبتها الكبيرة في ثلاثة محاور مهمة:

أولها: ما تعلّق بالتشريع سرّاً وحكمةً وعلةً وبياناً، إمتثالاً وعصياناً، في العبادات والمعاملات والأخلاق.

ثانيها: ما تعلّق بالمجتمع المسلم من مهاجرين وأنصار، وماذا لهم في الإسلام من حقوق وماذا عليهم من واجبات، فهم إذ نالوا حقوقهم ونعموا بها بفضل الإسلام الّذي جاء به أبوها، فما بالهم قصّروا في الواجبات عليهم أزاءها، فقد تركوها لذلك عذلتهم وما عذرتهم، وعنّفتهم بما وسع المقام من قوارص التعنيف.

ثالثها: ما تعلّق بالجدل السياسي مع أبي بكر ومطالبته بالنحلة ثم بالميراث ثم بسّهم ذوي القربى، وفي كل ذلك تدلي بحجتها، وتقارعه سوط عتاب بلهجتها، فقصر عن مجاراتها، فاستظهر عليها بقوّة المخاتلة والمخادعة وزيف الحديث وفوق ذلك بقوة السلطة.

ومن ثنايا خطبها نعرف زيف ما أشيع وأذيع بعد ذلك التاريخ من زعم الاختيار، وخدعة الشورى، وكذب الفلتة، وقد كشفت حقيقة المعادلة المنظورة يومئذٍ بين المهاجرين والأنصار في تنازعهم الحكم والمساومة (منا الأمراء ومنكم الوزراء) وإنّما كانت خداعاً في خداع لاقتناص السلطة ونتيجة تآمر سابق وأمر قد دبّر بليل كما يقول المثل.

وإذا تجرّد الإنسان من رواسبه وفكّر جيداً في تاريخ تلك الحقبة، كما رواه المؤرخون وعاش أجواء تلك الخطب التي تلتها الصدّيقة الزهراء في ذلك المجتمع يومئذٍ يجدها حقبة مليئة بالمفارقات وتاريخها مليء بالمغالطات، وأصدق الأنباء ما قالته سيدة النساء، فقد قالت ما كشف الزيف من خلال ما لحقها من الحيف، فخطبها بحق تعتبر وثائق متكاملة تحكي واقعاً مريراً وتنذر الأمة شرّاً مستطيرا، وهذا ما حدث، ولم يكن يومئذٍ من يملك قدرتها وقوتها على ما بها من ضعف الجسم والمزاج واعتلال الحال، ولكنها مع ما بها من آثار الحزن والمرض، تنبعث من موقف قوّة، تقيم الحجة، وتسوق البرهان، وتكيل العتب، وتنحي باللائمة، وتأتي بالدليل تلو الدليل، وتخاطب الخالف خطاب ازدراء فتقول لأبي بكر وهو الخليفة (يا بن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي) وتقول له: (لقد جئت شيئاً فرياً فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون، من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) وهذا ما حدا بابن أبي الحديد المعتزلي أن يقول: (لم يكن ذلك اليوم – أعني يوم حضور فاطمة عليها السلام، وقولها لأبي بكر ما قالت – يوم تقية وخوف، وكيف يكون يوم تقية وهي تقول له – وهو

الخليفة – يابن أبي قحافة، أترث أباك ولا أرث أبي، وتقول له: لقد جئت شيئاً فرياً)[1].

(أقول) وبموقفها يومئذٍ نسفت الكثير من المفاهيم الخاطئة التي أشاعها الإعلام السلطوي يومئذٍ ومن بعد ذلك.

وتبيّن منذ ذلك الموقف زيف الدعاوي التي قيلت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مات ولم يوص إلى أحد، وبدت تثمر خطبها عليها السلام ثمارها، من خلال تعالي أصوات الاستنكار، بدءاً من بني هاشم كما ستأتي الشواهد على ذلك، ولا غرابة لو انتصر الهاشميون للزهراء عليها السلام في موقفها من خلافة أبي بكر، فلم يبايعوه إلاّ بعد مبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذلك بعد موت الصدّيقة بستة أشهر كما في رواية البخاري عن الزهري عن عروة عن عائشة وبعد أن أعرض الناس عن الإمام عليه السلام بعد موت الصدّيقة عليها السلام فكان الحصار الإجتماعي عليه وعلى بني هاشم هو الّذي اضطره إلى المبايعة، مضافاً إلى تأزّم الموقف بسبب الردة.

كما لا غرابة لو تكاثرت أصوات النكير بعد ذلك حتى صار يوم السقيفة مضرب الأمثال لكل أساس فُرقة وأقتناص سلطة، وقيل في الأحداث التالية، إن ذلك من يوم السقيفة، ونظرة عابرة على تاريخ تلك الحقبة التي عاشتها الصديقة عليها السلام بآلامها، نجد من بني هاشم رجالاً

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ٢٥٨.

ونساءاً تسابقاً في أستنكار بيعة أبي بكر علانية بين جماهير المسلمين وفي مجامع حشدهم.

فهذا العباس بن عبد المطلب قال حين بويع لأبي بكر

ما كنت أحسب أن الأمر — عن هاشم ثم منها عن أبي

أليس أول من صلّى لقبلتكم — وأعلم الناس بالآثار والسنن

وأقرب الناس عهداً بالنبيّ ومَن — جبريل عون له في الغُسل

من فيه ما في جميع الناس كلّهم — وليس في الناس ما فيه من

ماذا الّذي ردّكم عنه فنعرفه — ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن[1]

وهذا ابنه الفضل بن العباس قال: (يا معشر قريش وخصوصاً يا بني تيم إنّكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن أهلها دونكم.. وانا لنعلم انّ عند صاحبنا عهداً وهو ينتهي إليه)[2].

وفي ترجمة الإمام في الاستيعاب نسبت الأبيات السابقة إليه، كما نسبت إلى عتبة بن أبي لهب في تاريخ اليعقوبي في خبر السقيفة.

وهذا العباس بن عتبة اللهبي أعلن عن المأساة بقوله:

من مبلغٌ عنا النبيَّ محمّداً — انّ الورى عادوا إلى العدوان

(١) فرائد السمطين للحمويني ٢: ٨٢ ح ٤٠١.

(٢) الأخبار الموفقيات: ٥٨٠ ح ٣٨٠، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤ وبلفظه: (يا معشر قريش انّه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم).

إنّ الـذين أمـرتهم أن يعـدلوا　　لم يعـدلوا إلّا عـن الإيـمان
غـصبوا أميرالمـؤمنين مكانـه　　واسـتأثروا بالملـك والـسلطان
بطشوا بفاطمة البتول وإحـرَزوا　　ميراثهـا طعنـا عـلى القـرآن[1]

وما كانت نساء الهاشميات بأقلّ رفداً ونصرة للزهراء عليها السلام من رجالهن، فهذه صفية بنت عبد المطلب خرجت وهي تلمع بثوبها — يعني تشير به وتقول: — عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة　　لـو كنـت شـاهدها لم تكثـر
إنّا فقدناك فقـد الأرض وابلَهـا　　واختلّ قومك فأشـهدهم فقـد
قد كان جبريلُ بالآيات يؤنـسنا　　فغاب عنا فكلّ الخير محتجـب
وكنت نوراً وبـدراً يُستـضاء بـه　　عليـك تنـزل مـن ذي العـزة
فقد رزئنـا بـما لم يـرز ذو شـجن　　من البرية لا عجمٌ ولا عـربُ[2]

وقد تمثلت الصدّيقة ببعض هذا الشعر عندما يئست من نصرة الأنصار وقد خذلها المهاجرون فانعطفت على قبر أبيها صلى الله عليه وآله وسلم قائلة:

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة　　لـو كنـت شـاهدها لم تكثـر
إنّا فقدناك فقـد الأرض وابلهـا　　واختـلّ قومـك فأشـهدهم ولا

وروى حرمي بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً:

(١) احقاق الحقّ ١: ٨ ــ ٩ ط كتابفروشي إسلامية.

(٢) راجع كتابنا (المحسن السبط مولود أم سقط): ٢٤٦ ــ ٢٤٧ تجد تحقيقاً حول الأبيات.

فليت بعدك كان الموت صادفنا　　لما قضيت وحالت دونك

وتوالت نفثات الاستنكار لبيعة السقيفة من بني هاشم رجالاً ونساءاً من يومها الأول كما قدمنا، وبقي الاستنكار لدى أولادهم وأحفادهم يظهرون غضبهم على من غصب الخلافة منهم، وحرمهم من حقوقهم التي فرضها الله لهم.

فقد روى ابن أبي الحديد - في شرح النهج - عن أبي بكر محمّد بن عبد العزيز الجوهري – صاحب كتاب السقيفة – بسنده عن داود بن المبارك قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ونحن راجعون من الحجّ في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر فقال: سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال: كانت أمي صدّيقة بنت نبيّ مرسل، فماتت وهي غضبى على إنسان، فنحن غضابٌ لغضبها، وإذا رضيت رضينا[1].

وجاء في مطلع البدور[2] في ترجمة عليّ بن حمزة بن وهاس: (ومن شعره البيتان السائران في آل محمّد مسير الأمثال:

يا أبا حفص الهوينى وما　　كنت مليّا لولا الحمام

أتموت البتول غضبى ونرضى　　ما كذا يصنع البنون الكرام

(١) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٤٩ تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) مطلع البدور ٣: ٢٩٥.

وجاء في الهامش: (وقد روي معناهما لكامل أهل البيت - ويعني به محمّد النفس الزكية ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى - والإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام - وهو القاسم الرسي - وهو قولهما لمن سألهما قول أهل البيت في شأن فاطمة الزهراء والمشائخ، فقالا: كانت لنا أم صدّيقة ابنة صدّيق، ماتت غضبانة ونحن غاضبون لغضبها).

ولابن عباس كلام مع معاوية حين سأله عن وجه ادعاء بني هاشم أمر الخلافة دون غيرهم فقال ابن عباس: (ندّعي هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا ونقول كان ترك الناس أن يرضوا بنا ويجتمعوا علينا حقاً ضيّعوه وحظاً حُرموه... فأمّا الّذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله عليه السلام فعهدٌ منه إلينا، قبلنا فيه قوله، ودنّا بتأويله، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الّذي نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك حقه، إنّما العيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع، وليس كل خطأ ضار. انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود...).

إذن فلولا خطبة الصدّيقة في مسجد أبيها على ملأ من المسلمين لما بقي ما يثبت حقاً لأهل البيت عليهم السلام أو يميط عنهم باطلاً، لأنّ التعتيم الإعلامي السلطوي كان قد شق طريقه إلى النفوس تدعمه الرشاوى، والنفوس مجبولة على حبّ من أحسن إليها، وباعة الضمائر يسيل لعابهم للأصفر الرنّان، وقليل ما هم أمثال تلك العجوز الأنصارية من بني

عدي بن النجار التي رفضت ما بعث به إليها أبو بكر من مال وقالت: أتراشونني عن ديني[1].

وقد أيقظت السيدة الزهراء عليها السلام بخطبتها بعض الضمائر، فتحرّكت تلك الضمائر على استخذاء واستحياء فهتفت الأنصار باسم عليّ عليه السلام وكانت يقظة متأخرة، ونصرة فاترة، لذلك رفضتهم الصدّيقة عليها السلام موّبخة إياهم بعنف حين قال قائلهم: (لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يُبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره) فصفعتهم على وجوههم الشوهاء صفعة الإزدراء قائلة: (إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ولا أمر بعد تقصيركم)[2].

وفي رواية الطبري الإمامي قال لها رافع بن رفاعة الزرقي وقد تبعها: (يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد ما عدلنا به أحداً) فقالت بردنها: إليك عني فما جعل الله لأحد بعد غدير خم من حجة ولا عذر) .

بعد هذا الموقف الرهيب ، الذي كشفت فيه زيف المبطلين في مزاعمهم وتركت القضية بتمام حجمها ودلالتها ، وما سوف يتبعها من تداعياتها أمام جميع المسلمين ، منذ يوم أصحرت بها وستبقى إلى يوم يبعثون ، يعيشها كل مسلم واع داخل ضميره فيفرّق بين الحق والباطل ، ثم هو

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ٥٨٠ ط مصر.

(٢) الاحتجاج للطبرسي : ١٤٩ ط النعمان.

ليحاسب نفسه أمام هذه القضيّة ، لمعرفة المحقّ من المبطل ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران / ١٥٤) .

ولا شك أن قلب المؤمن غير قلب المنافق ، وان جمعتهما هوية الإسلام ولكن الله ليميز الخبيث من الطيّب فلا بد لهما من امتحان ، فقد قال سبحانه: ﴿ ألم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[1] .

---

(١) العنكبوت : ١ ـــ ٣.

المبحث الأوّل: مصادر النصّ في التراث الشيعي

من الطبيعي أن يكون للباحث في التراث الشيعي كبير الأمل بكثرة مصادر النصّ للخطب الفاطمية، أكثر ممّا حفلت به مصادر التراث السنّي، ولكن لدى التحقيق ومقارنة ما بين التراثين في فترة ما بين العهدين - عهد الصدور وعهد آخر المسطور - نجد التفاوت غير ذي بال، خصوصاً إذا لاحظنا الرواة في مصادر التراثين، حيث تتداخل الأسماء فيهما، ويروى كل تراث عن رجال التراث الآخر، ولعلّ الغرابة أن نجد التراث الشيعي يرجع في أصوله الأولى إلى مصدرين قديمين من مصار التراث السنّي وهما بلاغات النساء لابن طيفور وكتاب السقيفة للجوهري كما سيأتي الحديث عنهما، مع أنا نجد فيه ذكر اهتمام أهل البيت عليهم السلام برواية الخطب الفاطمية، فكانوا يتداولونها حفظاً ويأمرون أبناءهم بحفظها، فلماذا إذن الرجوع إلى مصادر التراث السنّي مع الغنى عنه برواية الخطب بالأسانيد الشيعية؟ سؤال يفرض نفسه، ولكن الجواب بكلّ بساطة إنّما ذلك من باب إلزام الخصم المعاند، المشكك في صحّة الصدور. فإذا ما اتفقت رواية الفريقين للنصّ، يحصل اليقين بصحة المروي، ولا مجال للطعن والتشكيك، كما لا معنى للتحوير والتزوير في المضامين، لصراحتها التي تأبى التفسير بغير ما هو صريح العبارة بلا تعتيم أو إشارة.

والآن إلى القارئ ذكر من روى الخطبة الكبيرة بفصولها الثلاثة أو بعضها، ثم نذكر من روى الخطبتين الأخريين بعد ذلك:

رواة الخطبة الكبيرة وهم بحسب تسلسلهم الزمني.

١ - الشيخ الجليل محمّد بن جرير الطبري الإمامي من أعاظم علماء الإمامية في القرن الخامس، فقد أخرج الخطبة بتمامها في كتابه دلائل الإمامة[1] بستة أسانيد، تنتهي إلى ابن عباس وإلى زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام. وإلى عبد الله - المحض - ابن الحسن المثنى - ابن الحسن السبط عن آبائه.

وإلى زيد بن عليّ بن الحسين عن آبائه، وسيأتي ما يتعلّق برجال هذه الأسانيد في الباب الرابع في محاور التوثيق.

٢ - الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين ابن بابويه القمي المتوفّى سنة ٣٨١ أخرج الفصل الأوّل من الخطبة - المتضمّن بيان علل الشرائع وأصول الأحكام - في كتابه علل الشرائع بثلاثة أسانيد تنتهي إلى زينب بنت عليّ عليه السلام، وسيأتي النص عنه في النصوص المختارة.

٣ - أبو عبد الله محمّد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤) روى الفصل الثاني من الخطبة قال: حدّثني محمّد بن أحمد الكاتب، قال: حدّثني أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال: حدّثنا الزيّادي قال: حدّثنا شرقي بن

---

(١) دلائل الإمامة: ٣١ ـــ ٣٩ ط الحيدرية في النجف الأشرف سنة ١٣٦٩ هـ.

قطامي عن محمّد بن إسحاق، قال: حدّثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام اجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها...

قال المرزباني: وحدّثنا أبو بكر أحمد بن محمّد المكي، قال: حدّثنا أبو العيناء محمّد بن القاسم اليمامي قال: حدّثنا ابن عائشة قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبلت فاطمة عليها السلام في لمّة من حفدتها... - وذكر تمام الفصل الثاني من الخطبة - . ثم ساق المرزباني ما اتفقت عليه روايتا عروة عن عائشة وأبي العيناء عن ابن عائشة، إلى قولها عليها السلام: (وأنتم في رفاهة فكهون آمنون وادعون) قال المرزباني: إلى هاهنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة. وزاد عروة عن عائشة (حتى إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه... وذكر باقي الفصل برواية عروة عن عائشة...وسيأتي بقية الكلام للمرزباني حول توثيق الخطبة في الباب الرابع في محاور التوثيق.

٤ – أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١) روى من الخطبة الفصل الثاني والثالث في كتابه نثر الدر[١].

٥ – الشريف المرتضى (ت ٤٣٦) أخرج الفصل الثاني من الخطبة بروايته عن المرزباني السابق ذكره بأسانيده المذكورة آنفاً[٢].

---

(١) نثر الدر في المحاضرات ٤: ٥ ط دار الكتب العلمية بيروت بتحقيق خالد عبد الغني محفوظ.

(٢) راجع الشافي: ٢٣٠ ط حجرية سنة ١٣٠١ .

٦ – الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)[1] – آخرج – ما ذكره الشريف المرتضى – في كتابه تلخيص الشافي .

٧ – الشيخ الطبرسي (من أعلام القرن السادس) روى تمام الخطبة في كتابه الاحتجاج[2].

٨ – السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) روى الخطبة في كتابه الطرائف[3].

٩ – عليّ بن عيسى الإربلي (ت ٦٩٢) روى الخطبة بتمامها في كتابه كشف الغمة[4]. وهو نقلها عن كتاب السقيفة للجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلّفها في ربيع الآخر سنة ٣٢٢ هـ. وهناك مصادر أخرى كثيرة، نقل عنها الشيخ المجلسي في بحار الأنوار[5] وقد تناولها جمع بالشروح والتعليق[6].

وأما مصادر الخطبة الثانية في التراث الشيعي فلاحظ:

١ – معاني الأخبار للشيخ الصدوق (ت٣٨١).

٢ – دلائل الامامة للطبري الامامي من علماء القرن الخامس الهجري.

---

(١) أخرج في تلخيص الشافي ٣: ١٣٩ ــــ ١٤٥ ط مكتبة العلمين.

(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج: ٦١ ــــ ٦٦ ط المرتضوية سنة ١٣٥٠ هـ.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف .

(٤) كشف الغمة: ٤٥٣ ط منشورات الشريف الرضي بقم.

(٥) في بحار الأنوار ٢٩ / باب ١١ نزول الآيات في أمر فدك.

(٦) راجع كتاب الذريعة، إلى تصانيف الشيعة ج١٣ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥ باسم شرح خطبة اللّمّة.

٣- نثر الدر للوزير الدَبي.

٤ - كشف الغمة للإربلي.

٥ - الاحتجاج للطبرسي.

وأما مصادر الخطبة الثالثة ففي امالي الـشيخ الطـوسي ج١/ ٣٨٤ ط النعمان.

المبحث الثاني: في مصادر التراث السني

(أوّلاً) الخطبة الكبيرة: وهي ذات ثلاثة فصول:

(فإنّها من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردها المؤالف والمخالف) هكذا تحدث عنها الإربلي (ت ٦٩٢) وقد أوردها في كتابه كشف الغمة نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلّفها في ربيع الآخر سنة ٣٢٢ روى عن رجاله من عدة طرق.

ولا امتراء في توثيق الجوهري وانّه عالم محدث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدّثون، ورووا عنه مصنفاته كما قاله ابن أبي الحديد وهو قد روى الخطبة عن عمر بن شبّة، وهذا أيضاً وثقّه الدارقطني وابن أبي حاتم والخطيب وغيرهم كما في تهذيب التهذيب ٧ / ٤٦٠، وذكرنا في كتاب المحسن السبط نقل ما قالوه فيه أيضاً وذكرنا أنّ وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة (٢٦٢) ، فيعدّ هوأوّل من وصلت إلينا الخطبة عن طريقه من التراث السنّي، ومن بعده يأتي ابن طيفور (ت ٣٨٠) فقد رواها في بلاغات النساء، بإسناده كما سيأتي ذكره في النصوص[1] - وثالث القوم - بعد عمر بن شبة وابن طيفور - هو ابن قتيبة (ت ٢٧٦) فقد أشار إلى

(١) بلاغات النساء: ١٤.

الخطبة في كتابه (غريب الحديث)[٢٦٠] فقال: لَمّة الرجل من النساء مثله في السنّ. ومنه قيل في الحديث الموضوع على فاطمة رحمها الله، إنّها خرجت في لَمّة من نسائها تتوطأ ذيولها، حتى دخلت على أبي بكر فكلّمته بذلك الكلام. وقد كنت كتبته وأنا أرى أنّ له أصلاً، ثم سألت عنه رجال الحديث فقال لي بعض نقلة الأخبار: أنا أسنّ من هذا الحديث وأعرف من عمله!

أقول: ليت ابن قتيبة سمّى لنا مَن ذا الّذي سأله من رجال الحديث؟

وما اسم ذلك البعض من نقلة الأخبار الّذي قال له هو أسنّ من الحديث؟ثم لماذا لم يسمّ له مَن عمله ما دام يزعم معرفته؟

وأخيراً ما دام قرّ عند ابن قتيبة أنّه موضوع معتمداً على مقالة مجهول عن مجهول، فلماذا استشهد به ما دام موضوعاً؟

والغريب أن يقول ابن قتيبة ذلك، ومعاصره ابن طيفور ذكر الخطبة في كتاب (بلاغات النساء) وهو كتاب مطبوع بمصر قبل قرن تقريباً، ثم انّ ابن قتيبة ذكر بعدما تقدّم أنّ فاطمة عليها السلام قالت بعد موت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة　　　لو كنت شاهدها لم تكثر

---

(٢٦٠) غريب الحديث ١: ٩٠ تحـ عبد الله الجبوري ط الأوقاف ببغداد.

إنّــا فقــدناك فقــد الأرض وابلها واختل قومك فأشهدهم

وهذا الكلام قالته بعد كلامها الذي زعـم أنـه موضـوع، فعمّـن رواه؟ ولماذا ذكره؟

والرابع من رواة الخطبة في تصانيفهم هو أبو بكر أحمد بـن عبـد العزيـز الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣[2] المشار إليه آنفـاً فقـد روى الخطبـة في كتابـه السقيفة، وعنه نقلها الإربلي كما تقدم.

ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج نقله عن الجوهري[3] .

والخامس أبو الحسن عليّ بن الحسين المسعودي الشافعي المتوفي (٣٤٦) رواها في كتابه أخبار الزمان كما أشار إلى ذلـك في كتابـه مـروج الـذهب فقال: (في آخر أخبار أبي بكر وقد أعرضنا عن ذكر كثير مـن الأخبـار في هذا الكتاب طلباً للاختصار والإيجاز فيها... وعـدّد أمـوراً كثـيرة إلى أن قال...: وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت إلى قبر أبيها عليه السلام من قول صفية بنت عبد المطلب:

قد كان بعـدك أنبـاء وهنبثـة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب[1]

(١) لقد مرّ ما يتعلّق بالبيتين ونسبتهما إلى الصدّيقة إنشاءاً أو إنشاداً. وقد ذكرهما أهل اللغة في (هنبث) فراجع النهاية لابن الأثير ٥: ٧٧ ، والفائق للزمخشري ٤: ١١٦ ، ولسان العرب لابن منظور ٢: ١٩٩ ط أفست بولاق.

(٢) أخبار الراضي للصولي : ٦٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ٢١٠ تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم.

والسادس أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني المتوفى سنة ٤١٠ أخرج من الخطبة الكبيرة الفصل الثاني وهو ما جرى لها مع أبي بكر دون الفصل الأوّل في محاسن التشريع وعلل الأحكام، ودون الفصل الثالث في كلامها مع الأنصار.

ورواها عنه أخطب خوارزم الحنفي ت ٥٦٨[2] وهو:

السابع من رواة الخطبة، وقد روى منها الفصل الثاني فقط بإسناده.

والثامن من رواة الخطبة ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمّد المتوفى سنة٦٠٦ رواها في كتابه منال الطالب في شرح طوال الغرائب وستأتي صورة ما عنده وقد ضمت الفصلين الأخيرين دون الفصل الأوّل الّذي هو في حكمة التشريع وقال: افتتحت الكلام بالحمد لله والثناء عليه، والصلاة على رسوله في كلام طويل من الثناء والتحميد[3].

والتاسع سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ روى عن الشعبي مرسلاً شيئاً من الخطبة وستأتي روايته الكاشفة عن صورته الكاسفة.

والعاشر عبد الحميد بن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ روى الخطبة مرتين أولاهما نقلاً عن كتاب فدك والسقيفة للجوهري وستأتي روايته وثانيتهما

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣١٠ ـــ ٣١١ تحـ محمّد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٧.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٧٧.

(٣) منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير.

برواية الشريف المرتضى في الشافي بإسناده، وستأتي روايتهما معاً عند ابن أبي الحديد للتفاوت فيما بينها في بعض الألفاظ.

والحادي عشر ابن الدمشقي الباعوني المتوفى سنة ٨٧٦ روى من الخطبة الفصل الثاني في كتابه جواهر المطالب[١].

وأخيراً لا آخراً وهو الثاني عشر عمر رضا كحالة في كتابه أعلام النساء ذكر ترجمة السيدة فاطمة بنت محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، وذكر الفصلين الثاني والثالث من الخطبة الكبيرة وتمام الخطبة الثانية[٢].

ولم تخل الترجمة من رواسب الهمهمة والغمغمة، كما أنّه لم يكن هو الوحيد من المتأخرين الذين ذكروا من الخطبة الفصلين الثاني والثالث معاً، فثمة جماعة من الكتّاب الباحثين المحدّثين ذكروا ذلك:

١ – فمنهم الكاتب المصري الشهير عباس محمود العقاد[٣]. وذكر من الخطبة فصلها الثاني ثم الثالث وحسبهما روايتين لخطبة واحدة وفاته أنّهما فصلان من خطبة واحدة نقلاً عن بلاغات النساء، وله تعقيب عليها سيأتي في الباب الرابع في محاور التوثيق في الأسلوب.

٢ – ومنهم توفيق أبو علم[٤].

---

(١) جواهر المطالب ١: ١٥٥ تحـ المحمودي.

(٢) أعلام النساء ٤: ١٠٨ ــــ ١٣٢ ط الثانية المطبعة الهاشمية بدمشق.

(٣) في المجموعة الكاملة كتابه فاطمة بنت محمّد ﷺ، وفي ج ٣: ٤٦ ط دار الكتاب اللبناني.

(٤) في كتابيه فاطمة وأهل البيت: ١٥٦ ط السعادة بمصر.

٣ – ومنهم أحمد حسين يعقوب[١].

٤ – ومنهم عبد المنعم حسن[٢].

٥ – ومنهم طارق بن زين العابدين[٣].

٦ – ومنهم محمّد بيومي المصري[٤].

ومنهم ومنهم... إلى غير هؤلاء.

(ثانياً) الخطبة الثانية مع نساء المهاجرين والأنصار:

فأقدم من رواها أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠) في المختار الثالث ممّا اختاره من كلام الصدّيقة عليها السلام[٥]، قال: وحدّثني هارون بن مسلم بن سعدان عن الحسن بن علوان عن عطية العوفي قال: لمّا مرضت فاطمة عليها السلام...

ورواها أبو بكر محمّد بن عبدالعزيز الجوهري (ت ٣٢٣) في كتابيه السقيفة وفدك، وهو رواها عن محمّد بن زكريا (وهو الغلاّبي المتوفّى سنة

(١) في كتابه الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: ٣١٧ و٣٢٣، دار الفجر لندن.

(٢) في كتابه (بنور فاطمة اهتديت): ٨٦ ط دار المعروف ببروت سنة ١٤١٩ هـ.

(٣) في كتابه (دعوة إلى سبيل المؤمنين): ٨٢ ط مؤسسة الطبع والنشر الآستانة الرضوية المقدسة سنة ١٤١٨ هـ

(٤) في كتابه (السيدة فاطمة الزهراء): ١٤٢ ط الثانية سنة ١٤١٨ هـ.

(٥) بلاغات النساء: ٣٢.

٢٩٨) عن محمّد بن عبدالرحمن المهلبي عن عبد الله بن حمّاد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام.

وقد رواها ابن أبي الحديد[1].

وقد مرّ في مصادر هذه الخطبة في التراث الشيعي روايتها عن بعض رجال العامة، فلاحظ معاني الأخبار للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) ودلائل الإمامة للطبري ونثر الدر للوزير الآبي والاحتجاج للطبرسي وكشف الغمة للإربلي (ت ٦٩٢) وغيرهم.

(ثالثاً) الخطبة الثالثة:

وهي كلامها مع عائشة بنت طلحة، وهذا لم أقف عليه في مصدر من التراث السنّي بل هي مروية في التراث الشيعي كما مرّ[2].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦ : ٢٣٣ تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري المذكور.

(٢) لاحظ أمالي الشيخ الطوسي ١ : ٣٨٤ في الحديث ٥٥ ط النعمان.

المبحث الثالث: النصوص المختارة

لقد سبق منّا في المبحثين السابقين ذكر مصادر الخطب الفاطمية في التراث الإسلامي - الشيعي والسنّي - وتبين أنّ القطبين يتجاذبان الخطب رواية وتسجيلا، وكادا أن يكونا متقاربين في العرض والعدد، وفي كل منهما ما هو مسلسل الإسناد، منذ صاحب الكتاب وحتى الرواة الأوائل، ومَن رواها مرسلة فإنّما ذلك، لثبوتها لديه، لأنّ شهرتها تغنيه عن ذكر السند.

وأنا الآن أمامي صور مجموعة النصوص من مصادرها المطبوعة في التراثين ونظراً لكثرتها، ووحدة ما فيها إجمالاً - وان تفاوت النص فيها أحياناً - سأختارمن التراث الشيعي نصاً واحداً، وهو في أقدم ما وصل إلينا من المصادر في التراث الشيعي وصاحبه من رجال القرن الخامس الهجري، وهو محمّد بن جرير الطبري الإمامي، ويمتاز بذكره أسانيده لرواية الخطب، وهي تسعة أسانيد ساقها بتفصيل، زيادة في التوثيق، وستأتي أسماء رجالها في الباب الرابع في محاور التوثيق، ووقفة مع الاسناد، ولم أجد في جملة المصادر في التراثين من ضاهاه في هذه الناحية، فقد يذكر المؤلّف سنداً واحداً أو سندين ولا يتعداهما أمّا الطبري الإمامي فقد جاز القنطرة - إن صحّ التعبير - وأتى بما لم نجده عند غيره. ثم أذكر ما عند

الشيخ الصدوق من شرح الخطبة الثانية. واتبعه بها في أمالي الشيخ الطوسي من كلامها عليها السلام مع عائشة بنت طلحة.

أمّا عن التراث السنّي فأعرض أمام القارئ خمسة نصوص مصوّرة عن مصادرها المطبوعة، دفعاً للشك والشبهة، ولئلاّ يقول متنطع هلاّ أتيت بها إن كنت صادقاً، أو انّك أتيت بها محوّرة ومزّورة، وهذه نغمة شاعت في العصور المتأخّرة، وتلك بلية المفلسين إذا أبلسوا عند قيام الحجة، فليس لديهم إلاّ الإنكار والإستكبار، ولو أنّهم آمنوا واتّبعوا الحقّ لكان خيراً لهم، ولكنّ حبائل الشيطان تردي الإنسان.

والنصوص التي سأعرضها مصوّرة عن مصادرها هي:

١ - رواية الشعبي (ت ١٠٣ ، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧)، وقد ذكرها سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) مرسلاً في كتابه تذكرة الخواص وهي على اختصارها تنبئ عن وقاحة الشعبي لعدم روايته فصل الخطبة كما هو، وقباحة فعل السبط إذ اختار هذه الرواية المرسلة دون بقية الروايات المسندة التي هي أكمل منها.

٢ - صورة النص عن كتاب (بلاغات النساء) لابن طيفور (ت ٢٨٠).

٣ - صورة النص عن كتاب (السقيفة) للجوهري (ت ٣٢٣) برواية ابن أبي الحديد الشافعي في شرح نهج البلاغة وما عقّب به من كلام يكشف عن تعصبه المقيت على من خالف هواه.

٤ - صورة النص عن كتاب(مقتل الحسين)للخوارزمي الحنفي (ت ٥٦٨).

٥ - صورة النص عن كتاب (منال الطالب) لابن الأثير (ت ٦٠٦).

٦ - صورة النص عن كتاب (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة وسأذكرها وما كتبه في ترجمتها كما هو.

وإنّما أكثرت من ذكر الصور من التراث السنّي دون الشيعي ، لأنّ أكثر المشككين هم من السنّة، فكثرة صورها ومن مصادرها السنّية أبلغ في إقامة الحجة من باب (من فمك أدينك) ولو أنّ المشكك أنصف نفسه، وتلا الخطب بإمعان، لآمن بصحتها لبلاغتها وفصاحتها، كما سيأتي مزيد بيان عن هذا الجانب في الباب الرابع في روعة الاسلوب وقوّة الحجة.

والآن إلى مختار النصوص من التراث

النصوص من التراث الشيعي

النصّ الأوّل: (دلائل الإمامة) لأبي جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري من أعاظم علماء الإمامية في المائة الخامسة.

حديث فدك

حدّثني أبو المفضل محمّد بن عبد الله، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عثمان بن سعيد الزيات، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين الغصباني، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي السكوني، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب الربعي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منع فدك...

وأخبرني أبو الحسين محمّد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني، قال حدّثني محمّد بن المفضل بن إبراهيم بن المفضل بن قيس الأشعري، قال: حدّثنا عليّ بن حسان، عن عمه عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام، عن أبيه، عن جده عليّ بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، قالت: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً...

قال أبو العباس: وحدّثنا محمّد بن المفضل بن إبراهيم الأشعري، قال:

حدّثني أبي، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عمرو بن عثمان الجعفي، قال: حدّثني أبي، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جده عليّ بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وغير واحد أن فاطمة لما أجمع أبو بكر على منعها فدكاً...

وحدّثني القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر بن سهل ابن حمران الدقاق، قال: حدثتني أم الفضل خديجة بنت محمّد بن أحمد بن أبي الثلج، قالت: حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد الصفواني، قال: حدّثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري، قال: حدّثنا محمّد بن زكريا، قال: حدّثنا جعفر بن عمارة الكندي، قال: حدّثني أبي، عن الحسن بن صالح بن حي - قال: وما رأت عيناي مثله - قال: حدّثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت عليّ عليه السلام، قالت: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منع فدك، وانصراف وكيلها عنها، لاثت خمارها... وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدّثني محمّد بن محمّد بن يزيد مولى بني هاشم، قال: حدّثني عبد الله بن محمّد بن سليمان، بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن جماعة من أهله... وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدّثني أبي، عن عثمان[1]، قال: حدّثنا نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام عن آبائه وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدّثنا عبد الله بن الضحاك[2]، قال: حدّثنا هشام بن محمّد، عن أبيه وعوانة[3].

قال الصفواني: وحدّثنا ابن عائشة[4] ببعضه.

وحدّثنا العباس بن بكار، قال: حدّثنا حرب بن ميمون، عن زيد بن عليّ، عن آبائه (عليهم السلام)، قالوا: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، وانصراف عاملها منها، لاثت خمارها، ثم أقبلت في لمّة[5] من حفدتها[6] ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) في شرح النهج: عثمان بن عمران العجيفي..

(٢) في شرح النهج: محمّد بن الضحاك.

(٣) في شرح النهج: عوانة بن الحكم، وهو أبو الحكم الكوفي الضرير، وصفوه بأنه كان عالما بالأخبار والآثار، ثقة، وكان عثمانيا، وكان يضع أخبارا لبني أمية وله كتاب (سير معاوية وبني أمية) روى عنه هشام بن الكلبي. انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٦ : ١٣٤، لسان الميزان ٤ : ٣٨٦.

(٤) وهو عبيد الله بن محمّد بن حفص، ويعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة، وثقه أبو حاتم وغيره، وروى بعض حديث فدك محمّد بن زكريا، عن ابن عائشة، عن أبيه، عن عمه. انظر شرح النهج ١٦ : ٢١٦، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٥٦٤.

(٥) أي في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل اللمّة: المثل في السن، والترب (النهاية ٤ : ٢٧٣).

(٦) الحفدة: الأعوان والخدم (الصحاح - حفد - ٢ : ٤٦٦).

حتى دخلت على أبي بكر، وقد حفل حوله المهاجرون والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت حتى هدأت فورتهم، وسكنت روعتهم، افتتحت الكلام، فقالت:

((أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطول، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء على ما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن والاها، جمّ عن الاحصاء عددها، ونأى عن المجاراة أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، استدعى الشكور بإفضالها[1]، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وأمر بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأبان في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام الإحاطة به، ابتدع الأشياء لا من شئ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة [امتثلها][2]، وضعها[3] لغير فائدة زادته، بل إظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريّته، وإعزازا لأهل دعوته، ثم جعل

(١) في بلاغات النساء: واستثن الشكر بفضائلها، وفي كشف الغمة: استتب الشكر بفضائلها.

(٢) من الاحتجاج.

(٣) في ع، م: سنأها.

الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة[1] لعباده عن نقمته، وحياشة[2] لهم إلى جنته.

وأشهد أن أبي محمّداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله[3]، واصطفاه قبل أن يبتعثه، وسمّاه قبل أن يستنجبه[4]، إذ الخلائق في الغيب مكنونة، وبسد الأوهام[5] مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله في غامض الأمور، وإحاطة من وراء حادثة الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور.

ابتعثه الله إتماما لعلمه، وعزيمة على إمضاء حكمه، فِرَأى الأمم فرقا في أديانها، عكّفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد ظُلَمَها، وفرّج عن القلوب بُهمها[6]، وجلا عن الأبصار غُممها، وعن الأنفس عَمهها.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة ورحمة، واختيار ورغبة لمحمد عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، أمينه على الوحي، وصفيه

(١) الذيادة: الطرد والدفع (لسان العرب ـــ ذود ـــ ٣: ١٦٧).

(٢) الحياشة: السوق والجمع (لسان العرب ـــ حوش ـــ ٦: ٢٩٠).

(٣) جبله: أي خلقه (القاموس المحيط ـــ جبل ـــ ٣: ٣٥٦).

(٤) انتجب فلاناً واستنجبه: إذا استخلصه واصطفاه اختيارا على غيره (لسان العرب ـ نجب ـ ١: ٧٤٨).

(٥) في ع: بسر الأوهام، وفي بلاغات النساء والاحتجاج: وبستر الأهاويل.

(٦) في ط: شبهها.

ورضيه، وخيرته من خلقه ونجيه، فعليه الصلاة والسلام[1]، ورحمة الله وبركاته).

ثم التفتت إلى أهل المجلس[2]، فقالت لجميع المهاجرين والأنصار: (وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم لله فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله، بينة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان فينا متجلية ظواهره، مديم للبرية استماعه، وقائد إلى الرضوان أتباعه، ومؤد إلى النجاة أشياعه، فيه تبيان حجج الله المنورة، ومواعظه المكررة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذّرة، وأحكامه الكافية، وبيناته الجالية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، ورحمته المرجوة، وشرائعه المكتوبة.

ففرض الله عليكم الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزييدا في الرزق، والصيام إثباتا للاخلاص، والحج تشييداً للدين، والحق تسكينا للقلوب، وتمكينا للدين، وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا لـمّا للفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على الاستيجاب[3]، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والنهي عن المنكر

---

(١) في ع، م : خلقه وعليه السلام.

(٢) في ط، م : المسجد.

(٣) الاستيجاب: الاستحقاق (لسان العرب ١: ٧٩٣) وفي ط: الاستجابة، وفي الاحتجاج: استيجاب الأجر

تنزيها للدين، والبرّ بالوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، وزيادة في العمر، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذور(١) تعرّضا للمغفرة، ووفاء المكيال والميزان تغييرا للبخس(٢) والتطفيف، واجتناب قذف المحصنة حجابا عن اللعنة، والتناهي عن شرب الخمور تنزيها عن الرجس، ومجانبة السرقة إيجابا للعفة، والتنزه عن أكل مال اليتيم والاستئثار به إجارة من الظلم، والنهي عن الزنا تحصنا من المقت، والعدل في الأحكام إيناسا للرعية، وترك الجور في الحكم إثباتا للوعيد، والنهي عن الشرك إخلاصا له تعالى بالربوبية.

فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، ولا تتولوا مدبرين، وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم، فإنما يخشى الله من عباده العلماء، فاحمدوا الله الّذي بعظمته ونوره ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجة غيبه، وورثة أنبيائه).

ثم قالت: (أنا فاطمة وأبي محمّد، أقولها عودا على بدء، وما أقولها إذ أقول سرفا ولا شططا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣] إن تعزوه تجدوه أبي دون

(١) في ط: بالعهود.

(٢) في ع، م وبلاغات النساء: تعيرا للبخسة.

(٣) التوبة ١٢٨ .

نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، بلّغ النذارة[1] صادعا بالرسالة، ناكبا عن سنن المشركين، ضاربا لأثباجهم[2]، آخذا بأكظامهم[3]، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذ[4] الأصنام، وينكت الهام[5]، حتى انهزم الجمع، وولوا الدبر، وحتى تفرّى[6] الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه[7]، ونطق زعيم الدين، وهدأت فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان[8]، وفهتم بكلمة الاخلاص.

وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها نبيّه، تعبدون الأصنام، وتستقسمون بالأزلام، مذقة الشارب[9]، ونهزة[10] الطامع، وقبسة

(١) في ع، م: فبلغ النداء، وفي الشافي والاحتجاج والطرائف: فبلغ الرسالة صادعا بالنذارة.

(٢) الثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر، ووسط الشيء (الصحاح ــ ثبج ــ ١: ٣٠١).

(٣) يقال: أخذت بكظمه: أي بمخرج نفسه، والجمع أكظام (الصحاح ــ كظم ــ ٥: ٢٠٢٣).

(٤) جذذت الشئ: كسرته وقطعته (الصحاح ــ جذذ ــ ٢: ٥٦١).

(٥) أي يرميها إلى الأرض. والهام: جمع الهامة وهي الرأس.

(٦) تفرى: أي انشق (الصحاح - فرا - ٦: ٢٤٥٤).

(٧) محضه: أي خالصه وصريحه (النهاية - محض - ٤: ٣٠٢).

(٨) شبهت الفصيح المنطيق بالفحل الهادر، ولسانه بشقشقته، ونسبتها إلى الشيطان لما يدخل فيه من الكذب والباطل، وكونه لا يبالي بما قال. والشقاشق جمع شقشقة وهي لهاة البعير (النهاية - شقق - ٢: ٤٨٩، لسان العرب - شقق - ١٠: ١٨٥).

(٩) المذقة: الشربة من اللبن الممذوق (الممزوج بالماء) (النهاية - مذق - ٤: ٣١١).

(١٠) النهزة: الفرصة (النهاية - نهز - ٥: ١٣٥).

العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الرنق[1]، وتقتاتون القدة[2]، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي[3] وبعد ما مني ببهم[4] الرجال، وذؤبان العرب[5]، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾[6]، وكلّما نجم[7] قرن الضلالة، أو فغرت[8] فاغرة المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها[9] بأخمصه، ويخمد لهبها بحده، مكدودا في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيدا في أولياء الله، وأنتم في بلهنية[10] آمنون، وادعون فرحون، تتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال على الأعقاب، حتى أقام الله بمحمّد صلى الله عليه وآله عمود الدين.

---

(١) الرنق: تراب في الماء من القذى ونحوه، وماء رنق: كدر (لسان العرب - رنق - ١٠: ١٢٦) وفي المصادر: تشربون الطرق: أي الماء الّذي خاضته الإبل وبالت فيه وبعرت (النهاية - طرق - ٣: ١٢٣).

(٢) القدة: السير يقد من جلد غير مدبوغ. (أقرب الموارد - قدد - ٢: ٩٧٠).

(٣) يريد الشدة العظيمة والصغيرة. (كتاب الأمثال: ٢٥٦ / ٨٨٢).

(٤) البهم: جمع بهمة: الشجاع، وقيل: هو الفارس الّذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه (لسان العرب - بهم - ١٢: ٥٨).

(٥) يعني صعاليكهم ولصوصهم. والذوبان: جمع ذئب، والأصل فيه الهمز. (النهاية - ذوب - ٢: ١٧١).

(٦) المائدة: ٦٤.

(٧) نجم: طلع وظهر (لسان العرب - نجم - ١٢: ٥٦٨).

(٨) فغرت: أي فتحت (الصحاح - فغر - ٢: ٧٨٢).

(٩) الصماخ: ثقب الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها (لسان العرب - صمخ - ٣: ٣٤).

(١٠) البلهنية: السعة (الصحاح - بله - ٦: ٢٢٢٧).

ولما اختار الله (عز وجل) له دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت حسيكة[١] النفاق، واسمل جلباب[٢] الدين، وأخلق ثوبه، ونحل عظمه، وأودت رِمته[٣]، وظهر نابغ، ونبغ خامل، ونطق كاظم[٤]، وهدر فنيق[٥] الباطل يخطر[٦] في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم، فألفاكم غضابا، فخطمتم[٧] غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم بداراً[٨]، زعمتم خوف الفتنة ﴿**أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[٩].

هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، فهيهات منكم، وأين بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجره لائحة، وأوامره لامحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بينة، وقد خالفتموه رغبة عنه،

---

(١) الحسيكة: الضغن والعداوة (الصحاح - حسك - ٤: ١٥٧٩).

(٢) أي بلي وأخلق، والجلباب: الأزار والرداء، وقيل: الملحفة..

(٣) والرمة بالكسر: العظام البالية (الصحاح - رمم - ٥: ١٩٣٧).

(٤) في بعض المصادر: ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين.

(٥) الهدير: ترديد الصوت في الحنجرة (الصحاح - هدر - ٢: ٨٥٣) الفنيق: الفحل المكرم من الإبل (الصحاح - فنق - ٤: ١٥٤٥).

(٦) يخطر: من الخطران وهو الاهتزاز في المشي والتبختر (الصحاح - خطر - ٢: ٦٤٨).

(٧) فخطمتم: من الخطام، وهو كوي على شكل خط من أنف البعير إلى أحد خديه، انظر (النهاية: ٢: ٥٠).

(٨) بدارا: أي سراعا (الصحاح - بدر - ٢: ٥٨٦).

(٩) التوبة: ٤٩.

فبئس للظالمين بدلا، ثم لم تلبثوا[1] إلاّ ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، تسرون[2] حسوا بارتغاء[3]، أو نصبر منكم على مثل حز المدى، وزعمتم أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4] إيهاً[5] معشر المسلمين، أأبتز إرث أبي، يا بن أبي قحافة؟! أبى الله (عز وجل)[6] أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئا فرّيا، جرأة منكم على قطيعة الرحم، ونكث العهد، فعلى عمد ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه، إذ يقول الله (عز وجل): ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[7]. وفيما قص من خبر يحيى وزكريا إذ يقول ﴿ربّ.. فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ

---

(١) في ط: لم تريثوا شعثها، وفي ع: لم ترتثوا أختها، وفي م: لم تريثوا أختها، وما في المتن من الشافي.

(٢) في ع، م: تشربون.

(٣) مثل يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره، وأصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها، فيشربها مع اللبن، انظر مجمع الأمثال ٢: ٤١٧، لسان العرب ــ رغا ــ ١٤: ٣٣٠.

(٤) آل عمران: ٨٥. وما قبلها تضمين من سورة المائدة: ٥٠.

(٥) إيها: أي هيهات، وأيها بمعنى كف واسكت (الصحاح ــ أيه ــ ٦: ٢٢٢٦، لسان العرب ــ أيه ــ ١٣: ٤٧٤).

(٦) في الاحتجاج: أفي كتاب الله.

(٧) النمل: ١٦.

رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[1].

وقال (عز وجل): ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[3]. فزعمتم أن لا حظّ لي، ولا أرث من أبي! أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟!

أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون[4] ؟! أو لست وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم من النبيّ؟! فدونكها دونكها[5] مرحولة مزمومة[6] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، ونعم الزعيم[7] محمّد، والموعد القيامة، وعمّا قليل تؤفكون، ما تحسرون، و﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾[8] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ

---

(١) مريم: ٤ ــ ٦.

(٢) النساء: ١١.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) في ط : يتوارثان.

(٥) في ط: ممن جاء به فدونكموها.

(٦) مرحولة: من الرحل وهو مركب للبعير والناقة، (لسان العرب ــ رحل ــ ١١: ٢٧٤). مزمومة: من الزمام وهو الخيط الّذي يشد في البرة أو في الخشاش ثم يشد في طرفي المقود (لسان العرب ــ زمم ــ ١٢: ٢٧٢).

(٧) في ط: الخصيم.

(٨) الأنعام: ٦٧.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[1]. ثم التفتت إلى قبر أبيها (صلوات الله عليهما)، وتمثلت بأبيات. صفية بنت عبد المطلب (رحمها الله تعالى):

قد كان بعدك أنباء وهنبثة[2]
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها
واجتث أهلك مذ غُيّبت

أبدت رجال لنا فحوى[3]
لمّا نأيتَ وحالت بيننا الكُثُب

تجهّمتنا لِبال واستَخفّ بنا
دهر فقد أدركوا منا الّذي طلبوا

قد كنت للخلق نورا يستضاء به
عليك تنزل من ذي العزة الكتب

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا
فغاب عنا فكل الخير محتجب

فقال أبو بكر لها: صدقت يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين رؤوفا رحيما، وعلى الكافرين عذابا أليما، وكان - والله - إذا نسبناه

(١) هود: ٣٩، الزمر: ٣٩ و ٤٠.

(٢) الهنبثة: الأمور الشداد، والاختلاط في القول (النهاية ــ هنبث ــ ٥: ٢٧٨).

(٣) في شرح النهج: نجوى.

وجدناه أباك دون النساء، وأخا ابن عمك دون الرجال آثره على كل حميم، وساعده على الأمر العظيم، وأنتم عترة نبيّ الله الطيبون، وخيرته المنتجبون، على طريق الجنة أدلتنا، وأبواب الخير لسالكينا.

فأما ما سألت، فلك ما جعله أبوك، وأنا مصدّق قولك، لا أظلم حقك، وأما ما ذكرتِ من الميراث فإن رسول الله قال: (نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث).

فقالت فاطمة: (يا سبحان الله! ما كان رسول الله لكتاب الله مخالفا، ولا عن حكمه صادفا، فلقد كان يلتقط أثره، ويقتفي سيره، أفتجمعون إلى الظلامة الشنعاء والغلبة الدهياء[1]، اعتلالا بالكذب على رسول الله، وإضافة الحيف[2] إليه؟!

ولا عجب إن كان ذلك منكم، وفي حياته ما بغيتم له الغوائل، وترقبتم به الدوائر، هذا كتاب الله حكم عدل، وقائل فصل، عن بعض أنبيائه إذ قال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[3].

وفصل في بريته الميراث مما فرض من حظ الذكور والإناث، فلِمَ سولت لكم أنفسكم أمرا؟! فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون[4].

---

(١) الدهياء: تعظيم الداهية: الأمر المنكر العظيم (لسان العرب ـــ دها ـــ ١٤: ٢٧٥).

(٢) في ع: الخرف، وفي م: الخوف.

(٣) مريم: ٦.

(٤) تضمين من سورة يوسف: ١٨.

قد زعمت أن النبوة لا تورث، وإنما يورث ما دونها، فما لي أمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في كتابه: إلاّ فاطمة بنت محمّد؟ فدلني عليه أقنع به).

فقال أبو بكر لها: يا بنت رسول الله، أنت عين الحجة، ومنطق الحكمة، لا أدلي بجوابكِ، ولا أدفعك عن صوابك، ولكن المسلمون بيني وبينك، هم قلدّوني ما تقلدت، وأتوني ما أخذت وتركت. قال: فقالت فاطمة عليها السلام لمن بحضرته: (أتجتمعون إلى المقبل بالباطل والفعل الخاسر؟! لبئس ما اعتاض المسلمون، وما يسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين، أما والله لتجدن محملها ثقيلاً، وعبأها وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، فحينئذ لات حين مناص، وبدا لكم من الله ما كنتم تحذرون).

قال: ولم يكن عمر حاضرا، فكتب لها أبو بكر كتاباً إلى عامله برد فدك، فأخرجته في يدها، فاستقبلها عمر، فأخذه منها وتفل فيه ومزّقه، وقال: لقد خرف ابن أبي قحافة، وظلم.

فقالت له:(مالك؟ لا أمهلك الله تعالى، وقتلك، ومزّق بطنك).وأتت من فورها ذلك الأنصار، فقالت: (معشر النقيبة، وأعضاد الملة، وحضنة الاسلام، ما هذه الغميزة في حقي، والسِنة[1] عن ظلامتي، أما كان

(١) السنة: الغفلة (أساس البلاغة ـــ وسن ـــ: ٤٩٩).

رسول الله أمر بحفظ المرء في ولده؟ فسرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة[1].

أتقولون مات محمّد فخطب جليل، استوسع وهيه[2]، واستنهر فتقه[3]، وفقد راتقه، فأظلمت الأرض لغيبته، واكتأب خيرة الله لمصيبته، وأكدت الآمال[4]، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأذيلت[5] الحرمة بموت محمّد، فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في أفنيتكم ممساكم ومصبحكم هتافاً. ولقبل ما خلت به أنبياء الله ورسله **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾**[6].

أبني قيلة[7]، أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع! تلبسكم الدعوة، ويشملكم الجبن، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن[8] وأنتم

---

(١) عجلان ذا إهالة: مثل معروف، يراد به ما أسرع ما كان هذا الأمر! وفيه ثلاث كلمات: سرعان، عجلان، وشكان، انظر، جمهرة الأمثال ١: ٥١٩، مجمع الأمثال ١: ٣٣٦.

(٢) الوهي: الشق أو الخرق في الشيء (لسان العرب ــ وهي ــ ١٥: ٤١٧).

(٣) يقال: طعنة طعنة أنهر فتقها: أي وسعه (لسان العرب ــ نهر ــ ٥: ٢٣٧).

(٤) أكدى الرجل: أخفق ولم يظفر بحاجته (أساس البلاغة ــ كدى ــ: ٣٨٩).

(٥) أذيلت: أهينت (أساس البلاغة ــ ذيل ــ: ١٤٨).

(٦) آل عمران: ١٤٤.

(٧) الأوس والخزرج، قبيلتا الأنصار، وقيلة: اسم أمهم قيلة بنت كاهل (النهاية ــ قيل ــ ٤: ١٣٤).

(٨) الجنن هنا الدار أيضا، ويقال لكل ما ستر: جن وأجن. ولعلها الجنن بالضم، جمع الجنة، وهو كل ما واراك من السلاح واستترت به، انظر لسان العرب ــ جنن ــ ١٣: ٩٢ و ٩٤. وفي ط: الخيرة.

النخبة التي امتحن، ونحلته التي انتحل، وخيرته التي انتخب لنا أهل البيت، فنابذتم فينا العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح وتبرحون، ونأمركم فتأتمرون، حتى دارت بنا وبكم رحى الاسلام، ودّر حلب البلاد، وخضعت بغوة الشرك، وهدأت روعة الهرج، وخبت نار الحرب، واستوسق[1] نظام الدين، فأنى جرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، عن قوم ﴿نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[2].

ألا أرى والله أن [قد] أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فعجتم[3] عن الدين ومججتم[4] الّذي استوعيتم، ودسعتم[5] ما استرعيتم، ألا و﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[6].

---

(١) استوسق الأمر: انتظم (المعجم الوسيط ــ وسق ــ ٢: ١٠٣٢).

(٢) التوبة: ١٢.

(٣) عاج عن الأمر: انصرف (المعجم الوسيط ــ عوج ــ ٢: ٦٣٤).

(٤) مججتم: رميتم (لسان العرب ــ مجج ــ ٢: ٣٦١).

(٥) الدسع: القيء (لسان العرب ــ دسع ــ ٨: ٨٤).

(٦) إبراهيم: ٨ و ٩.

ألا وقد قلت الّذي قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثة الصدر، ومعذرة الحجة، فدونكم فاحتقبوها[1] دبرة الظهر[2]، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، إنها عليهم مؤصدة، في عمد ممددة .

فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[3]، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[4] وكان الأمر قد قصر. ثم ولت، فأتبعها رافع بن رفاعة الزرقي، فقال لها: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد، ما عدلنا به أحدا.

فقالت له بردنها: (إليك عني، فما جعل الله لأحد بعد غدير خم من حجة ولا عذر) !

---

(١) احتقب الشيء: أردفه أو ادخره. (المعجم الوسيط ـــ حقب ـــ ١ : ١٨٧).

(٢) الدبرة: القرحة والجرح الّذي يكون في ظهر الدابة والبعير (لسان العرب ــ دبر ــ ٤ : ٢٧٣).

(٣) الشعراء: ٢٢٧. وما قبلها تضمين من سورة الهمزة : ٦ ـــ ٩.

(٤) الرعد: ٤٢، التوبة : ١٠٥، الاسراء: ١٣، الزلزلة: ٧ و ٨ .

قال: فلم ير باك ولا باكية كان أكثر من ذلـك اليـوم، وارتجـت المدينـة، وهاج الناس، وارتفعت الأصوات !

فلمّا بلغ ذلك أبا بكر قال لعمر: تربت يداك، ما كان عليك لو تركتنـي، فربما رفأت الخرق ورتقت الفتق؟! ألم يكن ذلك بنا أحق؟!

فقال عمر: قد كان في ذلك تضعيف سلطانك، وتـوهين كافتّـك، ومـا أشفقت إلا عليك. قال: ويلك، فكيف بابنة محمّد وقـد علـم النـاس مـا تدعو إليه، وما نجن[1] لها من الغدر عليـه. فقـال: هـل هـي إلاّ غمـرة[2] انجلت، وساعة انقضت، وكأن ما قد كان لم يكن، وأنشده:

ما قد مضى مما مضى كـما مـضى وما مـضى ممـا مـضى قـد

أقم الصلاة وآت الزكاة، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، ووفـر الفـئ، وصل القرابة، فإنّ الله يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُـذْهِبْنَ الـسَّيِّئَاتِ ذَلِـكَ ذِكْـرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[3]. ويقول: ﴿يَمْحُـوا اللهُ مَـا يَـشَاءُ وَيُثْبِـتُ وَعِنْـدَهُ أُمُّ الْكِتَـابِ﴾[4] وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِـشَةً أَوْ ظَلَمُـوا أَنْفُـسَهُمْ ذَكَـرُوا اللهَ فَاسْـتَغْفَرُوا

(١) نجن: نستر، انظر أساس البلاغة ــ جنن ــ: ٦٦ .

(٢) الغمرة: الشدة (المعجم الوسيط ــ غمر ــ ٢: ٦٦١).

(٣) هود: ١١٤.

(٤) الرعد: ٣٩.

﴿لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] ذنب واحد في حسنات كثيرة، قلدني ما يكون من ذلك.

قال: فضرب بيده على كتف عمر، ثم قال: رُبّ كربة فرجتها، يا عمر.

ثم نادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ما هذه الرعة[2]، ومع كل قالة[3] أمنية؟! أين كانت هذه الأماني في عهد نبيكم؟! فمن سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، كلا بل هو ثعالة شهيده ذنبه[4] لعنه الله، وقد لعنه رسوله، مربّ[5] لكل فتنة، يقول: كروّها جذعة[6]، ابتغاء الفتنة من بعد ما هرمت، كأم طحال[7] أحبّ أهلها الغوى[8]، ألا لو شئت أن أقول لقلت، ولو

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢١٥: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال بعلي بن أبي طالب، إنه الملك يا بني، إن الأنصار هتفوا بذكر عليّ فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم. قال ابن أبي الحديد: فسألته عن غريبه، فقال: أما الرعة ــ بالتخفيف ــ أي الاستماع والاصغاء.

(٣) والقالة: القول.

(٤) قال النقيب أبو يحيى: ثعالة: اسم الثعلب، علم غير مصروف، وشهيده ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدعي إلا بعضه وجزء منه.

(٥) قال: مرب: ملازم.

(٦) قال: كروها جذعة: أعيدوها. إلى الحال الأولى، يعني الفتنة والهرج.

(٧) قال: وأم طحال: امرأة بغي في الجاهلية، ويضرب بها المثل فيقال: أزنى من أم طحال.

(٨) في شرح النهج: أحب أهلها إليها البغي.

تكلمت لبحت، وإني ساكت ما تركت، يستعينون بالصبية[1]، ويستنهضون النساء، وقد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، فوالله إن أحق الناس بلزوم عهد رسول الله لأنتم، لقد جاءكم الرسول فآويتم ونصرتم، وأنتم اليوم أحق من لزم عهده، ومع ذلك فاغدوا على أعطياتكم، فإني لست كاشفا قناعاً، ولا باسطاً ذراعاً ولا لساناً إلا على من استحق ذلك، والسلام.

قال: فأطلعت أم سلمة رأسها من بابها وقالت: ألمثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا، وهي الحوراء بين الإنس، والإنس[2] للنفس، رُبيّت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في المغارس الطاهرات، ونشأت خير منشأ، وربيت خير مربى؟! أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟! وقد قال الله له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[3]؟ أفأنذرها وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الاقران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسّدها يمينه، ويدثرها بشماله، رويداً فرسول الله بمرأى لأعينكم، وعلى الله تردون، فواها لكم وسوف تعلمون.

---

(١) في ع، م: بالصعبة، ولعلها تصحيف الضعفة كما في شرح النهج.

(٢) في ع، م: النفس.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

قال: فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها، ورجعت فاطمةعليها السلام إلى منزلها فشكت.

قال أبو جعفر[1]: نظرت في جميع الروايات، فلم أجد فيها أتم شرح، وأبلغ في الالزام، وأوكد في الحجة من هذه الرواية، ونظرت إلى رواية عبد الرحمن بن كثير فوجدته قد زاد في هذا الموضع:

أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبدأ بالولاية: (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى) وقوله (إنّي تارك فيكم الثقلين...)؟! ما أسرع ما أحدثتم! وأعجل ما نكثتم!

وهو في بقية الحديث على السياقة.

---

(١) (قال أبو جعفر) ليس في ع، م.

النص الثاني: عيادة نساء المدينة لها وخطابها لهن

حدّثني أبو المفضل محمّد بن عبدالله قال: حدّثنا أبـو العبـاس أحمـد بـن محمّد بن سعيد الهمداني، قال حدّثني محمّد بن الفـضل بـن إبـراهيم بـن الفضل بـن قـيس الأشـعري، قـال: حـدّثنا عـليّ بـن حـسان عـن عمـه عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عـليّ بن الحسين قال: لمّا رجعت فاطمة إلى منزلها وشكـت - وتوفيـت في تلـك الشكاية - دخلن عليها النساء المهاجرات والأنصاريات عائدات، فقلـن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ فقالت:

أصبحتُ والله عايفة لدنياكنّ، قالية لرجالكنّ، شنأتهم بعد أن عرفتهم، ولفظتهم بعد أن سبرتهم، ورميتهم بعد أن عجمتهم، فقبحاً لفلول الحدّ، وخطل الرأي، وعثور الجدّ، وخوف الفتن، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم، إذ سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم والله لقـد قلـدتهم ربقتها، وشنّت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين ويحهم أنى زحزحوهـا عـن رواسي الرسـالة، وقواعـد النبـوة، ومهـبط الـروح الأمين، بالوحي المبين، الطبن بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هـو الخـسران المبين، ما الّذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه شدة وطأتـه، ونكـال وقعته، ونكير سيفه، وتبحّره في كتاب الله، وتنمره في ذات الله، وأيـم الله لو تكافّوا عن زمام نبـذه إليـه رسـول الله لاعتلقـه، ثـم سـار بهـم سـيراً سجحاً، لا يُكلَمُ خشاشه، ولا يتعتـع راكبـه، ولأوردهـم مـنهلا، رويـا

صافياً فضفاضاً تطفح ضفتاه، ثم لأصدرهم بطانا بغمرة الشارب، وشبعة الساغب، ولانفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ولكنهم بغوا فسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا فاسمعن، ومن عاش أراه الدهر العجب، وإن تعجبن فانظرن إلى أيٍّ نحو اتجهوا، وعلى أيّ سند استندوا، وبأيّ عروة تمسّكوا، ولمن اختاروا، ولمن تركوا، لبئس المولى ولبئس العشير، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ألا انّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]، ألا لعمر الله لقد لقحت، فانظروها تنتج واحتلبوا لطلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك خسر المبطلون، وعرف التالون، ما أسس الأولون، فليطيبوا بعد ذلك نفساً، وليطأمنوا للفتنة جأشاً، وليبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا خسرى لكم وكيف بكم وقد عميت عليكم ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[2].

وحدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن مخلّد بن جعفر الباقرحي، قال: حدّثتني أم الفضل خديجة بنت أبي بكر محمّد بن أحمد بن أبي الثلج، قالت: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن أحمد الصفواني، قال: حدّثنا أبو أحمد

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) هود: ٢٨ .

عبدالعزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدّثني محمّد بن زكريا، قال: حـدّثني محمّد بن عبدالرحمن المهلبي، قال: حدّثنا عبـدالله بـن محمّـد بـن سـليمان المدايني، قال: حدّثني أبي، عن عبدالله بـن الحسن بـن الحسن عـن أمـه فاطمة بنت الحسين قالت: لمّا اشتدت علّة فاطمـة اجتمـع عنـدها نـساء المهاجرين والأنـصار وقلـن لهـا: كيـف أصـبحت يـا بنـت رسـول الله؟ فقالـت: أصـبحت عائفـةً لـدنياكنّ، قاليـةً لرجـالكن، لفظـتهم بعـد أن عجمتهم وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحـدّ، وخـور القنـاة، وخطل الرأي، لبئس ما قدّمت لهـم أنفـسهم، أن سـخط الله علـيهم وفي العذاب هم خالدون، لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعـب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، فهنالك يخسر المبطلـون، ويعـرف التـالون، مـا أسّس الأولون، فطيبـوا عـن أنفـسكم نفـساً، واطمـأنّوا للفتنـة جأشـاً، وابشروا بسيف قاصل، وهرج شامل، واستبدال من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيـا خـسرى لكـم، وأنّـى لكـم، وقـد عُميّـت عليكم، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَـا وَأَنْـتُمْ لَهَـا كَـارِهُونَ﴾[1]، والحمـد لله ربّ العـالمين، والصلاة على أبي سيّد المرسلين.

شرح الشيط الصدوق للخطبة

قال: [باب- معنى قول فاطمة عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار في علتها]

---

(١) هود: ٢٨ .

١ - حدّثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: حدّثنا عبدالرحمن بن محمّد الحسيني، قال: حدّثنا أبو الطيب محمّد بن الحسين بن حميد اللخمي، قال: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن زكريا ، قال: حدّثنا محمّد بن عبدالرحمن المهلبي قال: حدّثنا عبدالله بن محمّد بن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قال: لمّا اشتدت علّة فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليها) اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحتِ، من علتك؟ فقالت:

أصبحت والله عائفة لدنياكم ، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم عارها، فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين ، وما نقموا من أبي حسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عزّوجلّ ، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتلقه، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطاناً، قد تخيّر لهم الري غير متحلٍ منه بطائل إلاّ بغمر الماء وردعة سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات

السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أيّ سناد إستندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ إستبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]، أمّا لعمر إلهكنّ لقد لقحت فنظرة ريثما تنتجوا، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقرا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون، غبّ ما أسّس الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم [أ] نفساً، واطمأنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً، فيا حسرتى لكم وأنّى بكم وقد عميّت عليكم ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[2].

وحدّثنا بهذا الحديث أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الحسن المعروف بابن مقبرة القزويني قال: أخبرنا أبو عبدالله جعفر بن محمّد بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: حدّثني محمّد بن عليّ الهاشمي، قال: حدّثنا عيسى بن عبدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي

(١) يونس: ٣٥.

(٢) هود: ٢٨ .

طالب عليه السلام قال: لمّا حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعتني فقالت: أمنفذ أنت وصيتي وعهدي؟ قال: قلت: بلى، أُنفذها، فأوصت إليَّ وقالت: إذا أنا متّ فادفني ليلاً ولا تؤذنن رجلين ذكرتهما، قال: فلمّا اشتدت علّتها اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار فقلن: كيف أصبحت يا بنت رسول الله من علتك؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم وذكر الحديث نحوه.

النص الثالث [للخطبة الثالثة

جاء في أمالي الطوسي مايلي: هذا حديث وجدته بخطّ بعض المشايخ رحمهم الله ذكر انّه وجده في كتاب لأبي غانم المعلم الأعرج، وكان مسكنه بباب الشعير، وجد بخطّه على ظهر كتاب له حين مات، وهو:

انّ عائشة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السلام فرأتها باكية فقالت لها: بأبي أنتِ وأمي ما الّذي يبكيكِ؟ فقالت لها صلوات الله عليها: أسائلتي عن هنة حلّق بها الطائر،وحفي بها السائر، ورفع إلى السماء أمراً، ورزئت في الأرض خبرا، أن نُّحيف تيم وأحيوك عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تقرّبا بالخناق، أسرّا له الشنآن وطوياه الإعلان، فلمّا خبا نور الدين، وقُبض النبيّ الأمين، نطقا بنورهما ونفثا بسوَرهما، وأدلاّ بفدك، فيا لها لمن ملك، تلك إنّها عطية الربّ الأعلى للنجيّ الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وإنّها ليعلم الله وشهادة

أمينة، فإن انتزعا منّي البلغة، ومنعاني اللمظة، واحتسبتها يوم الحشر زلفة، وليجدّنها آكلوها ساعرة حميم في لظى جحيم.

(وبها تم الجزء السابع من الأمالي)[1].

والآن فلنرجع البصر نحو التراث السنّي، لنختار منه خمسة نصوص تكفي في رد مترديـة القول، والمشككّين في صحّة الخطب الفاطمية، ونبدأ برواية الشعبي وهو ناصبي وقح كما ستأتي ترجمته في الباب الرابع في محاور التوثيق مع ترجمة صاحب المصدر الّذي روى روايته، وهو سبط ابن الجوزي الحنفي، وكلاهما بعيدان عن تهمة اختلاق الخطبة.

(١) أمالي الطوسي ١: ٢٠٧ ط النعمان.

النصوص من التراث السنّي

الصورة الأولى: رواية الشعبي

يوسف بن قزاوغلى سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) قال في كتابه تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمّة:

... وقال الشعبي: لمّا منعت ميراثها لاثت خمارها على رأسها - أي عصبت - يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً أي عصبها، وقيل اللوث الاسترخاء، فعلى هذا يكون معنى لاثت أي أرخت - وحمدت الله تعالى وأثنت عليه، ووصفت رسول الله ﷺ بأوصاف فكان ممّا قالت: (كان كلّما فغرت فاغرة من المشركين فاها، أو نجم قرن من الشياطين، وطئ صماخه بأخمصه، وأخمد لهيبه بسيفه وكسر قرنه بعزمته، حتى اذا اختار الله له دارَ أنبيائه، ومقر أصفيائه، أطلعت الدنيا رأسها اليكم، فوجدتكم لها مستجيبين، واخرروها ملاحظين، هذا والعهد قريب، والمدى غير بعيد، والجرح لمّا يندمل، فأنّى تؤفكون - تكونون كذا - وكتاب الله بين أظهركم.

يابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي، ودونكها مرحولة مذمومة، فنعم الحاكم الحقّ، والموعد القيامة، ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون).

ثم أومأت إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكبر النوبُ

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واغتيل أهلك لمّا اغتالك التّربُ

ولقد رزينا بما لم يرزه أحد ... من البرية لا عجمٌ ولا عربُ

ثم انها اعتزلت القوم، ولم تزل تندب رسول الله وتبكيه حتى لحقت به[1].

(١) خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة: ١٧٩ ط حجرية سنة ١٢٨٥هـ.

الصورة الثانية:

كتاب

﴿ بـــلاغات النســـاء ﴾

(وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأى منهن)

(واشعارهن فى الجاهلية وصدر الاسلام)

تــأليف

(الامام أبى الفضل احمد بن ابى طاهر المولود ببغداد سنة ٢٠٤)

(والمتوفى سنــة ٢٨٠ هجــرية)

صححه وشرحه

﴿ احمد الالفى ﴾

« النساء رياحين عطرة بعبير الخير فى العمران وشذى السعادة للانسان وهذا السفر صفوة مختارة من اعطر ازهار هذه الرياحين احفله مؤلفه ببلاغات يحفل بها انصار اللغة والادب ومحاضرات يهش لها محبو السمر والطرب وقد طرزته بتفسير وملحقات تجعل قطوف فوائده دانية لمتناوليها واخرجته للناس مجلوا فى طبع جميل على ورق صقيل ليكون فى منظره ومخبره حبيب النفس والحس » الالفى

١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

مطبعة مدرسة والدة عباس الأول

(بالطرقة الشرقية بشارع خيرت بالقاهرة)

(كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعليها السلام)

قال ابو الفضل ذكرت لابي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام عند منع ابي بكر اياها فدك (١) وقلت له ان هؤلاء (٢) يزعمون انه مصنوع وانه من كلام ابى العيناء « الخبر منسوق البلاغة على الكلام » (٣) فقال لى رأيت مشايخ آل ابى طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه ابناءهم وقد حدثنيه ابى عن جدى يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل ان يولد جد ابى العيناء وقد حدث به الحسن ابن علوان عن عطية العوفي انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن ابيه ثم قال ابو الحسين وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يرون من كلام عائشة عند موت ابيها ماهو اعجب من كلام فاطمة يحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ثم ذكر الحديث قال لما اجمع ابو بكر رحمه الله على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها فدك وبلغ ذلك فاطمة لاثت خمارها (٤) على رأسها واقبلت في لمة من حفدتها (٥) تطأ ذيولها ما تخرم (٦) من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد (٧) من المهاجرين والانصار فنيطت (٨) دونها ملاءة ثم انت انة اجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس فأمهلت حتى سكن نشيج (٩) القوم وهدأت فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد القوم في بكاءهم فلما امسكوا عادت في كلامها فقالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه

---

(١) اى ارثها من فدك وهي قرية كان للنبي نصفها فلما توفى صلوات الله عليه ارادت فاطمة ان تأخذ نصيبها في الارث منها فمنع ابو بكر الخليفة دون ذلك محتجا بقول النبي « نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة » (٢) يشير الى قوم فى عصره كانوا يغضون من قدر آل البيت (٣) يعنى ان الطعن هو في نسبة هذا الكلام البليغ الى فاطمة اما نفس الواقعة وهي منع الارث فهى صحيحة ومثبوتة فى كتب التاريخ (٤) اللوث عصب العمامة والخمار ما يستر به الانسان وفي نسخة واشتملت بجلبابها (٥) اللمة الصاحب أو الاصحاب فى السفر والمؤنس للواحد والجمع والحفدة ابناء الابن (٦) اي ما تترك ويروى ماتخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] جماعة [٨] علقت [٩] من نشج الباكى غص بالبكاء فى حلقه ويروى فامهلت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم الخ

١٧

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تعرفوه تجدوه ابي دون آباءكم (١) واخا بن عمى دون رجالكم فبلغ النذارة (٢) صادعا بالرسالة مائلا على مدرجة (٣) المشركين ضاربا لثجهم آخذا بكظمهم يهشم الاصنام وينكث الهام (٤) حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه (٥) واسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق (٦) الشياطين وكنتم على شفا (٧) حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان (٨) وموطىء الاقدام تشربون الطرق (٩) وتقتاتون الورق اذلة خاشعين (١٠) تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم فانقذكم الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد اللتيا والتى وبعد ما منى ببهم الرجال (١١) وذؤبان العرب (ومردة اهل الكتاب) (١٢) كلما حشوا (١٣) ناراً للحرب اطفأها ونجم قرن (١٤) الضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف باخيه في لهواتها (١٥) فلا ينكفىء حتى يطأ صماخها باخمصه ويخمد لهبها (١٦) بحده مكدودا (١٧) في ذات الله قريبا من رسول الله سيداً في أولياء الله وانتم فى بلهنية (١٧) وادعون آمنون حتى اذا اختار الله لنبيه دار انبيائه ظهرت خلة النفاق وسمل (١٩) جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفلين وهدر فنيق (٢٠) المبطلين فخطر في عرصاتكم (٢١) وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه (٢٢) صارخا بكم فوجدكم (٢٣) لدعائه

---

(١) ويروي فان تعزوه « أى تنسبوه » تجدوه ابي دون نساءكم (٢) الانذار من انذره حذره وخوفه فى ابلاغه وصادعا اى مجاهرا (٣) المدرج المسلك (٤) الثبج وسط الشيء ومعظمه وما بين الكاهل الى الظهر والكظم مخرج النفس او الفم وينكث يروى فى نسخة ويجذ والجذ القطع المستأصل وتروى هذه الجملة فى نسخة هكذا « ضاربا لثبجهم يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذا باكظام المشركين يهشم الاصنام ويفلق الهام » وقولها على الرواية الاولى ينكث الهام لعله ينكس الهام من نكسه قلبه على رأسه (٥) اى اسفر (٦) الشقاشق ج شقشقة شيء كالرئة يخرجه البعير من فه اذا هاج ويروي ونمت كلمة الاخلاص (٧) حرف (٨) المذقة الجرعة والنهزة الفرصة والقبسة ماتقبضه بيدك — تريد انهم كانوا ضعافا مهانين يتخطفهم الناس (٩) الطرق الماء الذى خاضته الابل وبالت فيه ويروى تقتاتون القد (١٠) خاسئين (١١) ويروى وبعد ان منى منهم الرجال الخ . وبهم الرجال شجعانهم جمع بهمة وذؤبان العرب لصوصهم ومردتهم (١٢) هكذا فى بعض النسخ (١٣) اوقدوا (١٤) نجم اى ظهر (١٥) فغر فاه فتحه واوسعه واللهوات جمع اللها وهى اقصى الحلق وينكفى يرجع (١٦) ويروى يطفىء عادية لهبها بسيفه والصماخ داخل الاذان والاخمص اصبع القدم (١٧) « مكدوداً من كدجد وتعب (١٨) كرفهنية وهى غضاضة العيشة ونعيمها (١٩) اى خلق ورث (٢٠) الفنيق الجمل البازل القوى (٢١) العرصات ساحات الدور (٢٢) من رقدته يقال هو غارز رأسه فى سنة (٢٣) ويروى « فدعاكم

مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين (١) فاستنهضكم فوجدكم خفافا واجشكم (٢) فالفاكم غضابا فوسمتم(٣) غير ابلكم واوردتموها غيرشر بكم (٤) هذا والعهد قريب والكلم (٥) رحيب والجرح لما يندمل (٦) بدار (وفي نسخة انما) زعمتم خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا (٧) وان جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات منكم وانى بكم وأني تؤفكون (٨) وهذا كتاب الله بين أظهركم وزواجره بينة وشواهده لائحة واوامره واضحة ارغبة عنه تدبرون أم بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم لم تريثوا (٩) الا ريث ان تسكن نفرتها تشربون حسوا وتسرون في ارتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى وأنتم الآن تزعمون ان لا ارث لنا افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون و يها معشر المهاجرين أأبتز ارث ابي (١٠) افي الكتاب ان ترث اباك ولا ارث ابى لقد جئت شيئاً فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ثم انحرفت (١١) الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي تقول

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لوكنت شاهدها لم تكثر الخطب(١٢)
انا فقدناك فقد الارض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب(١٣)

قال فما رأينا يوما كان اكثر باكيا ولا باكية من ذلك اليوم (حدثني) جعفر بن محمد

فالفاكم لدعوته مستجيبين (١) اي منتزين فيه (٢) ويروى فاحشكم (٣) من الوسم و هو العلامة (٤) الشرب بالكسر مكان الشرب بالضم تريد انهم اخذوا ماليس لهم وغتصبوا حقوق غيرهم (٥) الجرح ورحيب واسع (٦) يلتئم (٧) تشير الى ما كان منهم عند وفاة النبي فانهم انصرفوا عن غسله الى تنصيب خليفة عليهم إلى امورهم بعد النبي ولم يشتغل بتكفينه الا آل البيت وآخرين معهم (٨) انى كيف والافك اشنع الكذب (٩) تريثوا تبطؤا ويروى « لم تريثوا اختها الاريث الخ » ويروى لم يلبثوا الاريث — اى لم تبطؤا عن منع الارث عنا الارثما تم لكم امر الخلافة دوننا فبدأتم بهذه وتبتم بتلك (١٠) ويروى ايها المسلمة المهاجرة ابتز ارث ابي ايا ها في الكتاب يا ابن ابي قحافة — تريد ابا بكر الخليفة — ان ترث اباك ولا ارث ابي » ولى رواية ابتز ارث ابيه (١١) ويروى ثم انكفأت اى رجعت
(١٢) الهنبثة الامور الشديدة والاختلاط فى القول والخطب الخطوب أى الامور العظيمة (١٢) الوابل المطر الغزير — وهذان البيتان فيهما الاقواء قال الامام الشنقيطي الكبير لم اجدهما الاهكذا

١٩

رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة قال حدثني ابي قال اخبرنا موسى بن عيسى قال اخبرنا عبد الله بن يونس قال اخبرنا جعفر الاحمر عن زيد بن عليّ رحمة الله عليه عن عمته زينب بنت الحسين عليهما السلام قالت لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع ابي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وخرجت في حشدة نسائها ولمة من قومها (١) تجر اذراعها (٢) ما تخرم (٣) من مشية رسول الله صلى الله عليه شيئاً حتى وقفت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار فانت انة اجهش لها القوم بالبكاء فلما سكنت فورتهم (٤) قالت أبدأ بحمد الله ثم اسبلت بينها وبينهم سجفا (٥) ثم قالت الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما الهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء اسداها (٦) واحسان منن والاهاجم (٧) عن الاحصاء عددها ونأى عن المجازاة أمدها (٨) وتفاوت (٩) عن الأدراك امالها واستثن الشكر بفضائلها (١٠) واستحمد الى الخلائق بأجزالها وثنى بالندب الى امثالها (١٢) واشهد ان لا اله الا الله كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها (١٢) وأنى في الفكرة معقولها (١٣) الممتنع من الابصار رؤيته ومن الاوهام الاحاطة به ابتدع الاشياء لامن شيء قبله واحتذاها بلا مثال (١٤) لغير فائدة زادته الااظهاراً لقدرته وتعبداً لبريته واعزازاً لدعوته ثم جعل الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة (١٥) لعباده عن نقمته وجياشاً (١٦) لهم الى جنته واشهد ان ابي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن يجتبله (١٧) واصطفاه قبل أن ابتعثه وسماه قبل ان استنجبه (١٨) اذ الخلائق بالغيوب مكنونة وبستر الاهاويل (١٩) مصونة وبنهاية العدم مقرونة علما من الله عز وجل بمآيل الامور (٢٠) واحاطة بحوادث الدهور ومعرفة

---

(١) سبق تفسير هذه الالفاظ اللغوية (٢) لعله اذيالها ويروى « ادراعها » ج درع ودرع المرأة قميصها (٣) ماتترك (٤) أي روعهم من البكاء (٥) أي أرخت سترا (٦) سبوغ النعم اتساعها والاسداء الاحسان (٧) كثر (٨) غايتها (٩) تباعد مابينهما (١٠) يروى بافضالها واستثنه استحقه (١١) والندب من ندبه الى الامر دعاه وحثه (١٢) موصول كلمة لا اله الا الله توحيده وخشيته (١٣) ني أي بلغ غايته (١٤) أي قدرها بلا شبيه (١٥) أي دفعا لهم (١٦) أي اقبالا (١٧) يخلقه (١٨) ابتعثه أي ارسله بالنبوة واستنجبه اختاره (١٩) الاهاويل ج اهوال واحدها هول وهي المخافة من الامر لايدرى وكأنها صلى الله عليها تكنى بذلك عن حيرة الناس قبل ظهور نور النبوة (٢٠) بمصيرها

بمواضع المقدور ابتعثه الله تعالى عز وجل اتماما لامره وعزيمة على امضاء (١) حكمه فرأى الامم صلى الله عليه فرقاً في اديانها عكفا (٢) على نيرانها عابدة لاوثانها منكرة لله مع عرفانها فأنار الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه ظلمها وفرج عن القلوب بهمها (٣) وجلى عن الابصار غممها (٤) ثم قبض الله نبيه صلى الله عليه قبض رأفة واختيار رغبة بابي صلى الله عليه عن هــذه الدار موضوع عنه العبء والاوزار محتف (٥) بالملائكة الابرار ومجاورة الملك الجبار ورضوان (٦) الرب الغفار صلى الله على محمد نبي الرحمة وامينه على وحيه وصفيه من الخلائق ورضيه صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته ثم انتم عباد الله (تريد أهل المجلس) نصب امر الله (٧) ونهيه وحملة دينه ووحيه وامناء الله على انفسكم وبلغاؤه الى الامم زعمتم حقا لكم ألله فيكم عهد (٨) قدمه اليكم ونحن بقية استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله بينة بصائره (٩) وآي فينا (١٠) منكشفة سرائره وبرهان منجلية ظواهره مديم البرية اسماعه قائد الى الرضوان اتباعه مؤد الى النجاة استماعه فيه بيان حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة وتبيانه الجالية (١١) وجمله الكافية وفضائله المندوبة (١٢) ورخصه (١٣) الموهوبة وشرائعه المكتوبة ففرض الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر والصيام تثبيتاً للاخلاص والزكاة تزيداً في الرزق والحج تسلية للدين والعدل تنسكا للقلوب وطاعتنا نظاما وامامتنا أمنا من الفرقة وحبنا عزاً للاسلام والصبر منجاة والقصاص حقنا للدماء (١٤) والوفاء بالنذر تعرضاً للمغفرة وتوفية المكاييل والموازين تعبيرا للبخسة (١٥) والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس وقذف المحصنات اجتنابا للعنة وترك السرق ايجابا للعفة (١٦) وحرم الله عز وجل الشرك اخلاصاً له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه فانه انما يخشى الله من عباده العلماء ثم قالت ايها الناس انا فاطمة وابي محمد

---

(١) انفاذ (٢) من عكف عليه اقبل عليه مواظبا (٣) شبهها (٤) ظلمها (٥) العبء الثقل محتف محاط (٦) رضاه (٧) أي مستقبلين له (٨) أي زعمتم ان لكم حقا في الخلافة أو في منعنا الارث فأين عهد الله لكم بذلك (٩) حججه (١٠) تشير الى ما نزل في القرآن عناية بال البيت بيت النبي (١١) أى فصاحته المبينه (١٢) المستحبة (١٣) ج رخصة وهو ما أباحه الشارع تيسيرا للناس (١٤) تشير الى قوله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب (١٥) تعبيرا من عبر الدرهم أو المتاع نظر ماوزنها والبخسة مبلغ أصل الشىء (١٦) لزوما لها

صلى الله عليه اقولها عوداً على بدء لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم ساق الكلام على ما رواه زيد بن على عليه السلام في رواية ابيه ثم قالت في متصل كلامها افعلى محمد(١) تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول الله تبارك وتعالى وورث سليمان داود وقال الله عز وجل فيما قص من خبر يحيى بن ذكريا رب هب لى من لدنك وليا (٢) يرثنى ويرث من آل يعقوب وقال عز ذكره واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقال ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين وزعمتم ان لاحق ولاارث لى من ابى ولا رحم (٣) بيننا افخصكم الله بآية اخرج نبيه صلى الله عليه منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون أو لست أنا وابي من أهل ملة واحدة لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي صلى الله عليه افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون أأغلب على ارثي جوراً وظلما وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وذكر انها لما فرغت من كلام ابى بكر والمهاجرين عدلت الى مجلس الانصار فقالت معشر البقية(٤) واعضاد الملة(٥) وحصون الاسلام ماهذه الغميزة(٦) في حقي والسنة (٧) عن ظلامتى اما قال رسول الله صلى الله عليه المرء يحفظ في ولده سرعان(٨) ما اجدبتم فاكديتم وعجلان ذا اهانة (٩) تقولون مات رسول الله صلى الله عليه فخطب جليل استوسع وهيه (١٠) واستنهر فتقه (١١) وبعد وقته واظلمت الارض لغيبته واكتأبت خيرة الله(١٢) لمصيبته وخشعت الجبال واكدت الامال (١٣) وأضيع الحريم وأذيلت الحرمة (١٤) عند مماته صلى الله عليه(١٥) وتلك (١٦) نازل علينا بها كتاب الله في افنيتكم (١٧) فى ممساكم ومصبحكم يهتف بها فى اسماعكم وقبله حلت بانبياء الله عز وجل ورسله وما محمد الا رسول

---

(١) اي من اجل ماتركه ارثا لنا (٢) إبنا (٣) الرحم القرابة (٤) المعشر الجماعة والبقية الفئة (٥) انصارها (٦) من غمزه فى حقه دفعه عنه (٧) السنة أول النوم ويروى بعدها اماكان لرسول الله ان يحفظ فى ولده سرعان ما اجدبتم ويروى لسرع ما أحدثتم الخ (٨) أي ما اسرعكم الى كذا لخ واكديتم منعتم (٩) أي ما اعجلكم في اهانتكم اياي بما فعلتم معى (١٠) الوهي الخرق الواسع (١١) استنهر استوسع (١٢) اكتأبت اغتمت وخيرة الله أى الافاضل عنده (١٣) أي قل خيرها (١٤) المهابة (١٥) لعلها تشير الى مافعلوه عند وفاته من الانصراف الى أمر الخلافة وتركهم آل البيت يغسلون النبي ويكفنونه (١٦) أي وفاته (١٧) مجتمعاتكم أو دوركم

قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرالله شيئاوسيجزي الله الشاكرين أيها بنى قيلة أأهضم تراث ابيه(١)وانتم بمرأى منه ومسمع تلبسكم الدعوة وتشملكم (٢) الحيرة وفيكم العدد والعدة ولكم الدار وعندكم الجنن(٣) وانتم الألى نخبة الله التى انتخب لدينه وانصار رسوله وأهل الاسلام والخيرة التى اختار لنا أهل البيت فباديتم العرب (٤) وناهضتم(٥) الامم وكافحتم البهم (٦) لانبرح نأمركم وتأمرون (٧) حتى دارت لكم بنا رحا الاسلام ودرّ حلب الانام وخضعت نعرة (٨) الشرك وباخت(٩) نيران الحرب وهدأت دعوة الهرج واستوسق (١٠) نظام الدين فأنى (١١) حرتم بعد البيان ونكصتم (١٢) بعد الاقدام واسررتم بعد الاعلان لقوم نكثوا (١٣) ايمانهم اتخشونهم فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين الاقدأرى ان قد اخلدتم الى الخفض (١٤) وركنتم الى الدعة فمجتم (١٥) عن الدين ومججتم الذي وعيتم ودسعتم (١٦) الذي سوغتم (١٧) فان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغنى حميد الا وقد قلت الذى قلته على معرفة مني بالخذلان الذى خامر (١٨) صدوركم واستشعرته قلوبكم ولكن قلته فيضة(١٩) النفس ونفثة (٢٠) الغيظ وبثة (٢١) الصدر ومعذرة (٢٢) الحجة فدونكموها (٢٣) فاحتقبوها (٢٤) مدبرة الظهر ناكبة (٢٥) الحق باقية العار موسومة بشنار الابد موصولة بنار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فبعين الله ماتفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا انا عاملون وانتظروا انا منتظرون قال ابو الفضل وقد ذكر قوم ان ابا العيناء ادعى هذا الكلام وقد رواه قوم وصححوه وكتبناه على مافيه وحدثنى عبد الله

---

(١) أيها كلمة اغراء وبنى قيلة تريد الاوس والخزرج انصار النبي أأهضم ويروى أأهتضم من هضمه غصبه أو ظلمه والتراث الميراث والهاء فى ابيه هاء السكت مر الكلام عليها (٢) تأكلكم (٣) الوقايات (٤) جاهرتم بعد اوتهم انتصارا للنبي حين كذبوه وآذوه (٥) قاومتم (٦) ج بهمة وهو الشجاع اليقظ (٧) لعله وتأتمرون (٨) النعرة الكبر والخيلاء (٩) سكنت (١٠) اجتمع (١١) كيف (١٢) احجمتم (١٣) نقضوا (١٤) اطمأننتم الى لين المعيشة (١٥) ملتم (١٦) منعتم (١٧) اعطيتم (١٨) خالط (١٩) من فاض الماء كثر حتى سأل (٢٠) نفخة (٢١) من البث وهو شكوى الحزن (٢٢) انصاف [٢٣] الضمير يرجع للاشياء التى هي من حق فاطمة وزوجها علي ومنعوها عنهما كالارث والخلافة [٢٤] ادخروها [٢٥] مدبرة من الادبار ضد الاقبال وناكبه من نكبه نحاه وابعده

٢٣

ابن احمد العبدي عن حسين بن علوان عن عطية العوفي انه سمع ابا بكر رحمه الله يومئذ يقول لفاطمة عليها السلام يا ابنة رسول الله لقد كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما وعلى الكافرين عذابا اليما واذا عزوناه (١) كان اباك دون النساء واخا ابن عمك (٢) دون الرجال آثره على كل حميم (٣) وساعده على الامر العظيم (٤) لايحبكم الا العظيم السعادة ولا يبغضكم الا الردئ الولادة وانتم عترة الله (٥) الطيبون وخيرة الله المتخبون على الآخرة أدلتنا وباب الجنة لسالكنا واما منعك ماسألت فلا ذلك لى (٦) واما فدك (٧) وما جعل لك ابوك فان منعتك فانا ظالم وأما الميراث فقد تعلمين انه صلى الله عليه قال لانورث ما أبقيناه صدقة (٨) قالت ان الله يقول عن نبي من انبيائه يرثني ويرث من آل يعقوب وقال وورث سليمان داود فهذان نبيان وقد علمت ان النبوة لاتورث وانما يورث مادونها فالى امنع ارث ابي أأنزل الله في الكتاب الا فاطمة بنت محمد فتدلني عليه فاقنع به فقال يابنت رسول الله انت عين الحجة ومنطق الرسالة لايدلى بجوابك (٩) ولا ادفعك عن صوابك ولكن هـذا ابو الحسن بيني وبينك (١٠) هو الذى اخبرني بماتفقدت (١١) وأنبأني بما أخذت وتركت قالت فان يكن ذلك كذلك فصبرا لمر الحق والحمد لله اله الخلق « قال ابو الفضل » وما وجدت هذا الحديث على التمام الا عند ابى حفان وحدثنى هارون بن مسلم بن سعدان عن الحسن بن علوان عن عطية العوفي قال لما مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التى توفيت بها دخل النساء عليها فقلن كيف اصبحت من علتك يابنت رسول الله قالت اصبحت والله عائفة (١٢) لدنيا كم قالية (١٣) لرجالكم لفظتهم بعد ان عجمتهم (١٤) وشنئتهم بعد ان سبرتهم (١٥) فقبحا لفلول الحد (١٦) وخور القنا (١٧) وخطل الرأي (١٨) و بئسما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله

---

[١] نسبناه الى احد [٢] أي علي أمير المؤمنين [٣] أي فضله على كل قريب [٤] الجهاد في نصرة الدين [٥] أي أولياءه [٦] لعله يشير الى تعريضها بالخلافة فان ذلك ليس بيده بل الامر شورى بين المسلمين [٧] سبق تفسيرها والمراد الميراث [٨] ويروى نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة [٩] أي لايحتج عليه [١٠] يريد عليا زوجها رضى الله عنهما [١١] طلبت

(١٢) كارهة (١٣) مبغضة (١٤) نبذتهم بعد ان جربتهم «١٥» ابغضتهم بعد ان اختبرتهم «١٦» ثلمه «١٧» ضعفه أو كسره «١٨» فساده

٢٤

عليهم وفي العذاب هم خالدون لاجرم (١) لقد قلدتهم ربقتها (٢) وشنت (٣) عليهم عارها فجدعا وعقرا (٤) و بعدا للقوم الظالمين ويحهم أنى زحزحوها عن رواسى الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين الطبن(٥) بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذى نقموا (٦) من ابى الحسن نقموا والله منه نكير (٧) سيفه وشدة وطأته ونكال(٨) وقعته وتنمره في ذات الله (٩) و يا لله لوتكافوا (١٠) على زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه لسار بهم سيرا سجحاً(١١) لايكلم خشاشه (١٢) ولا يتعتع(١٣) راكبه ولا وردهم منهلا رويا فضفاضاً (١٤) تطفح ضفتاه ولاصدرهم بطانا (١٥) قدتحرى بهم الري غير متحل منهم بطائل بعمله الباهر وردعه سورة الساغب (١٦) ولفتحت عليهم بركات من السماء وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون الا هلمن (١٧) فأسمعن وماعشتن أراكن الدهر عجبا الى أى لجأ لجأوا واسندوا و بأي عروة تمسكوا(١٨) ولبئس المولى (١٩) ولبئس العشير استبدلوا والله الذنابى بالقوادم (٢٠) والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم (٢١) يحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ويحهم افمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أمنْ لا يهدى الا ان يهدي (٢٢) فما لكم كيف تحكمون » أما لعمر الهكن (٢٣) لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا (٢٤) طلاع

«١» اصله لابد أولامحالة ثم كثراستعماله حتي تحول الى معنى القسم (٢) أي مسؤليتها والضمير راجع للخلافة (٣)صبت (٤) الجدع قطع الانف والعقر ضرب قوايم البعير بالسيف ونحوه والجملة دعاء على من ارادت (٥) نزيد كيف زحزحوها عن آل بيت النبي أو بالاحرى عن على الطبن بأمور الدنيا والدين أي الخبير بها (٦) كرهوا (٧) شديد(٨) من التنكيل (٩) أى غضبه لله (١٠) استووا (١١) سهلا ويروى لو تكافؤا على زمام نبذه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعتقله ولسار بهم سيرا سجحا (١٢) لايجرح جانبه والخشاش عود يجعل في انف البعير يشد به الزمام (١٣) أى من غير ان يصيبه أذى ومنه الحديث الشريف (يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع (١٤) يفيض منه الماء (١٥) شبعانين (١٦) حدة الجائع (١٧) تعالن مركبة من هاء التنبيه ومن لم أى ضم نفسك اليها والنون فيها هنا نون النسوة(١٨) عروة الكوز او الدلو مقبضه مستعارة هنا(١٩) الصاحب والجار (٢٠) الذنابى الذنب والقوادم ريش في مقدم الجناح والمراد انهم استبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو خير العجز مؤخر الشيء والكاهل مقدم الظهر (٢١) اى ذلالانوفهم مجاز عن ذل انفسهم (٢٢) المراد انه لايهدى الانسان غيره الا اذا كان مهديا والا فكيف يعطي الشيء فاقده(٢٣) أي اما وحق بقائه (٢٤)لقحت حبلت النظرة التأخير في الامر وريث أى مقدار وتنتج تلد

القعب (١) دماً عبيطا (٢) وذعافا ممقرا (٣) هنالك يخسر المبطلون و يعرف التالون غب (٤) ما أسس الاولون ثم اطيبوا (٥) عن انفسكم نفسا وطامنوا للفتنة جأشا (٦) وابشروا بسيف صارم وبقرح شامل (٧) واستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيدا وجمعكم حصيداً فيا حسرة لكم واني بكم وقد عميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ثم امسكت عليها السلام

الصورة الثالثة:



بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء السادس عشر

١٩٦٦

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

قال: بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّماءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ . وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا ، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا ، لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ .

***

الشَّرْحُ :

الجَدَث : القبر ، وأضغطها الحجر : جعلها ضاغطة ، والهمزة للتعدية ، ويروى : « وأضغطها » .

وقوله : « مظانّها في غد جَدَث » ، المظانّ : جمع مَظِنّة ، وهو موضع الشيء ومألفه الذي يكون فيه ، قال :

فإن يَكُ عامرٌ قد قال جهلاً فإن مَظِنّة الجهلِ الشبابُ (١)

يقول : لا مال لي ، ولا اقتنيتُ فيما مضى مالاً ، وإنما كانت في أيدينا فَدَكٌ فشحّت عليها نفوسُ قوم ، أي بخلت، وسخَتْ عنها نفوسُ آخرين ، أي سامحت وأغضت . وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا هذا ، لا السخاء الحقيقيّ ،لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفَدَك إلا غصباً وقسْراً ؛ وقد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدّم ، وهو يعني الخلافة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله .

(١) للنابغة الذبياني ، ديوانه ١٤

ثم قال : « ونعم الحَكَمُ الله » ، الحَكَم : الحاكم ، وهذا الكلام كلامُ شاكٍ متظلِّم ، ثم ذكر مآلَ الإنسان وأنه لا ينبغى أن يكترث بالقُنْيات والأموال ، فإنه يصير عن قريب إلى دار البِلَى ومنازل الموتى .

ثم ذكر أنّ الحفرة ضيِّقة ، وأنه لو وسَّعها الحافر لألجأها الحجر المتداعى والمدَر المتهافت ، إلى أن تضغط الميِّت وتزحمه . وهذا كلام محمول على ظاهره ، لأنه خطاب للعامّة ، وإلّا فأىّ فرْق بين سعة الحفْرة وضيقها على الميِّت ! اللهمّ إلّا أن يقول قائل : إنّ الميِّت يحسّ فى قبره ، فإذا قيل ذلك فالجاعل له حساساً بعد عدم الحسّ هو الّذى يوسِّع الحفرة ، وإن كان الحافر قد جعلها ضيِّقة ؛ فإذن هــذا الكلام جيّد لخطاب العرب خاصّة ، ومن يحمل الأمورَ على ظواهرها .

ثم قال : « وإنّما هى نفسى أروضُها بالتقوى » ، يقول : تَقلُّلى واقتصارى من المطعم والملْبَس على الجَشِب والخَشِن رياضةٌ لنفسى ، لأنّ ذلك إنّما أعمله خوفا من الله أن أنغمس فى الدنيا ، فالرياضة بذلك هى رياضةٌ فى الحقيقة بالتقوى ، لا بنفس التقلّل والتقشُّف ، لتأتى نفسى آمنةً يومَ الفزَع الأكبر ، وتثبت فى مداحض الزَّلَق .

***

[ذكر ماورد من السِّيَر والأخبار فى أمر فَدَك]

واعلم أنّا نتكلّم فى شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول :

الفصل الأوّل فيما ورد فى الحديث والسِّيَر من أمر فَدَك ؛ والفصل الثانى فى هل النبىّ صلّى الله عليه وآله يورَث أم لا ؟ ، والفصل الثالث فى أنّ فَدَك هل صحّ كونها نِحْلة من رسول الله صلّى الله عليه وآله لفاطمة أم لا ؟

(١٤ — نهج — ١٦)

الفصل الأول : فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم ، لامن كتب الشيعة ورجالهم ، لأنا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك ، وجميع مانورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك ، وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث كثير الأدب ، ثقة ورع ، أثنى عليه المحدّثون ورووا عنه مصنّفاته .

قال أبو بكر : حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا حيّان بن بشر ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن الزّهريّ قال : بقيت بقيّة من أهل خيبر تحصّنوا ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحقن دماءهم ويسيّرهم ، ففعل ، فسمع ذلك أهل فدك[1] فنزلوا[2] على مثل ذلك ، وكانت للنبيّ صلّى الله عليه وآله خاصّة ، لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

قال أبو بكر : وروى محمّد بن إسحاق أيضا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصالحوه على النّصف من فدك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق ، أو بعد ما أقام بالمدينة ، فقبل ذلك منهم ، وكانت فدك لرسول الله صلّى الله عليه وآله خالصة له ، لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

قال : وقد روى أنّه صالحهم عليها كلّها ، الله أعلم أيّ الأمرين كان .

قال : وكان مالك بن أنس يحدّث عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنّه صالحهم على النّصف فلم يزل الأمر كذلك حتّى أخرجهم عمر بن الخطّاب وأجلاهم بعد أن عوّضهم عن النّصف الّذي كان لهم عوضا من إبل وغيرها .

(١) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان .
(٢) في ا « وكتبوا » .

وقال غير مالك بن أنس : لمّا أجلاهم عمرُ بعث إليهم من يقوّم الأموال ، بعث أبا الهيثم بن التَّيِّهان ، وفَرْوة بن عمرو ، وحُباب بن صخر ، وزيد بن ثابت ، فقوّموا أرضَ فدَك ونخلَها ، فأخذها عمر ، ودفع إليهم قيمةَ النصف الذى لهم ، وكان مبلغ ذلك خمسين ألفَ درهم ، أعطاهم إيّاه من مالٍ أتاه من العراق ، وأجلاهم إلى الشام .

قال أبو بكر : فحدّثنى محمّد بن زكريا قال : حدّثنى جعفر بن محمد بن عُمارة الكِنْدىّ قال : حدثنى أبى ، عن الحسين بن صالح بن حىّ ، قال : حدثنى رجلان من بنى هاشم ، عن زينبَ بنت علىّ بن أبى طالب عليه السلام . قال : وقال جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين عن أبيه . قال أبو بكر : وحدّثنى عثمان بن عمران العجيفىّ ، عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمِر ، عن جابر الجُعفىّ ، عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عليه السلام ، قال أبو بكر : وحدثنى أحمد بن محمد بن يزيد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن حسن بن الحسن . قالوا جميعا : لمّا بلغ فاطمةَ عليها السلام إجماعُ أبى بكر على منعها فدَك ، لاثتْ خِمارَها ، وأقبلتْ فى لُمّةٍ من حَفَدَتِها ونساء قومها ، تطأ فى ذيولها ، ماتخرم مِشْيتها مِشْيةَ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، حتى دخلتْ على أبى بكر وقد حَشَد الناس من المهاجرين والأنصار ، فضرب بينها وبينهم رَيْطةً بيضاء ـ وقال بعضهم : قِبْطيّة ، وقالوا: قُبطية بالكسر والضمّ ـ ثمّ أنّت أنّةً أجْهَشَ لها القوم بالبكاء ، ثمّ أمهلتْ طويلا حتى سكنوا من فَوْرتهم ، ثمّ قالت : أبتدئُ بحمْدِ مَن هو أولى بالحمد والطَّوْل والمجد ، الحمد لله على ماأنعم ، وله الشكر بما ألْهَمَ . وذكر خطبةً طويلةً جيّدة قالت فى آخرها : « فاتّقوا الله حقّ تقاته ، وأطيعوه فيما أمرَكم به ، فإنّما يَخشَى اللهَ من عباده العلماء ، واحمَدوا اللهَ الّذى لعظمته ونوره يَبتغى مَن فى السموات والأرض إليه الوسيلة ، ونحن وسيلتُه فى خلقه ، ونحن خاصّته ، ومحلُّ قدسه ، ونحن حجّته فى غيبه ، ونحن ورثة

أنبيائه ، ثم قالت : أنا فاطمة ابنة محمد ، أقول عوداً على بدء ، وما أقول ذلك سَرَفاً ولا شَطَطاً ، فاسمعوا بأسماع واعية ، وقلوب راعية ، ثم قالت : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) فإن تَعْزُوه تجدوه أبي دون آبائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني ، تقول في آخره : ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي ! ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) إيهاً معاشرَ المسلمين ، ابتزّ إرث أبي ، أبَى اللهُ أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي ، لقد جئتَ شيئاً فريّاً ! فدونكها مخطومةً مرحولةً تلقاك يومَ حشرك ، فنعم الحكَم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولكلّ نبإ مستقرٌّ وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم ! ثم التفتتْ إلى قبر أبيها فتمثّلت بقول هند بنت أثاثة :

قد كان بعدك أنباء وهَيْنمةٌ ... لو كنتَ شاهدَها لم تكثر الخطبُ (٣)

أبدتْ رجالٌ لنا نجوى صدورهمُ ... لمّا قضيتَ وحالت دونك الكُتُبُ

تجهّمتْنا رجالٌ واستُخِفّ بنا ... إذ غبتَ عنّا فنحن اليومَ نُغتصَبُ

قال : ولم يرَ الناسُ أكثر باكٍ ولا باكيةً منهم يومئذ . ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت : يامعشر البقيّة ، وأعضاد الملّة ، وحَضَنة الإسلام ، ماهذه الفترة عن نُصرتي ، والونْية عن معونتي ، والغمزة في حقّي ، والسِّنة عن ظُلامتي ! أما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يقول : « المرء يُحفَظ في ولده » ! سرْعانَ ما أحدثتم ، وعجلانَ ما أتيتم ، ألِآن مات رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أمتّم دينه ! هاإنّ موته لعمري خطبٌ جليل استوسع وَهْنُه ،

(١) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ (٢) سورة المائدة ٥٠

(٣) الهينمة : الصوت الخفي .

واستبهم فتقه، وفُقِد راتقه، وأظلمت الأرض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال. أضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمة، وأذيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها قبل وفاته، فقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1] إيهٍ بني قَيْلة! اهتضم تراث أبي، وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدّة والعدد، ولكم الدار والجُنن، وأنتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار! باديتم العرب، وبادهتم الأمور، وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الإسلام، ودرّ حلبه، وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين، أفتأخرتم بعد الإقدام، ونكصتم بعد الشدة، وجبنتم بعد الشجاعة، عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فجحدتم الذي وعيتم، وسغتم الذي سوّغتم وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد، ألا وقد قلتُ لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، وخور القناة، وضعف اليقين، فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشعار، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تعملون ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ﴾.

قال: وحدّثني محمد بن زكريا قال: حدثنا محمد بن الضحاك قال: حدثنا هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم قال: لما كلّمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلّمته به حمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثم قال: يا خيرة النساء، وابنة خير الآباء، والله ما عدوتُ رأيَ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما عملتُ إلا بأمره، وإنّ الرائد

(١) سورة آل عمران ١٤٤

لا يكذب أهله ، وقد قلت فأبلغت ، وأغلظت فأهجرت ، فغفر الله لنا ولك . أمّا بعد ، فقد دفعت آلة رسول الله ودابّته وحذاءه إلى علىّ عليه السلام ، وأمّا ما سوى ذلك فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول : « إنّا معاشرَ الأنبياء لا نُورث ذهبا ولا فضّة ولا أرضا ولا عقارا ولا دارا ، ولكنّا نورث الإيمانَ والحكمةَ والعلم والسنة » فقد عملت بما أمرنى ، ونصحت له وما توفيقى إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

قال أبو بكر : وروى هشام بن محمد ، عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبى بكر : إنّ أمّ أيمن تشهد لى أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أعطانى فدك ، فقال لها : يا ابنة رسول الله ، والله ما خلق الله خلقًا أحبّ إلىّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك ، ولوددتُ أنّ السماء وقعت على الأرض يومَ مات أبوك ، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إلىّ من أن تفتقرى ، أترانى أعطى الأحمر والأبيض حقّه وأظلمك حقّك ، وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هذا المال لم يكن للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبىّ به الرجال ، وينفقه فى سبيل الله ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليته كما كان يليه . قالت : والله لا كلّمتك أبدا ! قال : والله لاهجرتك أبدا ! قالت : والله لأدعونّ الله عليك ! قال : والله لأدعونّ الله لك ، فلما حضرتْها الوفاةُ أوصتْ ألّا يصلّىَ عليها ، فدفنتْ ليلاً ، وصلى عليها عباس بنُ عبد المطلب ، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة .

قال أبو بكر : وحدّثنى محمدّ بن زكريا قال : حدّثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال : فلما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها فصعد المنبر وقال : أيّها الناس ، ما هذه الرّعة إلى كلّ قالة ! أين كانت هذه الأمانىّ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا مَن سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلَّم ، إنما هو ثعالة شهيده ذنبه ، مُرِبٌّ لكلّ فتنة ، هو الذى يقول : كرّوها جذعة بعد ما هرمت ، يستعينون بالضعفة ، ويستنصرون بالنساء ، كأمّ طِحال أحبّ أهلها إليها البغى . ألا إنى لو أشاء أن أقول لقُلتُ ، ولو قلتُ لبحتُ ، إنى ساكت ما تُركت . ثم التفت إلى الأنصار فقال : قد بلغنى يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم . فقد جاءكم فآويتم ونَصرتم ، ألا إنّى لستُ باسطاً يداً ولا لساناً على مَنْ لم يستحقّ ذلك منّا ثم نزل ؛ فانصرفتْ فاطمة عليها السلام إلى منزلها .

* * *

قلت : قرأتُ هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرىّ وقلت له : بمن يعرّض ؟ فقال : بل يصرّح . قلتُ : لو صرّح لم أسألك . فضحك وقال : بعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ، قلت : هذا الكلام كله لعلىّ يقوله ! قال : نعم ، إنه المُلْك يا بنىّ ، قلت : فما مقالة الأنصار ؟ قال : هتفوا بذكر علىّ فخاف من اضطراب الأمر عليهم ، فنهاهم . فسألته عن غريبه ، فقال : أما الرِّعة بالتخفيف ، أى الاستماع والإصغاء ؛ والقالة : القول ، وثُعالة : اسم الثعلب علم غيرُ مصروف ، مِثل ذُؤالة للذئب ، وشهيده ذنبه ، أى لاشاهد له على ما يدّعى إلا بعضه وجزء منه ، وأصله مثل قالوا : إن الثعلب أراد أن يُغرىَ الأسد بالذئب فقال : إنه قد أكل الشاة التى كنت قد أعددتها لنفسك ، وكنت حاضرا قال : فمن يشهد لك بذلك ؟ فرفع ذنبه وعليه دم ، وكان الأسد قد افتقد الشاة ، فقبل شهادته ، وقتل الذئب ، ومُرِبّ : ملازم ، أربّ بالمكان . وكرّوها جَذَعة أعيدوها إلى الحال الأولى ، يعنى الفتنة والهرج . وأمّ طِحال : امرأةٌ بغىٌّ فى الجاهلية ، ويضرب بها المثل فيقال : أزنى من أمّ طِحال .

قال أبو بكر : وحدّثنى محمد بن زكريّ قال : حدّثنى ابن عائشة قال : حدّثنى أبى ، عن عمّه قال : لمّا كلّمت فاطمة أبا بكر بكى ثم قال : يا بنةَ رسول الله ، والله ماورث أبوك دينارا ولا درهما ، وإنّه قال : إن الأنبياء لا يورثون ، فقالت : إنّ فَدَكَ وَهَبها لى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ، قال : فمن يشهد بذلك ؟ فجاء علىّ بن أبى طالب عليه السلام فشهد ، وجاءت أمّ أيمنَ فشهدتْ أيضا ، فجاء عمر بنُ الخطّاب وعبدُ الرحمن بن عوف فشهدا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يقسمها ، قال أبو بكر : صدقت يا ابنةَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وصدق علىّ ، وصدقتْ أمّ أيمنَ ، وصدق عمر ، وصدَق عبد الرحمن بن عوف ، وذلك أنّ مالك لأبيك كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يأخذ من فَدَكَ قوتكم ، ويقسم الباقى ، ويحمل منه فى سبيل الله ، فما تصنعين بها ؟ قالت: أصنع بها كما يصنع بها أبى ؛ قال : فلك علىّ الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك ، قالت : اللهَ لتفعلنّ ! قال : الله لأفعلنّ ، قالت : اللهمّ اشهد ؛ وكان أبو بكر يأخذ غلّتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم ، ويقسم الباقى ، وكان عمر كذلك ، ثم كان عثمان كذلك ، ثم كان علىّ كذلك ، فلمّا ولى الأمرَ معاوية بن أبى سُفْيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عَمرو بنَ عثمان بن عفّان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بعد موت الحسن بن علىّ عليه السلام ؛ فلم يزالوا يتداوَلُونها حتى خَلَصتْ كلّها لمروان بن الحكم أيّام خلافته ، فوهبها لعبد العزيز ابنه ، فوهَبَها عبدُ العزيز لابنه عمرَ بن عبد العزيز ، فلمّا ولى عمر بن العزيز الخلافة ، كانت أوّل ظُلامة ردّها دعا حسنَ بنَ الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام — وقيل : بل دعا علىّ بن الحسين عليه السلام — فردّها عليه ، وكانت بيدِ أولاد فاطمة عليها السلام مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز فلمّا ولى يزيد بن عاتكة قبضها منهم ، فصارت فى أيدى بنى مَرْوان كما كانت يتداولونها ، حتّى انتقلت الخلافة عنهم ، فلمّا ولى أبو العبّاس السفّاح ردّها على عبد الله

ابن الحسن بن الحسن ، ثم قبضها أبو جعفر لمّا حدث من بنى حسن ما حدث ، ثم ردّها المهدىّ ابنه على ولد فاطمة عليها السلام ، ثمّ قبضها موسى بن المهدى وهارون أخوه ، فلم تزل فى أيديهم حتّى ولى المأمون ، فردّها على الفاطميّين .

قال أبو بكر : حدّثنى محمّد بن زكريا قال : حدثنى مهدىّ بن سابق قال : جلس المأمون للمظالم ، فأوّل رقْعة وقعتْ فى يده نظر فيها وبكى وقال للذى على رأسه : نادِ أين وكيلُ فاطمة ؟ فقام شيخ عليه دُرّاعة وعمامة وخُفّ تعزّىّ فتقدّم فجعل يناظره فى فدَك والمأمون يحتجّ عليه وهو يحتجّ على المأمون ، ثم أمر أن يسجّل لهم بها ، فكُتب السجلّ وقُرئَ عليه ، فأنفذه ، فقام دِعْبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التى أوّلها :

أصبحَ وجهُ الزّمان قد ضَحِكا ‏ ‏ ‏ ‏ بردِّ مأمونِ هاشمٍ فدَكا

فلم تزل فى أيديهم حتّى كان فى أيّام المتوكّل ، فأقطعها عبدَ الله بن عمر البازيار ، وكان فيها إحدى عشرة نخلةً غرَسها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بيده ، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها ، فإذا قدم الحجّاج أهدوْا لهم من ذلك التمر فيَصِلونهم ، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل ، فصرم[1] عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر ، ووجّه رجلا يقال له بشران بن أبى أميّة الثقفى إلى المدينة فصرّمه ، ثم عاد إلى البَصرة فَفُلِج .

قال أبو بكرٍ : أخبرَنا أبو زيد عمر بن شبّة قال : حدّثنا سويد بن سعيد والحسن بن عثمان قالا : حدّثنا الوليد بن محمّد ، عن الزّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها مِنْ رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وهى حينئذ تطلب ما كان لرسول الله صلّى الله عليه وآله بالمدينة وفدَك ، وما بقى من خُمُس خيبر ؛ فقال

---

(١) صرم النخل : جذه وقطعه .

أبو بكر : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : «لا نُورَث . ما تركْناه صَدَقة» ، إنّما يأ كل آلُ محمّد من هذا المال ، وإنّى والله لا أغيّر شيئاً من صَدَقات رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن حالها الّتى كانت عليها فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ولأعمانّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجَدتْ من ذلك على أبى بكر وهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت ، وعاشتْ بعد أبيها ستّة أشهر ، فلمّا توفّيت دفنها علىّ عليه السلام ليلا ، ولم يُؤذن بها أبا بكر .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدّثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدّثنا محمد ابن أحمد ، عن مَعمر ، عن الزّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة أنّ فاطمة والعبّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلّى الله عليه وآله وهما حينئذ يطلبان أرضَه بفَدَك وسهمَه بخيبر ، فقال لهما أبو بكر : إنّى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : « لا نُورث ، ما تركنا صدقة » ، إنما يأ كل آل محمد صلى الله عليه من هذا المال ، وإنى والله لا أغير أمرا رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه إلّا صنعتُه ، قال : فهجرته فاطمةُ فلم تكلّمه حتى ماتت .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدّثنا عمر بن عاصم . وموسى بن إسماعيل قال : حدّثنا حماد بن سلمة ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن أمّ هانئ ، أن فاطمة قالت لأبى بكر : من يرثك إذا متّ ؟ قال : وَلدى وأهلى ؛ قالت : فما لكَ ترث رسولَ الله صلى الله عليه وآله دوننا ؟ قال يا ابنة رسول الله ، ما وَرّث أبوكِ دارا ولا مالا ولا ذهبا ولا فضّة ، قالت : بلى سهم الله الذى جعله لنا ، وصارفيئنا الذى بيدك ، فقال لها : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول : « إنّما هى طُعْمة أطعَمَناها الله ، فإذا متّ كانت بين المسلمين » .

قال أبو بكر : وأخبَرَنا أبو زيد قال : حدّثنا أبو بكر بن أبى شَيْبة قال : حدّثنا محمّد بن الفضل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبى الطفيل قال : أرسلتْ فاطمة إلى أبى بكر :

أنت ورثتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله أم أهله ؟ قال : بل أهلُه ؛ قالت : فما بالُ سهم رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ قال : إنى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : «إنّ الله أطعم نبيّه طعمة» ، ثم قبضه ، وجعله للذى يقوم بعده . فوليتُ أنا بعده ، أن أرده على المسلمين ، قالت : أنتَ وما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم . قلت : فى هذا الحديث عجب ، لأنها قالت له : أنت ورثتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله أم أهله ؟ قال : بل أهلُه ؛ وهذا تصريح بأنه صلّى الله عليه وآله مورُوث يرثه أهله ، وهو خلاف قوله : «لا نورَث» . وأيضا فإنّه يدلّ على أنّ أبا بكر استنبط من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ الله أطعم نبيّا طعمة أن يُجرىَ رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته مجرى ذلك النبى صلّى الله عليه وآله ، أو يكون قد فهم أنّه عنى بذلك النبيّ المنكر لفظا نفسه ، كما فهم من قوله فى خطبته : إن عبدا خيّره الله بين الدنيا وماعند ربّه ، فاختار ماعند ربه ، فقال أبو بكر : بل نفديك بأنفسنا .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : أخبرنا القعنبيّ قال : حدّثنا عبدالعزيز بن محمّد ، عن محمّد بن عمر ، عن أبى سلمة ، أنّ فاطمة طلبتْ فَدَكَ من أبى بكر ، فقال : إنّى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : «إنّ النبىّ لا يُورَث» ، من كان النبى يعوله فأنا أعولُه ، ومن كان النبىّ صلّى الله عليه وسلم يُنفق عليه فأنا أنفق عليه . فقالت : ياأبا بكر ، أيرثك بناتُك ولا يرثُ رسول الله صلّى الله عليه وآله بناته ؟ فقال : هو ذاك . قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدّثنا محمد بن عبدالله بن الزبير قال : حدثنا فضيل بن مرزوق قال : حدّثنا البحتريّ بن حسّان قال : قلت لزيد بن علىّ عليه السلام وأنا أريد أن أهجّن أمرَ أبى بكر : إنّ أبا بكر انتزع فَدَكَ من فاطمة عليها السلام ، فقال : إنّ أبا بكر كان رجلا

وحيا ، وكان بكره أن يغيّر شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأتته فاطمة فقالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك ، فقال لها : هل لك على هذا بيّنة ؟ فجاءت بعليّ عليه السلام، فشهد لها، ثم جاءت أمّ أيمن فقالت : ألستما تشهدان أنّي من أهل الجنّة! قالا : بلى ـ قال أبو زيد : يعني أنّها قالت لأبي بكر وعمر ـ قالت : فأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها فدك ، فقال أبو بكر : فرجل آخر أو امرأة أخرى لتستحق بها القضيّة . ثم قال أبو زيد : وايم الله لو رجع الأمر إليّ لقضيتُ فيها بقضاء أبي بكر .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدّثنا محمد بن الصبّاح قال : حدّثنا يحيى بن المتوكّل أبو عقيل ، عن كثير النوال قال : قلت لأبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام : جعلني الله فداك ! أرأيت أبا بكر وعمر ، هل ظلماكم من حقّكم شيئاً ـ أو قال : ذهبا من حقّكم بشيء ؟ فقال : لا ، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، ماظلمنا من حقّنا مثقال حبّة من خردل؛ قلت : جعلت فداك أفأتولاهما ؟ قال : نعم ويحك ، تولهما في الدنيا والآخرة ، وما أصابك ففي عنقي ، ثم قال : فعل الله بالمغيرة وبنان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثنا عبد الله بن نافع والقعنبيّ ، عن مالك عن الزهري، عن عروة ،عن عائشة أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله أردن لمّا توفي أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ ـ أو قال ثُمُنَهنّ ـ قالت : فقلت لهنّ : أليس قد قال النبيّ صلى الله عليه وآله « لا نُورث ، ما تركنا صدقة » .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال: حدّثنا عبد الله بن نافع والقعنبيّ وبشر بن عمر ، عن مالك ، عن أبي الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله : قال: « لا يقسم ورثتي دينارا ولا درهم . ما تركتُ بعدَ نفقة نسائي ومئونة عيالي فهو صدقة » .

قلت : هـذا حـديث غريب ، لأن المشهور أنه لم يرو حـديث انتفاء الإرث إلّا أبو بكر وحده .

وقال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد ، عن الحزامى ، عن ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، عن عبـد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعتُ رسـول الله صلى الله عليه وآله يقول: « والذى نفسى بيده لا يقتسم ورثتى شيئاً ، ما تركت صدقة » قال :وكانت هـذه الصّدقة بيَدِ على عليه السلام ، غلب عليها العبّاس ، وكانت فيها خصومتهما ، فأبى عمرُ أن يقسمها بينهما حتّى أعرض عنها العبّاس وغلب عليها على عليه السلام ، ثم كانت بيدِ حسن وحسين ابنى على عليه السلام ، ثم كانت بيَدِ على بن الحسين عليه السلام والحسن بن الحسن ، كلاهما يتداولانها[1] ، ثم بيد زيد بن علىّ عليه السلام .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدثنا يونس، عن الزهرى ، عن مالك بن أوس بن الحدثان، أنّ عمر بن الخطّاب دعاه يوما بعد ما ارتفع النهار ، قال : فدخلتُ عليه وهو جالس على سرير رمال ليس بينه وبين الرمال فراش ، على وسادة أدَم ، فقال : يا مالك ، إنه قد قدم من قومك أهلُ أبيات حضروا المدينة ، وقد أمرت لهم برضخ[2] فاقسمه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، مُرْ بذلك غيرى ، قال : اقسم أيها المرء .

قال : فبينا نحن على ذلك إذ دخل يرفأ ، فقال : هل لك فى عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، قال : ثم لبث قليلا ، ثم جاء فقال : هل لك فى على والعباس يستأذنان عليك ؟ قال : ائذن لهما ، فلما دخلا قال عباس: ياأمير المؤمنين، اقض بينى و بين هـذا ـ يعنى عليًّا ـ وهما يختصمان فى الصوافى[3] التى أفاء الله على رسوله

(١) ب : « يتولانها » تصحيف ، صوابه من ا (٢) الرضخ هنا : المال .
(٣) الصوافى : الأملاك الواسعة . والخبر فى اللسان (صفا) .

من أموال بنى النضير ، قال : فاستب علىّ والعباس عند عمر ، فقال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر ، فقال عمر : أنشدكم الله الذى تقوم بإذنه السموات والأرض ، هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا نُورَث ، ما تركناه صدقة » . يعنى نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك ، فأقبل على العباس وعلىّ فقال : أَنشُدكما الله هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم ؟ قال عمر : فإنى أحدّثكم عن هذا الأمر ، إن الله تبارك وتعالى خصّ رسوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الفىء بشىء لم يُعطه غيره ، قال تعالى : ﴿ مَآ أَفَآءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رسلَه عَلَى مَنْ يَشَاءُ والله على كلّ شىء قدير (١) ﴾ ، وكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما اختارها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، وكان ينفق منه على أهله سنتهم ، ثمّ يأخذ ما بقى فيجعله فيما يجعل مال الله عز وجلّ ، فعل ذلك فى حياته ثم توفى ، فقال أبو بكر : أنا ولىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضه الله ، وقد عمل فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنتما حينئذ ، والتفت إلى علىّ والعباس تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر فاجر ، والله يعلم إنه فيها لصادق بارّ راشد ، تابع للحق ، ثم توفى اللهُ أبا بكر ، فقلت : أنا أولى الناس بأبى بكر وبرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضتها سنتين — أو قال سنين من إمارتى — أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم قال : وأنتما — وأقبل على العباس وعلىّ — تزعمان أنى فيها ظالم فاجر ، والله يعلم أنى فيها بارّ راشد ، تابع للحق ثم جئتمانى وكلمتكما واحدة ، وأمركما جميع ، فجئتنى — يعنى العباس — تسألنى نصيبك من ابن أخيك ، وجاءنى هذا — يعنى عليا — يسألنى نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إنّ رسول الله صلى الله عليه ووسلم قال : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، فلما بدا لى أن

---

(١) سورة الحشر ٦

أدفعها إليكما قلت : أدفعها على أنّ عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وبما عملتُ به فيها ، وإلاّ فلا تكلمانى ! فقلتما : ادفعها إلينا بذلك ، فدفعتُها إليكما بذلك ، أتلتمسان منى قضاء غير ذلك ! والله الذى تقوم بإذنه السمٰوات والأرض لا أقضى بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلىّ فأنا أكفيكماها !

قال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد قال : حدّثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك قال : حدّثنى يونس ، عن الزّهرىّ قال : حدّثنى مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه ؛ قال : فذكرت ذلك لعروة فقال : صدق مالك بن أوس ، أنا سمعتُ عائشة تقول: أرسل أزواجُ النبىّ صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسأل لهن ميراثهنّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه حتى كنت أردّهنّ عن ذلك فقلت : ألا تتقين الله ، ألم تعلمن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا نورّث ، ما تركناه صدقة » ، يريد بذلك نفسه ؛ إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، فانتهى أزواج النبىّ صلى الله عليه وآله إلى ما أمرتهنّ به .

***

قلت : هذا مشكل ، لأن الحديث الأول يتضمن أنّ عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان فقال : نشدتكم الله ، ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : «لا نورث ما تركناه صدقة» ، يعنى نفسه ! فقالوا : نعم ، ومن جملتهم عثمان ، فكيف يعلم بذلك فيكون مترسّلا لأزواج النبىّ صلى الله عليه وآله : يسأله أن يعطيهنّ الميراث ! اللهمّ إلاّ أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير صدّقوا عمر على سبيل التقليد لأبى بكر فيما رواه وحسْنِ الظنّ ، وسمّوا ذلك علما ، لأنه قد يطلق على الظنّ اسم العلم .

فإن قال قائل : فهلا حسن ظن عثمان برواية أبى بكر فى مبدأ الأمر فلم يكن رسولا، لزوجات النبى صلى الله عليه وآله فى طلب الميراث؟ .

قيل له: يجوز أن يكون فى مبدأ الأمر شاكا، ثم يغلب على ظنه صدقه لأمارات اقتضت تصديقه ، وكل الناس يقع لهم مثل ذلك .

وهاهنا إشكال آخر ، وهو أن عمر ناشد عليا والعباس: هل تعلمان ذلك ؟ فقالا : نعم ، فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبى بكر يطلبان الميراث على ما ذكره فى خبر سابق على هذا الخبر ،وقد أوردناه نحن ! وهل يجوز أن يقال: كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذى لا يستحقه ؟ وهل يجوز أن يقال : إن عليا كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب مالا تستحقه ، خرجت من دارها إلى المسجد ، ونازعت أبا بكر ، وكلمته بما كلمته إلا بقوله وإذنه ورأيه . وأيضا فإنه إذا كان صلى الله عليه وآله لا يورث، فقد أشكل دفع آلته ودابته وحذائه إلى على عليه السلام ، لأنه غير وارث فى الأصل ، وإن كان أعطاه ذلك لأن زوجته بعرضة أن ترث ، لولا الخبر ، فهو أيضا غير جائز ، لأن الخبر قد منع من أن يرث منه شيئا قليلا كان أو كثيرا .

فإن قال قائل : نحن معاشر الأنبياء لانورث ذهبا ولا فضة ولا أرضا ولا عقارا ولا دارا .

قيل : هذا الكلام يفهم من مضمونه أنهم لا يورثون شيئاً أصلا ، لأن عادة العرب جارية بمثل ذلك ، وليس يقصدون نفى ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها ، بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفى أن يورثوا شيئاً ما على الإطلاق .

وأيضاً فإنه جاء فى خبر الدابة والآلة والحذاء أنه روى عن النبى صلى الله عليه وآله : « لانورث ، ما تركناه صدقة » ، ولم يقل « لا نورث كذا ولا كذا » ، وذلك يقتضى عموم انتفاء الإرث عن كل شىء .

وأما الخبر الثانى وهو الذى رواه هشام بن محمد السكبى ، عن أبيه: ففيه إشكال أيضا ، لأنه قال : إنّها طلبت فَدَك ، وقالت : إنّ أبى أعطانيها . وإنّ أمّ أيمن تشهد لى بذلك ، فقال لها أبو بكر فى الجواب : إنّ هذا المال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنّما كان مالا من أموال المسلمين ، يحمل[1] به الرجال ، وينفقه فى سبيل الله : فلقائل أن يقول له : أيجوز للنبيّ صلّى الله عليه وآله أن يملك ابنته أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعة مخصوصة ، أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين ، لوحى أوحى الله تعالى إليه ، أو لاجتهاد رأيه على قول من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد ، أولا يجوز للنبيّ صلّى الله عليه وآله ذلك ؟ فإن قال : لا يجوز ، قال مالا يوافقه العقل ولا المسلمون عليه ، وإن قال : يجوز ذلك ، قيل : فإنّ المرأة ما اقتصرت على الدعوى ، بل قالت : أمّ أيمن تشهد لى ، فكان ينبغى أن يقول لها فى الجواب : شهادة أمّ أيمن وحدها غيرُ مقبولة ؛ ولم يتضمّن هذا الخبرُ ذلك ، بل قال لها لمّا ادّعت وذكرت من يشهد لها : هذا مالٌ من مال الله . لم يكن لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ وهذا ليس بجواب صحيح .

وأمّا الخبر الّذى رواه محمّد بن زكريّا عن عائشة ؛ ففيه من الإشكال مثل ما فى هذا الخبر ، لأنّه إذا شهد لها علىّ عليه السلام وأمّ أيمن أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وهب لها فَدَك ، لم يصحّ اجتماع صدقها وصدق عبد الرحمن وعمر ، ولا ماتكلّفه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم ، لأنّ كونها هبة من رسول الله صلّى الله عليه وآله لها يمنع من قوله : « كان يأخذ منها قوتكم ويقسم الباقى ، ويحمل منه فى سبيل الله » ، لأنّ هذا ينافى كونها هبة لها ، لأنّ معنى كونها لها انتقاله إلى ملكيتها ، وأن تتصرّف فيها خاصّة دون كلّ أحد من الناس ؛ وما هذه صفته كيف يقسم ويحمل منه فى سبيل الله !

---

(١) ا : « وبحمل » .

فإن قال قائل : هو صلى الله عليه وآله أبوها ، وحُكمُه فى مالها كحُكمِه فى ماله وفى بيت مال المسلمين ، فلعلّه كان بحكم الأبوّة يفعل ذلك !

قيل : فإذاً كان يتصرّف[1] فيها تصرّف الأب فى مال ولده ، ولا يخرجه ذلك عن كونه مال ولده ، فإذا مات الأب لم يجز لأحد أن يتصرف فى مال ذلك الولد ، لأنه ليس بأب له فيتصرّف فى ماله تصرّف الآباء فى أموال أولادهم ، على أنّ الفقهاء أو مُعظمَهم لا يجيزون للأب أن يتصرّف فى مال الابن .

وهاهنا إشكالٌ آخر ، وهو قول عمر لعليّ عليه السلام والعبّاس : وأنتما حينئذ تزعمان أنّ أبا بكر فيها ظالم فاجر ، ثمّ قال لما ذكر نفسه : وأنتما تزعمان أنّى فيها ظالم فاجر ، فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : «لا أورَث» ! إن هذا لمن أعجب العجائب ، ولولا أنّ هذا الحديث ـ أعنى حديث خصومة العبّاس وعليّ عند عمر ـ مذكورٌ فى الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه ، إذ لو كان غير مذكور فى الصّحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن فى صحّته ؛ وإنما الحديث فى الصّحاح لاريب فى ذلك .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدّثنا ابن أبى شَيْبة ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّة ، عن أيّوب ، عن عكرمة ، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : جاء العبّاس وعلىّ إلى عمر ، فقال العباس : اقض بينى و بين هذا الكذا وكذا ، أى يشتمه ، فقال الناس: افصل بينهما ، فقال : لا أفصل بينهما ، قد علما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : «لا نُورَث ، ما تركناه صدقة» .

قلت : وهذا أيضا مُشكل ، لأنهما حضرا يتنازعان لا فى الميراث ، بل فى ولاية صدقة رسول الله صلّى الله عليه وآله أيّهما يتولّاها ولايةً لا إرثاً ! وعلى هذا كانت الخصومة ،

(١) ب : « قد يتصرف » .

فهل يكون جواب ذلك قد علما أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله قال : « لا نُورّث » !
قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثني يحيى بن كثير أبو غسّان قال : حدّثنا شعبة عن عمرو بن مرّة ، عن أبي البَخترىّ قال : جاء العبّاس وعلىّ إلى عمر وهما يختصمان ، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد : أنشدُكم الله ، أسمعتم رسولَ الله صلّى الله عليه يقول : « كلّ مال نبيّ فهو صدقة ، إلا ما أطعمه أهله ، إنّا لا نُورّث » ! فقالوا : نعم ، قال : وكان رسول الله يتصدّق به ، ويَقسِم فضله ، ثم توفّىَ فولّيه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يَصنعُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنتما تقولان : إنه كان بذلك خاطئا ، وكان بذلك ظالما ، وما كان بذلك إلّا راشدا ، ثم وليتُهُ بعد أبي بكر فقلت لكما : إن شئتما قبلتُماه على عمل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعهده الذى عهد فيه ، فقلتما : نعم ، وجئتماني الآن تختصمان ؛ يقول هذا : أريد نصيبي من ابن أخي ، ويقول هذا : أريد نصيبي من امرأتي! والله لا أقضي بينكما إلّا بذلك .

* * *

قلتُ : وهذا أيضاً مُشكِل ، لأن أكثر الروايات أنّه لم يَروِ هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده ؛ ذكر ذلك أعظم المحدّثين ، حتّى إنّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابيّ الواحد . وقال شيخنا أبو علىّ : لا تقبل في الرواية إلّا رواية اثنين كالشهادة ، فخالفه المتكلّمون والفقهاء كلّهم ، واحتجّوا عليه[1] بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده : « نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورّث » ، حتّى إنّ بعض أصحاب أبي علىّ تكلّف لذلك جوابا ، فقال : قد رُوى أنّ أبا بكر يوم حاجّ فاطمة عليها السلام قال : أنشُد الله امرأً سمعَ من رسول الله صلى الله عليه وسلّم في هذا شيئاً ! فروَى مالك بن أوس ابن الحدثان: أنّه سمعه من رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وهذا الحديث ينطق بأنّه استشهد

(١) ساقطة من ب

عمرَ وطلحةَ والزبيرَ وعبدَ الرحمن وسعدا ، فقالوا : سمعناه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر ! ما نقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمةَ عليها السلام وأبي بكر رَوَى من هذا شيئاً .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة . قال : حدّثنا محمّد بن يحيى[1] ، عن إبراهيم ابن أبي يحيى ، عن الزّهريّ ، عن عروة ، عن عائشة أنّ أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله أرسلنَ عثمان إلى أبي بكر ، فذكر الحديث ، قال عروة : وكانت فاطمة قد سألتْ ميراثها من أبي بكر ممّا تركه النبيّ صلّى الله عليه وآله ، فقال لها : بأبي أنتِ وأمّي ، و بأبي أبوكِ وأمّي ونفسي ، إن كنتِ سمعتِ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا ، أو أمركِ بشيء لم أتّبع غير ما تقولين ، وأعطيتكِ ما تبتغين ، وإلّا فإني أتبع ما أُمِرتُ به !

قال أبو بكر . وحدّثنا أبو زيد قال : حدّثنا عمرو بن مرزوق ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي البَختريّ قال : قال لها أبو بكر لمّا طلبتْ فَدَك : بأبي أنتِ وأمّي أنت عندي الصادقة الأمينة ، إن كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عَهِد إليك في ذلك عهدا ، أو وَعَدكِ به وعدا ، صدّقتُكِ ، وسلّمتُ إليك ! فقالت : لم يعهد إليّ في ذلك بشيء ، ولكنّ الله تعالى يقول : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[2] ، فقال : أشهد لقد سمعت[3] رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : « إنّا معاشر الأنبياء لا نُورَث » .

* * *

قلت : وفي هذا من الإشكال ما هو ظاهر ، لأنّها قد ادّعت أنه عَهِد إليها رسولُ الله صلى الله عليه وآله في ذلك أعظم العهد ، وهو النِّحلة ، فكيف سكتت عن ذكر هذا لمّا سألها أبو بكر ! وهذا أعجبُ من العجب .

(١) ب : « عيسى » . (٢) سورة النساء ١١ (٣) كذا في ا ، وفي ب : « كان »

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد : قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا عبد العزيز ابن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله الأنصاري عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : سمعت عمر وهو يقول للعباس وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة : أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنا لا نورث ، معاشر الأنبياء ، ما تركنا صدقة » ؟ قالوا : اللهم نعم . قال أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل في فيئه أهل السنة من صدقاته[1] ، ثم يجعل ما بقي في بيت المال ! قالوا : اللهم نعم ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضها أبو بكر ، فجئت يا عباس تطلب ميراثك من ابن أخيك ، وجئت يا علي تطلب ميراث زوجتك من أبيها ! وزعمتما أن أبا بكر كان فيها خائنا فاجرا . والله لقد كان امرأ مطيعا ، تابعا للحق ، ثم توفي أبو بكر فقبضتها ، فجئتماني تطلبان ميراثكما ، أما أنت يا عباس فتطلب ميراثك من ابن أخيك ، وأما علي فيطلب ميراث زوجته من أبيها ، وزعمتما أني فيها خائن وفاجر ، والله يعلم أني فيها مطيع تابع للحق ! فأصلحا أمركما ، وإلا والله لم ترجع إليكما . فقاما وتركا الخصومة وأمضيت صدقة .

قال أبو زيد : قال أبو غسان : فحدثنا عبد الرزاق الصنعاني ، عن معمر بن شهاب ، عن مالك بنحوه ، وقال في آخره : فغلب علي عباسا عليها ، فكانت بيد علي ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم كانت بيد الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم الحسن بن الحسن ، ثم زيد بن الحسن .

* * *

قلت : وهذا الحديث يدل صريحا على أنهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية ، وهذا من المشكلات ، لأن أبا بكر حسم المادة أولا ، وقرر عند العباس وعلي وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله لا يورث ، وكان عمر من المساعدين له على ذلك ؛ فكيف يعود

(١) كذا في الأصول . وفي الكلام غموض .

العبّاس وعلىّ بعد وفاة أبى بكر ، يحاولان أمراً قد كان فرِغ منه ، ويُئِس من حصوله ، اللهمّ إلا أن يكونا ظنّا أن عمر يَنقُض قضاء أبى بكر فى هذه المسألة ، وهــذا بعيد ، لأنّ عليّا والعبّاس كانا [1] فى هــذه المسألة [1] يتّهمان عمر بممالأة أبى بــكر على ذلك ، ألا تراه يقول : نسبتُمانى ونسبتما أبا بكر إلى الظلم والخيانة ، فكيف يظنّان أنّه ينقض قضاء أبى بكر ويورّثهما !

* * *

وأعلم أنّ الناس يظنّون أنّ نزاع فاطمة أبا بكر كان فى أمرين : فى الميراث والنِّحلة ، وقد وجدتُ فى الحديث أنّها نازعتْ فى أمر ثالث ، ومنَعها أبو بــكر إيّاه أيضا ، وهو سهم ذوى القربى .

قال أبو بــكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ : أخبرنى أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى هارون بن عمير ، قال : حدّثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدّثنى صدقة أبو معاوية ، عن محمّد بن عبد الله ، عن محمّد بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، عن يزيد الرَّقاشىّ ، عن أنس بن مالك ، أنّ فاطمة عليها السلام أتت أبا بــكر فقالت : لقد علمت الّذى ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات ، وما أفاء الله علينا من الغنائم فى القرآن من سهم ذَوى القربى ! ثمّ قرأتْ عليــه قولَه تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى... ﴾ [2] الآية ، فقال لها أبو بكر : بأبى أنت وأمّى ووالدٍ وَلَدَكِ ! السمع والطاعة لكتاب الله ، ولحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقّ قرابته ، وأنا أقرأ من كتاب الله الّذى تقرئين منه ، ولم يبلغ علمى منه أنّ هذا السهم من الخمس يسلَّم إليكم كاملا ؛ قالت : أفلك هو ولأقربائك ؟ قال : لا ، بل أُنفِق عليكم منه ، وأَصرِف الباقى فى مصالح المسلمين ، قالت : ليس هذا حكمُ الله تعالى ؛ قال : هــذا حكم الله ، فإن كان رسولُ الله عَهِد إليك

(١ ــ ١) ساقط من ب (٢) سورة الأنفال ٤١

فى هذا عهدا أو أوجبه لكم حقا[1] صدقتك وسلمته كله إليك و إلى أهلك؛ قالت : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يَعهد إلىّ فى ذلك بشىء ، إلّا أنّى سمعته يقول لما أنزلت هذه الآية : « أبشروا آلَ محمّد فقد جاءكم الغِنَى » ؛ قال أبو بكر : لم يبلغ علمى من هذه الآية أن أسلّم إليكم هذا السهم كلّه كاملا ، ولكنْ لكم الغنى الذى يُغنيكم ، ويفضل عنكم ؛ وهذا عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح فاسأليهم عن ذلك ، وانظرى هل يوافقُكِ على ماطلبتِ أحد منهم ! فانصرفتْ إلى عمر فقالت له مِثل ماقالت لأبى بكر ، فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر ، فعجبتْ فاطمة عليها السلام من ذلك ، وتظنّت أنّهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه .

قال أبو بكر : وأخبرَنا أبو زيد قال : حدّثنا هارون بن عمير، قال : حدّثنا الوليد ، عن ابن أبى لَهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، قال : أرادت فاطمةُ أبا بكر على فَدَك وسهم ذوى القربى ، فأبى عليها ، وجعلهما فى مال الله تعالى .

قال أبو بكر : وأخبرَنا أبو زيد ، قال : حدّثنا أحمد بن معاوية ، عن هيثم ، عن جويبر، عن أبى الضحّاك ، عن الحسن بن محمّد بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، أنّ أبا بكر منَع فاطمة وبنى هاشم سهمَ ذوى القربى ، وجعله فى سبيل الله فى السّلاح والكُراع .

قال أبو بكر : وأخبرَنا أبو زيد قال : حدّثنا حيّان بن هلال ، عن محمّد بن يزيد بن ذريع ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : سألتُ أبا جعفر محمّد بن علىّ عليهما السلام ؛ قلت : أرأيتَ عليّا حين ولىَ العراق وما ولى من أمر الناس كيف صنع فى سهم ذوى القربى ؟ قال : سَلَكَ بهم طريقَ أبى بكر وعمر ؛ قلت : وكيف ؟ ولم ، وأنتم تقولون ما تقولون ! قال : أما والله ماكان أهلُه يصدُرون إلّا عن رأيه ؛ فقلت : فما منَعه ؟ قال : كان يكره

(١) كذا فى ا ، وفى ب : « أوجبه لك علىّ » .

أن يدّعى عليه مخالفة أبى بكر وعمر . قال أبو بكر : وحدّثنى المؤمّل بن جعفر ، قال : حدّثنى محمّد بن ميمون ، عن داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن الحسن ونحن راجعون من الحجّ فى جماعة ، فسألناه عن مسائل ، وكنت أحدَ مَنْ سأله ، فسألتُه عن أبى بكر وعمرَ فقال : سئل جدّى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال : كانت أمّى صدّيقة بنت نبىّ مرسل ، فماتت وهى غَضْبَى على إنسان ، فنحن غِضابٌ لغضبها ، وإذا رضيتْ رَضينا .

قال أبو بكر : وحدّثنى أبو جعفر محمّد بن القاسم قال : حدّثنى علىّ بن الصبّاح قال : أنشدنا أبو الحسن رواية المفضّل للكميت :

أهوَى عليًّا أميرَ المؤمنين وَلَا ... أرضَى بشتم أبى بكرٍ ولا عُمرَا[1]
ولا أقولُ وإن لم يُعطيا فَدَكاً ... بنتَ النبىّ ولا ميراثَها : كَفَرَا[2]
الله يعلم ماذا يَحضُران به ... يومَ القيامة من عذرٍ إذا اعتَذَرَا[3]

قال ابن الصبّاح : فقال لى أبو الحسن : أتقول: إنّه قد أكفرهما فى هذا الشعر ! قلت : نعم ، قال : كذاك هو .

قال أبو بكر : حدّثنا أبو زيد ، عن هارون بن عمير ، عن الوليد بن مسلم ، عن إسماعيل بن عبّاس ، عن محمّد بن السائب ، عن أبى صالح ، عن مولى أمّ هانئ ، قال : دخلتْ فاطمةُ على أبى بكر بعد ما اُستُخلِف ، فسألته ميراثَها من أبيها ، فمنعها ، فقالت له : لئن مُتَّ اليومَ مَن كان يرثك ؟ قال : ولدى وأهلى ، قالت : فلِمَ وَرِثتَ أنتَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله دون ولده وأهله ؟ قال : فما فعلتُ يابنتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ! قالت : بلى ، إنّك عَمدتَ إلى فَدَك ، وكانت صافيةً لرسول الله صلّى الله عليه وآله فأخذتَها ، وعمدتَ إلى ما أنزل الله من السماء فرفعتَه عنّا ، فقال : يابنتَ رسول الله

(١) الهاشميات ٨٣ ، ٨٤ . (٢) ا ، الهاشميات : « ميراثه » .
(٣) الهاشميات : « ماذا يأتيان به » .

صلّى الله عليه وسلم ، لم أفعل ؛ حدّثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنّ الله تعالى يُطعِم النبيَّ صلّى الله عليه وسلم الطُّعمة ما كان حيًا ، فإذا قبضه الله إليه رُفعتْ . فقالت : أنتَ ورسولُ الله أعلم ، ما أنا بسائلتك بعد مجلسي . ثم انصرفتْ .

قال أبو بكر : وحدّثنا محمّد بن زكريّا ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الرحمن المهلّبي ، عن عبد الله بن حمّاد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمّه فاطمةَ بنتِ الحسين عليهما السلام ، قالت : لمّا اشتدّ بفاطمةَ بنتِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله الوجع وثَقُلتْ في علّتها ، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار ، فقلن لها : كيف أصبحتِ ياابنةَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ؟ قالت : واللهِ أصبحتُ عائفةً[1] لدُنياكم ، قاليةً لرجالكم ، لفظتُهم بعد أن عَجَمْتُهم[2] ، وشنِئتُهم[3] بعد أن سَبَرْتُهم[4] ، فقبحاً لفُلول الحدّ وخَوَر القناة ، وخَطَل الرأي ! وبئسما قدّمتْ لهم أنفسُهم أنْ سَخِط اللهُ عليهم وفي العذاب هم خالدون ! لاجرم ! قد قلّدتهم رِبْقتَها ، وشنّت عليهم غارتَها ، فجَدْعًا وعَقْرًا ، وسُحْقًا للقوم الظالمين ! وَيْحَهم ، أين زحزحوها عن رَوَاسي الرّسالة ، وقواعدِ النبوّة ، ومَهبط الرُّوح الأمين ، والطّبِين بأمر الدّنيا والدّين ، ألا ذلك هو الخسران المبين ! وما الّذي نَقَموا من أبي حسن ! نَقَموا واللهِ نكيرَ سيفه ، وشدّة وَطْأته ، ونَكالَ وَقْعته ، وتنمّره في ذات الله ، وتالله لو تكافّوا عن زِمامٍ نبذه إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله لاعتَلَقه ، ولسار إليهم سيرا سُجُحا ، لا تكلم حشاشته ، ولا يتعتع راكبه ، ولأوردهم مَنهلا نَميرا فضفاضا يطفح ضفّتاه ، ولأصدرهم بطانًا قد تحيّر بهم الرأي ، غير متحلٍّ بطائل ، إلّا بغَمْر الناهل ، وردعه سورة الساغب ، ولفتحتْ عليهم بركاتٌ من السّماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون . ألا هلمّ فاستمع وما عشت

---

(١) عائفة لدنياكم ، أي قالية لها كارهة (٢) عجمتهم : بلوتهم وخبرتهم .
(٣) شنئتهم : أبغضتهم . (٤) سبرتهم : علمت أمورهم .

أراك الدهر عجبه ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث ، إلى أىّ لجأ استندوا ، وبأىّ عُروة تمسّكوا ! لبئسَ المولى ولبئس العشير ، ولبئس للظّالمين بدلا ! استبدلوا والله الذُّنابَى بالقَوادم ، والعَجُز بالكاهل ! فرُغْما لمعاطس قوم يحسَبون أنّهم يُحسِنون صُنْعا ، ﴿ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ ، وَيْحهم ! ﴿أفمن يَهدِى إلى الحقّ أحقُّ أن يُتّبَع أمّن لا يَهِدِّى إلّا أن يُهدَى فما لكم كيف تحكمون﴾ ! أما لعَمر الله لقد تحت فنظرة ريثما تنتج[1] ، ثمّ احتلبوها طِلاعَ القَعْب دمًا عَبيطا وذُعافا مُمقِرا هنالك يَخسَر المُبطِلون ، ويعرف التالون غِبَّ ما أسّس الأوّلون ، ثم طِيبوا عن أنفسكم نفسا ، واطمئنّوا للفتنة جأشا ، وأبشِروا بسيفٍ صارم ، وهرْجٍ شامل ، واستبدادٍ من الظالمين يَدَعُ فيئكم زهيدا ، وجمعكم حَصيدا ؛ فياحسرةً عليكم ، وأنَّى لكم وقد عُمِّيَتْ عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ! والحمد لله ربّ العالمين ، وصلاته على محمّد خاتم النبيّين ، وسيّد المرسلين .

* * *

قلتُ : هذا الكلام وإن لم يكن فيه ذكرُ فدك والميراث ، إلّا أنه من تتمّة ذلك ، وفيه إيضاح لما كان عندها ، وبيانٌ لشدّة غيظها وغضبها ، فإنّه سيأتى فيما بعدُ ذكر مايناقض به قاضى القضاة والمرتضى فى أنّها هل كانت غَضْبَى أم لا ! ونحن لا ننصر مذهبًا بعينه ، وإنّما نذكر ماقيل ، وإذا جرى بحثٌ نظرىّ قلنا مايقوى فى أنفسنا منه .

وأعلم أنّا إنّما نذكر فى هذا الفصل مارواه رجالُ الحديث وثِقاتُهم ، وما أودعه أحمدُ ابنُ عبد العزيز الجوهرىُّ فى كتابه ، وهو من الثّقات الأمناء عند أصحاب الحديث ، وأمّا مايرويه رجال الشّيعة والأخباريّون منهم فى كتبهم من قولهم : إنّهما أهاناها وأسمعاها كلامًا غليظا ، وإنّ أبا بكر رقّ لها حيث لم يكن عمرُ حاضرا ، فكتب لها بفدك كتابا ، فلمّا خرجتْ به وجدَها عمر ، فمدّ يده إليه ليأخذه مغالبة ، فمنعته ، فدفع بيده فى صدرها

(١) كذا فى ا ، وفى ب : « تحلب » .

وأخذ الصحيفةَ فخرقها بعد أن تفَل فيها فمحاها ، وإنّها دعت عليه فقالت : بقَر الله بطنَك كما بقرتَ صحيفتي ؛ فشيء لا يرويه أصحابُ الحديث ولا ينقلونه ، وقدرُ الصّحابة يَجِلّ عنه ، وكان عمرُ أتقى لله ؛ وأعرفَ لحقوق الله من ذلك ، وقد نَظَمت الشّيعة بعضَ هذه الواقعة التي يذكرونها شعراً أوّله أبياتٌ لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي أوّلها [1] :

يابنـةَ القوم تُراكِ　　　بالغُ قتْلي رِضاكِ [2]

وقد ذيّل عليها بعضُ الشّيعة وأتمّها ، والأبيات :

يابنةَ الطّاهرِ كَمْ تُقْـ　　　ـرَعُ بالظّـلمِ عَصـاكِ
غَضِبَ اللهُ لخطْبٍ　　　ليـلةَ الطّفِّ عَراكِ
ورَعَى النارَ غَـداً قطّ　　　رعَى أمسِ حِماكِ
مَرّ لم يعطفه شـكوَا　　　ءُ ولا استحيا بكاكِ
واقتدى النـاس به بعـ　　　ـدُ فأرْدَى وَلَدَاكِ
يا ابنةَ الرّاقي إلى السـدْ　　　رةِ في لوحِ السكاكِ
لهف نفسي وعلى مثْـ　　　ـلِكِ فلتبكِ البَواكي
كيف ! تقطع يَدٌ مُدّ　　　إليكِ أم مُحـاكِ
فَرِحوا يومَ أهانو　　　كِ بمـا ساءَ أباكِ
ولقـــد أخبرَهم أنّ　　　رِضاه في رِضاكِ
دَفعا النصّ على إر　　　ثك لمّا دَفَعاكِ
وتعرّضْتِ لقَـــدْرٍ　　　تافـهٍ وانتهَراكِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٦٢ ، ٣٦٨

(٢) في الأصول : « برك » والصواب ما أثبته من الديوان .

وادّعيت النِّحْلة المشـــهود فيها بالصّكاكِ

فأسنشاطا ثم ما إن كذّبا إن كذّباكِ

فزوى الله عن الرّحْـــمة زنديقاً ذواكِ

ونفى عن بابه الوا سع شيطانا نفاكِ

فانظر إلى هذه البليّة التى صبت من هؤلاء على سادات المسلمين، وأعلام المهاجرين! وليس ذلك بقادح فى علوّ شأنهم، وجلالة مكانهم، كما أنّ مُبغضى الأنبياء وَحسَدتهم، ومصنّفى الكتب فى إلحاق العَيْب والتهجين لشرائعهم لم تزدْ لأنبيائهم إلاّ رفعة، ولا زادت شرائعَهم إلاّ انتشارا فى الأرض، وقبولا فى النفس، وبهجةً ونورا عند ذوى الألباب والعقول.

وقال لى عَلَوِىّ من الحِلّة[1] يُعرَف بعلى بن مهنأ، ذَكِىّ ذو فضائل: ما تظنّ قصدَ أبى بكر وعمرَ بمنع فاطمة فَدَك؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا ألّا يُظهرا لعلىّ — وقد اغتصباه الخلافة — رقّة وليناً وخذلانا، ولا يرى عندهما خوَرا، فأتبعا القرْح بالقرْح.

وقلت لمتكلّم من متكلّمى الإمامية يُعرَف بعلىّ بن تقِىّ من بلدة النيل[2]: وهل كانت فَدَك إلا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير! فقال لى: ليس الأمرُ كذلك، بل كانت جليلة جدّا، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألاّ يتقوّى علىّ بحاصِلها وغَلّتها على المنازعة فى الخلافة؛ ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلىّ وسائر بنى هاشم وبنى المطلب حقّهم فى الخمس، فإنّ

(١) الحلة: تطلق على عدة مواضع؛ منها موضع بين الكوفة والبصرة؛ وهى حلة بنى مزيد.

(٢) النيل هنا: بليدة فى سواد الكوفة؛ قرب حلة بنى مزيد.

الفقير الذى لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه ، ويكون مشغولا بالاحتراف والاكتساب عن طلب المُلك والرياسة ، فانظر إلى ما قد وقَر فى صدور هؤلاء ، وهو داء لا دواء له ، وما أكثر ما تزول الأخلاق والشِّيم ، فأما العقائد الراسخة فلا سبيل إلى زوالها !

الصورة الرابعة:

محمد مهدي الخرسان

مقتل الحسين

للخوارزمي

أبي المؤيد الموفق بن احمد المكي اخطب خوارزم

المتوفى سنة ٥٦٨ هـ

الجزء الاول

طبع على نفقة

السيد محمد رضا السيد سلمان و محمد الهادي الاميني و مرتضى الخليلي

ـــــسامي رئيس تحرير (الدليل) صاحب مطبعة الزهراء

عني بملاحظته والتعليق عليه

العلامة المحقق الكبير

الشيخ محمد السماوي حفظه الله

مطبعة الزهراء في النجف

١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

سمعوا هذه المقالة اسرعوا الى سيوفهم فجردوها وقالوا صبوت الى دين محمد الساحر الكذاب فقال لهم والله يا بني سليم ما هو بساحر ولا كذاب ان إله محمد خير آله وان محمداً خير نبي اتيته جائعاً فاطعمني وعارياً فكساني وراجلا فحملني ثم شرح لهم قصة الضب وما قاله وقال لهم يا معشر بني سليم اسلموا تسلموا من النار فاسلم ذلك اليوم اربعة آلاف رجل وهم اصحاب الرايات الخضر حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . (وروي) في المراسيل ان الحسن والحسين كان عليهما ثوبان خلقان وقد قرب العيد فقالا لامهما فاطمة ان بني فلان خيطت لهم ثياب فاخرة للعيد افلا تخيطين يا اماه لنا ثيابا للعيد فقالت لهما يخاط لكما انشاء الله فلما جاء العيد جاء جبرائيل بقميصين من حلل الجنة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله ما هذان يا اخي يا جبرائيل فاخبره بقول الحسن والحسين لفاطمة وبقول فاطمة يخاط لكما انشاء الله قال جبرائيل فلما سمع الله قولها قال لا تكذبن فاطمة بقولها فقد شئت . وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اول شخص يدخل علي الجنة فاطمة مثلها في هذه الامة كمثل مريم بنت عمران في بني اسرائيل . (واخبرنا) سيد الحفاظ ابو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي فيما كتب الي من همدان جزاه الله خيراً اخبرنا محي السنة ابو الفتح عبدوس بن عبدالله الهمداني كتابة اخبرنا ابو منصور اخبرنا علي بن مكي اخبرنا القاسم اخبرنا ابراهيم اخبرنا اسماعيل ابن بنت السدي اخبرنا بشر بن الوليد الهاشمي اخبرنا عبدالنور المسمعي عن شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن ابراهيم بن علي عن مسروق قال لما قدم علينا عبدالله بن مسعود الكوفة قلنا له حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الجنة ثم قال سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، فلم ازل اطلب الشهادة للحديث فلم ارزقها سمعته يقول في غزوة تبوك ونحن نسير معه يقول ان الله امرني

ان ازوج فاطمة من علي نفعلت فقال لي جبرائيل ان الله قد بنى جنة عدن من لؤلؤ قصب رطب بين كل قصبة الى قصبة لؤلؤة من ياقوت مشذرة بالذهب فلبنة من در ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد ، ثم جعل فيها عيوناً تنبع في نواحيها وحيطت بالانهار وجعل الانهار قبابا قد شعبت بسلاسل الذهب وحفت بانواع الشجر وبين كل غصنين بيت وجعل في كل اريكة من درة بيضاء غشاؤها السندس والاستبرق وفرشت ارضها بالزعفران وفتيق المسك والعنبر وجعل في كل قبة حوراء ، والقبة لها مائة باب على كل باب جاريتان وشجرتان وفي كل قبة مفرش وكتاب مكتوب حول القباب اية الكرسي فقلت يا جبرائيل لمن بنى الله هذه الجنة فقال هذه جنة بناها الله لعلي وفاطمة ابنتك ، سوى جنانها تحفة لها اتحفها الله بها يا محمد . (واخبرني) الامام شهاب الاسلام ابو النجيب سعد بن عبدالله الهمداني فيما كتب الي من همدان اخبرني الحافظ سليمان بن ابراهيم فيما كتب الي من اصبهان سنة ثمان وثمانين واربعمائة اخبرنا الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه فيما اذن لي قال حدثت عن جعفر بن محمد بن مروان اخبرنا ابي اخبرنا سعيد بن محمد الجرمي اخبرنا عمرو بن ثابت عن ابيه عن حبة عن علي عليه السلام قال غسلت النبي في قميصه فكانت فاطمة تقول ارني القميص فاذا شمته غشي عليها فلما رأيت ذلك غيبته (وبهذا) الاسناد عن الحافظ ابي بكر هــــذا اخبرنا عبدالله بن اسحاق اخبرنا محمد بن عبيد اخبرنا محمد بن زياد اخــبرنا شرقي بن قطامي عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت لمـا بلغ فاطمة ان ابا بكر اظهر منعهـا فدكا لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأذيولها ماتخرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت هنيهة حتى اذا سكنت فورتهم افتتحت كلامهـا

بحمد الله والثناء عليه ثم قالت (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) فان تعزوه تجدوه ابي دون نسائكم ، واخا ابن عمي ، دون رجالكم ، فبلغ الرسالة ، صادعا بالنذارة ، مائلا عن مدرجة المشركين ، ضاربا لحدتهم ، يجذ الاصنام ، وينكث الهام ويدعو الى سبيل ربه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى تفرى الليل عن صبحه ، واسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين ، وتمت كلمة الاخلاص ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، نهزة الطامع ، ومذقة الشارب ، وقبسة العجلان ، وموطىء الاقدام ، تشربون الطرق ، وتقتاتون القد ، اذلة خاسئين ، حتى استنقذكم الله ورسوله ، بعد اللتيا والتي ، وبعد ان مني ببهم الرجال ، وذؤبان العرب ، ومردة اهل الكتاب ، كلما اوقدوا نارا للحرب ، وفغرت فاغرة ، قذف اخاه في لهواتها فلا ينكفي ، حتى يطأ صماخها باخمصه ، ويطفىء عادية لهبها بسيفه ، وانتم في رفاهية آمنون،وادعون حتى اذا اختار الله لنبيه دار انبيائه ، اطلع الشيطان رأسه ، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم غضابا فوسمتم غير ابلكم ، ووردتم غير شربكم ، هذا والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، انما زعمتم خوف الفتنة ، (الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ثم لم تلبثوا حيث تسرون حسوا في ارتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى ، وانتم تزعمون ان لا ارث لنا ، افحكم الجاهلية تبغون ، (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) يامعشر المسلمين أأبتز ارث ابي ابى الله ان ترث اباك ، ولا ارث ابي ، لقد جئت شيئاً فريا، فدونكها مرحولة مخطومة ، تلقاك يوم حشرك،فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ،والموعد القيامة ، (وعند الساعة يخسر المبطلون) ثم انكفات الى قبر ابيها تقول :

قد كان بعدك انباء وهنبثة　　لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها　　واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

الصورة الخامسة :

منال الطالب

في شرح طوال الغرائب

لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد

ابن الأثير

٥٤٤ - ٦٠٦ هـ

الجزء الثاني

في أحاديث الصحابة والتابعين

رضي الله عنهم

تحقيق

الدكتور محمود محمد الطناحي

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

٥٠٢

دون رِجالكم ، ولِنِعم المَعْزِيُّ إليه صلّي الله عليه . فبلَّغَ النِّذارةَ ، صادِعاً بالرِّسالة ، ناكِباً عن سَنَنِ المشركين ، ضارباً لأَثْباجِهم ، آخِذاً بأكْظامِهم ، داعياً إلي سبيل ربِّه بالحكمة والموعظةِ الحَسنة ، يفُضُّ الهامَ ، ويَجُذُّ الأصنامَ ، حتي انهزمَ الجمعُ ، ووَلَّوا الدُّبُر ، وحتي تَفَرَّي الليلُ عن صُبْحِه ، وأسفَر الحقُّ عن مَحْضِه ، ونَطَق زعيمُ الدِّين ، وخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطين ، وفُهْتُم بكلمة الإخلاص ، وكنتم علي شَفا حُفْرةٍ من النارِ ، مَذْقَةَ الشَّارب ، ونُهْزةَ الطامع ، وقَبْسَةَ العَجْلان ، ومَوْطِيءَ الأقدام .

تَشْرَبُون الطَّرْقَ (١) ، وتَقْتاتُون القَدَّ ، أذِلَّةً خاشِعين ، يَتخطَّفكم الناسُ مِن حولِكم ، فأنقذكم اللهُ بنبيِّه صلّي الله عليه ، بعدَ اللَّتيَّا والَّتي ، وبَعْدَ ما مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجال ، وذُؤْبانِ العرب ، ومَرَدةِ أهلِ الكِتاب .

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ (٢) أو نَجَم قَرْنٌ للضَّلالة ، أو فغَرَتْ فاغرةٌ للمشركين ، قذفَ أخاه عليًّا في لَهَواتِها (٣) ، فلا ينكفيءُ حتي يطأَ صِماخَها بأخْمَصِه ، ويُخْمِدَ لَهَبَها بَحدِّه ، مَكْظُوظاً (٤) في طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه ، مُشَمِّراً ،

---

(١) بحاشية الأصل : « الرَّنْق » . وسيأتي في الشرح .

(٢) سورة المائدة ٦٤ ، وبحاشية الأصل : « حَشُوا » رواية في « أوقدوا » ، وسيأتي في الشرح .

(٣) بحاشية الأصل : « هُوَّاتها » . وسيأتي في الشرح .

(٤) بحاشية الأصل : « مكدودا في ذات الله » . وسيأتي في الشرح أيضا .

ناصِحاً ، مُجِدًا ، كادِحاً ، وأنتم في بُلَهْنِيَةٍ وادِعُون ، وفي رَفاهِيةٍ فَكِهُون ، تأكلُون العَفْوَ ، وتشرَبُون الصَّفْوَ ، تَتَوَكَّفُون الأخبارَ ، وتَنْكِصُون عندَ النِّزال .

فلمَّا اختار اللهُ لنبيِّه دارَ أنبيائه ، ومَحلَّ أصْفيائِه ، ظَهَرتْ حَسِيكَةُ النِّفاق ، وانسَمَلَ [1] جِلْبابُ الدِّين ، وأَخلَق عَهْدُه ، وانتَقضَ عَقْدُه ، ونَطَق كاظِمٌ ، ونَبَغ خامِلٌ ، وهَدَر فَنِيقُ الباطِل ؛ يَخْطِرُ في عَرَصَاتِكم ، وأَطْلَعَ الشَّيْطانُ رأسَه مِن مَغْرِزِه ، صارِخاً بكم ، فألْفاكم لدعوتِه مُصيخِين [2] ، وللغِرَّةِ مُلاحِظِين ، واستَنْهَضَكُم فوَجَدَكم خِفافاً ، وأَحْمَشَكُم فألْفاكم غِضابا ، فَخَطَمْتُمْ [3] غيرَ إبِلكم ، وأوردْتُموها غيرَ شِرْبِكم . بِداراً زعمْتُم خوفَ الفِتنة . ﴿ أَلاَ في الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [4] .

هذا ، والعَهْدُ قريبٌ ، والكَلْمُ رَحِيبٌ ، والجُرْحُ لَمَّا يَنْدمِلْ ، والرَّسولُ لَمَّا يُقْبَرْ .

هَيْهاتَ منكم ، وأينَ بِكم ، وأنَّي تُؤْفَكُون ؟ وكتابُ اللهِ بينَ أظْهُرِكم ، زواجِرُه قاهِرةٌ ، وأوامِرُه لائحةٌ ، وأدِلَّتُه واضِحةٌ ، وأعلامُه بيِّنةٌ ، أرَغْبَةً – وَيْحكُم – عنه ؟ ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [5] .

---

(١) بحاشية الأصل : « وأسمل » .
(٢) بحاشية الأصل : « مستجيبين » .
(٣) بحاشية الأصل : « فوسمتم » .
(٤) سورة التوبة ٤٩
(٥) سورة الكهف ٥٠

ثمّ لم تَرِيثُوا بعد اجتهادٍ ، إلاّ رَيْثما سَكَنَتْ نَفْرَتُها ، وأسْلَسَ قِيادُها .

تُسِرُّون حَسْوًا في ارْتِغاءٍ ، ونحن نَصْبِرُ منكم على مِثْلِ وَخْزِ (١) المُدَى ، وأنتم الآن تزعُمون أنْ لا إرْثَ لنا ، ولاحَظَّ . ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) .

وَيْهاً (٣) مَعْشَرَ المُسْلِمة ، أأُبْتَزُّ إرْثِيَهْ ؟ أفي كتابِ (٤) اللهِ أن تَرِثَ أباكَ ولا أرِثَ أبِيَهْ ؟ لقد جئتَ شيئا فَرِيًّا (٥) .

جُرْأَةٌ منكم على قطيعةِ الرَّحِم ، ونَكْثِ العَهْدِ ، فعَلَى عَمْدٍ ما تركتم كتابَ اللهِ بينَ أظْهُرِكم ونَبَذْتُموه .

فدُونَكَها مَرْحُولَةً مَزْمُومةً (٦) ، تكون معك في قَبْرِك ، وتَلْقاكَ يومَ حَشْرِك ، فنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ ، ونِعم الزَّعِيمُ محمدٌ ، والمَوْعِدُ القيامةُ ، وعند الساعةِ ما يَخْسَرُ المُبْطِلُون ، و ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) .

---

(١) بحاشية الأصل : « حز » .

(٢) سورة المائدة ٥٠ و (تبغون) كما جاء في الأصل ، بالتاء الفوقية ، وهي قراءة ابن عامر . راجع الكشف عن وجوه القراءات ١/٤١١

(٣) بحاشية الأصل : « إيها » .

(٤) بحاشية الأصل : « حكم » .

(٥) انظر الآية ٢٧ من سورة مريم .

(٦) بحاشية الأصل : « مخطومة » .

(٧) سورة الأنعام ٦٧

٥٠٥

ثم عدلَتْ إلى مجلس الأنصار ، فقالت : يا مَعْشَرَ الفِئَةِ (١) ، وأعْضادَ المِلَّة ، وحَضَنَةَ الإسلامِ ، ما هذه الغَمِيزَةُ في حَقِّي ، والسِّنَةُ عن ظُلامَتِي ؟ أما قال رسولُ الله ﷺ : « المرءُ يُحْفَظُ في وَلَدِه » ؟ لَسَرْعانَ ما أحْدَثْتُم ! وعَجْلانَ ذا إهالةً !

أتقولون : مات محمدٌ ؟ لَعَمْرِي ، خَطْبٌ جليلٌ ، استَوْسَعَ وَهْيُه ، واسْتَنْهَرَ فَتْقُه ، وفُقِدَ راتِقُه ، وأظْلَمت الأرضُ لغَيْبَتِه ، واكْتَأَبَتْ خِيرَةُ الله لمُصيبته ، وخشَعَت الجبالُ ، وأكْدَت الآمالُ ، وأُضِيعَ الحَرِيمُ ، وأُذِيلَت الحُرْمَةُ ، فتلك نازِلَةٌ عَلَنَ بها كِتابُ اللهِ في أفْنِيَتِكم ، مُمْساكُم ومُصْبَحَكُم ، هِتافاً هِتافاً . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

إيهاً بني قَيْلَةَ ! أأُهْتَضَمُ تُراثَ أبي وأنتم بمَرْأًى مِنِّي ومَسْمَع ؟ تشمَلُكم الدَّعوةُ ، وينالُكم الخَبَرُ ، وفيكم العَدَدُ والعُدَّةُ ، ولكم الدارُ ، وعندكمُ الجُنَنُ ، وأنتم نُخْبَةُ اللهِ التي انْتَخَب لدينهِ ، وأنصارُ رسُولِه ، وخِيرَتُه التي انْتَجَب لنا أهلَ البيت ، فنابَذْتُم فِينا صَمِيمَ العَرَب ، وناهَضْتُم الأُمَمَ ، وكافَحْتُم البُهمَ ، لا نَبْرَحُ ولا تَبْرَحُون ، ونأمُرُكم فتأْتَمِرُون ، حتى دارَتْ لكم بِنا رَحَى الإسلام ، ودَرَّ حَلَبُ

---

(١) بحاشية الأصل : « التقِبُة » . وعلى هذه الرواية اقتصر المصنف في الشرح . و « الفئة » الفرقة والجماعة من الناس ، في الأصل . وهو من فأيت رأسه وفأوته : إذا شققته . النهاية ٣/٤٠٦

(٢) سورة آل عمران ١٤٤

الأيّام ، وخضعت نخوة الشِّرْك ، وباخت نيران الحَرْب ، وهدأت رَوْعَةُ الهَرْج ، واستوسق نظامُ الدِّين .

فأنّى جُرْتم بعد البيان ، ونكصتم بعد الإقدام ، عن قوم نكثوا أيمانهم ، ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

ألا قد أرى – والله – أن قد أخلدتم إلى الخفض ، وركنتم (٢) إلى الدَّعة ، وعُجْتم عن الدِّين ، ومججتم الذي عرفتم ، ولفظتم (٣) الذي سوّغتم ، فـ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٤) .

ألا وقد قُلْتُ الذي قلتُ ؛ على معرفةٍ بالخِذْلَة التي خامَرَتْكم ، ولكنّها فَيْضةُ النَّفس ، ومُنْيةُ الغَيْظ ، ونَفْثةُ الصَّدْر ، ومَعْذِرةُ الحُجَّة ، فدونكم فاحتقبوها مُدْبِرةَ الظَّهر ، مَهيضةَ العَظْم ، خَوْراءَ القَناةِ ، ناقبةَ الخُفِّ ، باقيةَ العار ، موصولةً بشَنار الأبد ، متّصلةً بنارِ الله ، فبعَيْنِ الله ما تفعلون ، واعْمَلوا إنا عاملون ، وانتظروا إنّا مُنتَظِرون ، وأنا ابنةُ نذيرٍ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد ، ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ ﴾ (٥) ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة التوبة ١٣

(٢) بحاشية الأصل : « وخليتم بالدعة » .

(٣) بحاشية الأصل : « وسعتم » .

(٤) سورة إبراهيم ٨

(٥) سورة هود ٥٥

(٦) آخر سورة الشعراء .

ثم انكفأتْ إلى قبرِ أبيها ﷺ ، متمثلةً بقول صفيَّة بنت عبد المطلب ، وقيل : أُمامَةَ :

قد كان بَعْدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ   لو كُنتَ شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطَبُ
إنّا فَقدْناكَ فَقْدَ الأرضِ وابِلَها   وغابَ مذغِبْتَ عنّا الوَحْيُ والكُتُبُ[1]
تَهضَّمَتْنا رجالٌ واستُخِفَّ بنا   إذْ بِنْتَ عنَّا فنحن اليومَ نُغْتَصَبُ
أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا فَحْويَ صُدُورِهِمْ   لمَّا فُقِدْتَ وحالَتْ دُونَكَ الكُتُبُ

قال : فما رأينا يوماً أكثرَ باكِياً وباكيةً من ذلك اليوم .

* * *

هذا الحديث أكثرُ ما يُرْوَي من طريقِ أهل البيت ، وإن كان قد رُوِيَ من طُرُقٍ أُخرى ، أطولَ من هذا وأكثر .

وأهلُ الحديثِ يقولُون : إنه موضوعٌ على فاطمة .

وقال ابن قُتيبة : قد كنتُ كتبتُه وأنا أرى أنَّ له أصلاً ، وسألتُ عنه رجالَ الحديث ، فقال لي بعضُ نَقَلَةِ الأخبارِ : أنا أسَنُّ من هذا الحديث ، وأعرِفُ مَن عَمِله [2] .

---

(١) بحاشية الأصل : واختلَّ قومُك لمَّا غِبْتَ وانقلبوا
وانظر هذا الشعر في مصادر تخريج الحديث .

(٢) غريب الحديث ٥٩٠/١ ، ولم يذكر ابن قتيبة من هذا الحديث إلاّ صدره ، ثم قال ما حكاه عنه ابن الأثير .

والحديث بتمامه ذكره ابن أبي الحديد ، في موضعين من شرح نهج البلاغة ، ٢١١/١٦ - ٢١٣ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، وانظر منه أيضا ٤٣/٦ ، وانظر الفائق ٣٣١/٣ ، ١١٦/٤ ، وبلاغات النساء ص ١٦

قلت : هذا الحديثُ وإن كان موضُوعاً كما ذكروا ، فهو مِن أفْصَح الكلامِ وأحْسَنِه مأخذاً ، واحتجاجاً ، ولعلَّ واضِعَه لا يَنْقُصُ درجةً عن الحَجَّاج بن يوسف الثَّقفيِّ ، وكُتُبُ غريبِ الحديثِ مشحونةٌ بشرحِ كلامِه وخُطبِه [1] ، فلا بأسَ أن يُجْرَي هذا الحديثُ مجراها ، في شرحِ غَريبه ومَعانيه ، ولعلَّ أكثرَ ما يُرْوَي من أحاديث الغريبِ الطِّوال جاريةٌ هذا المجري ، في التصنُّع [2] . والله أعلم .

شرحه

الزَّهراءُ : تأنيثُ الأزْهر ، وهو النَّيِّرُ المُشْرِقُ من الألوان ، وأراد به إشراقَ نُورِ إيمانِها ، وإضاءتَه علي إيمان غيرِها .

وفَدَكُ : اسمُ قَريةٍ من قُري خَيْبَرَ ، كانت هي وغيرُها مِن قُراها خاصَّةً لرسولِ الله ﷺ ، وقعتْ في سَهْمه من خَيْبر ، فلذلك طلبَتْ فاطمةُ سَهْمَها مِن ميراثِها .

ولاثَت المرأةُ خِمارَها : إذا لوَته علي وَجْهِها ورأسِها ، ولاثَ الرجلُ عمامتَه : إذا أدارَها علي رأسِه .

= وانظر حديث فدك في صحيح البخاري (باب قول النبي ﷺ : « لا نورث ما تركنا صدقة » . من كتاب الفرائض) ١٨٥/٨ - ١٨٧ ، وصحيح مسلم (باب حكم الفيء . من كتاب الجهاد والسير) ص ١٣٧٨ - ١٣٨٣ ، وفتوح البلدان ص ٣٣ - ٣٨ ، وأيضا شرح نهج البلاغة ٤٦/٦

(١) يقول الزجاج عن الحجاج : وإنما احتججنا بكلامه ؛ لأنه كان بقية الفصاحة . تفسير أسماء الله الحسنى ص ٣٦ .

(٢) انظر ما أورده المرتضي من دفع تهمة التصنع هذه ، في شرح نهج البلاغة ٢٥٢/١٦ .

واللُّمَةُ ، بضمّ اللام وتخفيف الميم : الجماعةُ من النّساء ، ما بين الثلاثة إلى العَشَرة . قيل : أصلُها فُعْلَةٌ ، من المُلاءمة ، وهي الموافَقةُ والاجتماع .

قال الجوهريُّ : الهاء عِوَضٌ من الهمزة الذاهبة من وسَطِها .

والحَفَدَةُ : الأتْباعُ والخَوَلُ ، جَمْع حافِدٍ وحافِدةٍ ، سُمُّوا به مِن الحَفْدِ : الإسراعِ في الخِدمة والعَملِ . يُقال : حَفَدْتُ وأحفَدْتُ .

ووَطْءُ الذّيلِ في المشي : من آثارِ الحياءِ والخَفَر ، وكان ذلك من عادةِ نساء العرب .

وقولُها : « لا تَخرِمُ مِشْيَةَ رسولِ الله » أي لا تَتْرُك ولا تُخالِف ، وكانت مِشْيَتُها تُشْبه مِشْيَته .

والحَشْدُ ، بسكون الشّين : الجَمْع ، واحتشَدَ القومُ : إذا تجمَّعُوا .

ولُطَّتْ : أي مُدَّتْ وسُتِرتْ ، يقال : لَطَّ الحقَّ بالباطِل : إذا ستَره به .

ويُروي : « نِيطَتْ » أي عُلِّقتْ ، يقال : ناطَ به كذا يَنُوطه نَوْطاً : إذا عَلَّقه .

والمُلاءَةُ : الإزارُ .

والأنينُ : صوتُ المتوجِّع الشّاكي .

وأجْهَشَ بالبكاء : إذا تهيَّأ له ، يقال : جَهشْتُ ، وأجْهشْتُ ، وأصلُه أن يفزعَ الإنسانُ ، ويلجأَ إلى غيرِه ، وهو مع ذلك يريد البكاء ، كما يفزَعُ الصبيُّ إلى أُمِّه من شيءٍ يخافه .

(٣٣)

والنَّحِيبُ : الصوتُ في البكاء .

وفَوْرةُ الشيء : أوَّله ، وحِدَّتُه ، ومنه فَوَرانُ القِدْرِ ، وغَلَيانُها .

والرَّوعَةُ : المَرَّةُ من الرَّوعِ : الفَزَع .

وقولُها : « عَوْداً على بَدْءٍ » أي مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ، وآخِراً بعدَ أوَّلٍ .

والسَّرَفُ : ضِدُّ القَصْدِ ، والسَّرَفُ : الإغفالُ والخطأُ .

والشَّطَطُ : البُعْدُ عن الحَقِّ ، والجَوْرُ ، والظُّلْم .

والعَنَتُ : الإثْمُ ، والوقوعُ في أمرٍ شاقٍّ ، وقد عَنِتَ هو ، وأعْنَتَه غيرُه .

وعَزَوْتُ الشيءَ أعْزِيه ، وأعْزُوه ، فهو مَعْزِيٌّ ومَعْزُوٌّ : إذا أسْنَدْتَه إلى غيرك . أي إن نَسبتُم رسولَ الله ﷺ إلى أحدٍ من النِّساء والرِّجال ، فأنا وعليٌّ ابن عمّي أقربُ إليه من نِسائكم ورجالكم .

والنَّذارةُ : الإنذارُ ، يقال : أنْذَر يُنْذِرُ إنذاراً ، ونِذارةً : إذا أعْلَمَ بالأمر . والإنذارُ أيضاً : التَّخويفُ .

والصَّدْعُ في الأصل : الشَّقُّ . وصادِعاً بالرسالة : أي مُبَلِّغاً لَها ، على أكْملِ وَجْه ، وأتمِّ قَضيَّة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

والنَّاكِبُ : العادِلُ عن الشيءِ .

والسَّنَنُ : الطريقُ الواضحُ .

---

(١) سورة الحجر ٩٤

والأَثْباجُ : جَمْع ثَبَج ، وهو الوسَطُ ، وما بينَ الكتفَيْن مِن الظَّهْر .
والأَكْظامُ : جمع كَظَم ، بالتَّحريك ، وهو مَخْرجُ النَّفَسِ مِن الحَلْق .
والفَضُّ : الكَسْرُ ، والفَتْحُ .
والهامُ : الرُّؤوسُ ، جمع هامةٍ .
والجَذُّ : القَطْعُ والاستئصالُ ، والكَسْرُ .
والجَمْعُ : الجَيْشُ .
وتَوْلِيةُ الدُّبُرِ : الانهزامُ .
وتَفَرِّي اللَّيْلِ عن صُبْحِه : أي انكشَفَ ، وانْشَقَّ ، يقال : فَرَيْتُ الشيءَ : إذا شَقَقْتَه للإصلاحِ ، وأَفْرَيْتَه : إذا شَقَقْتَه للإفسادِ [1] .
والمَحْضُ : الخالِصُ .
والإسْفارُ : الإضاءةُ ، والظُّهُور ، ومنه إسْفارُ الصُّبْح .
وزَعيمُ القومِ : رئيسُهم ، ومُقَدَّمُهم .
وشقاشِقُ الشَّياطين : ما يتكلَّمون به ، وأصلُه مِن الشِّقْشِقَةِ التي يُخْرِجُها الجَمَلُ مِن جَوْفِه ، وهي جِلْدةٌ حمراءُ يَنْفُخُ فيها ، وتَظْهَرُ مِن شِدْقِه ، فشُبِّه بها الكلامَ ؛ لخُروجِه مِن الفَم .
وفاهَ بالقولِ يَفُوه به ، وتَفَوَّه : إذا تكلَّم ، وهي مبنيَّةٌ من لفظِ الفَمِ [2] .

---

(١) راجع إصلاح المنطق ص ٢٤٤

(٢) معروف أن « الفم » أصله « فَوَه » بفتحتين ، ولهذا يجمع على أفواه ، مثل سبب وأسباب ، ويثنى على لفظ الواحد ، فيقال : فمان ، وهو من غريب الألفاظ التي لم يطابق مفردها جمعها . قاله في المصباح .

وكلمةُ الإخلاص : شهادةُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ .

وشَفَا كلِّ شيءٍ : حَرْفُه ، وجانِبُه .

والمَذْقَةُ : الشَّرْبةُ اليَسيرةُ ، مِن اللَّبن المَمْذُوق ، وهو المَخلوطُ بالماءِ .

والنُّهزَةُ : الفُرْصَةُ ، وأَخذُ الشيءِ مُبادَرَةً ، وأصلُ النَّهز : الدَّفْعُ .

والقَبْسَةُ : المَرَّةُ من اقتباس النارِ ، وبالضَّمِّ : الاسمُ ، وهي الشُّعْلَةُ .

أي إنكم كنتم علي حَرْفٍ من الهلاكِ ، المُوقِعِ في النار ، وكنتم مُهْمَلين ، بمنزلة ما يأخذُه ذائقُ اللَّبنِ لِيختبرَه ، وكنتم فُرْصةً للطامِع فيكم ، وبمنزلة اقتباسِ المستعجِلِ لأخْذِ الشُّعْلة من النار .

والطَّرْقُ : الماءُ الكَدِرُ الذي خاضَتْه الإبلُ ، وبالَتْ فيه ، وبَعَرتْ .

ويُروَي : « الرَّنْقُ » ، وهو الماءُ الكَدِرُ ، والرَّنَقُ ، بالتحريك : المَصْدرُ ، وقد رَنِقَ الماءُ يَرْنَقُ .

والاقْتِياتُ : أكْلُ القُوت .

والقَدُّ بالفتح : الجِلْدُ غيرُ المَدْبُوغ ، كانوا يأكلونه في الجَدْبِ والمجاعة .

وقيل : هو جِلْدُ السَّخْلةِ والماعِزةِ .

والقِدُّ ، بالكسر : سَيْرٌ يُقْطَعُ من جِلْدٍ غيرِ مَدْبُوغ .

والخُشُوعُ : الذُّلُّ ، والخُضُوعُ .

والتَّخطُّفُ : الاستِلابُ ، وأخْذُ الشيءِ بسُرْعة ، وقد خَطِفَ الشيءَ يَخْطَفُه ، وخَطَفَه يَخْطِفُه (١) .

والإنْقاذُ : الإنْجاءُ ، والتَّخْليصُ .

وبعدَ اللَّتيَّا والَّتي (٢) : أي بعدَ الشَّدائدِ ، والأُمورِ العظيمة ؛ وهي كلمةٌ تُقالُ في الأمرِ الصَّعْبِ المُستَبْعَد .

واللَّتيَّا : تصغير الَّتي ، ولم يستعملوا معها الصِّلَةَ والعائدَ ؛ لِيُوهِمُوا أن الأمْرَ بلَغَ مِن الشِّدَّةِ ما تَقْصُرُ العِبارةُ عن وَصْفِه .

وتقديرُه : بعدَ الَّتي مِن شِدَّتِها كَيْتَ وكَيْتَ .

ومُنِيَ الرجلُ بكذا : أي بُلِيَ به . يُقال : مَنَوْتُه ومَنَيْتُه : إذا ابْتَلَيْتَه ، وكأنَّه من المَنَا : القَدَرِ ، قال :

---

(١) الفعل من باب تعب ، وفي لغة من باب ضرب . ذكره في المصباح .

(٢) يأتي هذا في رجز للعجاج . انظره في ديوانه ص ٢٧٤ ، والكتاب ٣٤٧/٢ ، ٤٨٨/٣ ، والمقتضب ٢٨٩/٢ ، وأمالي ابن الشجري ٢٤/١

و « اللتيا » تأتي في بعض ما رأيت من الكتب ، بضم اللام ، وهو خطأ ، نبه عليه الحريري في درة الغواص ، قال : « ويقولون : « بعد اللتيا والتي » فيضمون اللام الثانية من « اللتيا » ، وهو لحن فاحش ، وغلط شائن ؛ إذ الصواب فيها : « اللَّتيا » بفتح اللام ؛ لأن العرب خصت الذي والتي عند تصغيرهما ، وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفا في آخرها ، عوضا عن ضم أولها ، فقالوا في تصغير الذي والتي : اللَّذيّا واللتيّا ، وفي تصغير ذاك وذلك : ذيّاك وذيّالك » درة الغواص ص ١٢

« حتّى تُلاقِيَ ما يَمْنِي لكَ الماني » (١)

أي ما يُقدِّر لك المُقدِّر (٢) .

والبُهَمُ : جَمْعُ بُهْمةٍ ، بالضمّ ، وهي مُشكِلاتُ الأمورِ ، فاستعارَتْها لشِدادِ الرِّجالِ .

وإن كانت الهاءُ ساكنةً ، فهي جمعُ بَهِيمٍ ، وهو الذي لا يُخالِطُ لونَه لونٌ سِواه .

والذُّؤْبانُ : جَمْعُ ذِئْبٍ (٣) . وتُرِيدُ به لُصُوصَ العَرَبِ ، وأشرارَهم .

---

(١) صدره :

لا تأمنَنّ وإن أمسيتَ في حَرَمٍ

وبعده ، ويرتبط به :

فالخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان

وقد اختلف في نسبتهما ، فهما لسويد بن عامر المصطلقي ، في أسد الغابة ١٦٧/٥ ، والإصابة ٩٤/٦ ، في ترجمة (مسلم بن الحارث الخزاعي) . مع اختلاف في الرواية .

وينسبان أيضا لأبي قلابة الهذلي ، ضمن قصيدة تراها في شرح أشعار الهذليين ص ٧١٠ - ٧١٣ ، وتخريجها في ص ١٤٥٧

والبيتان من غير نسبة في الفائق ٣٩٠/٣ ، والنهاية ٣٦٨/٤

والبيت الأول من غير نسبة في معجم مقاييس اللغة ٢٧٦/٥ ، والثاني من غير نسبة أيضا في جمهرة الأمثال ٥٤٣/١

(٢) في الأصل : « القادر » . وصححته من النهاية ، والمقاييس .

(٣) في الأصل : « ذيب » بالياء ، وهو يهمز ولا يهمز .

والمَرَدَةُ : جمع مارِدٍ ، وهو الشَّيطانُ الدَّاهِي مِن الإنسِ والجِنِّ .

وأهلُ الكتابِ : اليهودُ والنَّصاري .

وحَشَّ النارَ يَحُشُّها : إذا أوْقَدَها .

ونَجَمَ القَرْنُ ، والنَّبْتُ : إذا طَلَعا .

فاستعارَتْ طُلُوعَ القَرْنِ لمن يَخْرُجُ من الناسِ ، يبتغي الفِتنةَ والشَّرَّ ؛ ولذلك جعلَتْه للضَّلالة .

وفَغَر فاهُ يَفْغَرُه : إذا فَتَحه ، وفَغَرتِ السِّنُّ : إذا طَلَعتْ ، كأنه يَنْفَطِرُ ، ويَنفتحُ للنبات . فاستعارتْه لظُهورِ أهلِ الشِّرْك .

والقَذْفُ : الرَّمْيُ ، والإلقاءُ بقُوَّة .

واللَّهَواتُ : جَمْع لَهاةٍ ، وهي سَقْفُ أقْصَي الفَمِ ، فاستعارَتْها لغايةِ الحَرْبِ ، وشِدَّتِها .

ويُرْوَي : « في هُوَّاتِها » ، جَمْع هُوَّةٍ ، وهي الوَهْدَةُ ، والحُفْرةُ ، فاستعارتْها للوَرْطة التي لا مَخْلَصَ مِنْها .

والانكفاءُ : الرُّجُوعُ .

والصِّماخُ : الأُذُنُ ، وقيل : ثَقْبُها ، فكَنَتْ به عن الرأس ؛ لأنّه منه .

والأَخْمَصُ : المُتَقعِّر مِن أسْفَلِ القَدَمِ .

تُريدُ : كُلَّما ظَهَر صاحبُ ضَلالةٍ ، أو طَلَعَ للمشركينَ طالِعٌ ، ألْقَي عليًّا في نُحُورِهم ، ووَرَطاتِهم ، فلا يرجعُ حتَّي يطأَ رُؤوسَهم بقَدَمِه ، ويُطفيءَ نِيرانَ حَرْبِهم بسَيْفه .

والمَكْظُوظُ : المُهْتَمُّ . وأصْلُ الكَظِّ : الامتِلاءُ ، والكَرْبُ ، والثُّقْلُ (١) .

ويُروَى : « مَكْدُوداً » ، وهو المُتْعَبُ ، وقد كَدَّه يَكُدُّه كَدًّا .

وقولُها : « في ذاتِ اللهِ » أي في جَنْبِ نُصْرَةِ دِينِه ، والوُقُوفِ عند حُكْمِه .

وقد اختلَفَ أهلُ العربيّة في إطلاقِ لَفْظةِ « الذَّاتِ » علي اللهِ تعالي ، فمَنَع منه أكثرُهم ؛ لأنَّ التاءَ فيها للتأنيث ، وقد ورَدَتْ في غير موضعٍ من الحديثِ الصَّحيح ، وذلك دليلُ جَوازِها ، ولا تكونُ التاءُ فيها للتأنيث ؛ فقولهُم : « في ذاتِ اللهِ » أي في اللهِ ، كما يُقالُ : ذاتُ زَيْدٍ ، أي نَفْسُه ، وعينُه ، ومنه شعرُ خُبَيْبٍ الأنصاريّ :

وذلك في ذاتِ الإله وإن يَشَأْ يُبارِكْ علي أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ(٢)

والمُجِدُّ : ضِدُّ الهازِل ، يُقال : جَدَّ في الأمرِ ، وأجَدَّ ، بمعنيً

والكَدْحُ : الاجتِهادُ في السَّعْي والعَمَلِ .

والبُلَهْنِيَةُ : الرَّاحةُ ، وسَعَةُ العَيْشِ .

---

(١) هكذا ضبطت القاف في الأصل بالسكون ، وهو جائز للتخفيف ، والأصل الفتح ، وقيده صاحب المصباح بوزن عنب ، وكذلك هو في القاموس .

(٢) البيت في صحيح البخاري (باب هل يستأسر الرجل . من كتاب فضل الجهاد والسير) ٨٣/٤ ، و (باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي ، من فضل من شهد بدرا ، من كتاب المغازي) ١٠٢/٥ ، و (باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان . من كتاب المغازي) ١٣٣/٥

وانظر قصيدة خبيب – رضي الله عنه – كاملة في السيرة النبوية ١٨٥/٣

٥١٧

والوادِعُ : السَّاكِنُ ، والدَّعَةُ منه ، والهاءُ فيها عِوَضٌ من الواوِ المحذوفة .

والرَّفاهِيَةُ : التَّنعُّمُ ، وطِيبُ العَيْشِ ، وأصلُه الخِصْبُ .

والفَكِهُ : الطَّيِّبُ النَّفْسِ ، والفكِهُ أيضاً : الأشِرُ البَطِرُ ، والفاكِهين [1] : النَّاعِمين .

والعَفْوُ : السَّهْلُ الهنيءُ .

والتَّوَكُّفُ : استِعلامُ الأخبارِ ، وتوقُّعُها [2] .

والنُّكُوصُ : الرُّجُوعُ إلى وراء .

والنِّزالُ : القِتالُ .

ودارُ الأنبياءِ : الدارُ الآخِرة ؛ خُصُّوا بِها لرَغْبتهم في الذَّهاب إليها ؛ ولأنَّهم أحَقُّ بها .

والحَسِيكةُ : العَداوةُ ، والحِقْدُ ، يقال : هو حَسِكُ الصَّدْرِ ، وحَسِيكُه .

والجِلْبابُ : الإزارُ .

وأسْمَلَ الثَّوْبُ ، وسَمَلَ ، وانْسَمَلَ : إذا أُخْلِقَ ، وبَلِيَ .

وإخْلاقُ العَهْدِ : كِنايةٌ عن ضَعْفِه ، وإهمالِ العملِ به .

(١) هكذا في الأصل : « الفاكهين » بالنصب ، وبالألف بعد الفاء ، والذي سبق في متن الحديث : « فكهون » ، بالرفع ، وحذف الألف . ولا كلام في حذف الألف ؛ فإن الفكه والفاكه سواء ، ولكن الكلام في النصب هنا ، والرفع هناك ، والمعروف أن المفسِّر يوافق المفسَّر ، إعرابا ، وأيضا فإن الأصل في الشرح الرفع .

(٢) مأخوذ من وكف المطر ، إذا وقع . النهاية ٥/٢٢١

والكاظِمُ : المُمْسِكُ عن الكلامِ على غَيْظ .

ونَبَغ الشيءُ : إذا طَلَع وظَهَر .

والخامِلُ : الوَضيعُ ، الذي لا يكاد يُعْرَفُ .

والفَنيقُ : الفَحْلُ مِن الإبلِ .

والهَديرُ : تَرْديدُ صَوْتِه في حَنجرتِه .

وخَطَر يَخْطِرُ : إذا تَبَخْتَر في مَشْيِه ، مُعْجَباً بنفسِه .

والعَرَصاتُ : جمع عَرْصَةٍ ، وهي الفُسْحَةُ مِن الدارِ ، لابِناءَ فيها

ومَغْرِزُ الرَّأسِ : مُنْتَهي العُنُقِ مِن أعلاه ، كأنَّ رأسَه كان مُنْخَفِضاً فأَطْلَعه .

والصُّراخُ : الصوْتُ العالي .

والإصاخَةُ : الاستماعُ .

والغِرَّةُ : الغَفْلةُ .

والمُلاحظَةُ : النَّظرُ بلِحَاظِ العَين ، وهي مُؤْخِرُها ، ولا تكون المُلاحَظَةُ إلاَّ مع تَرقُّبٍ وتَوقُّعٍ .

وأَحْمَشكُم ، بالشين المعجمة : أي أغْضَبَكم ، يقال : أحْمَشْتُ الرجلَ ، وحَمَّشْتُه ، إحْماشاً ، وتَحميشاً .

والخَطْمُ : تَرْكُ الخِطامِ ، وهو كالمِقْوَدِ في رأسِ البعير .

ويروي : « فوَسَمْتُم غيرَ إبِلِكم » مِن الوَسْمِ : الكَيِّ ، أي أخذتم غير حقِّكم ؛ لأن الإنسانَ إنما يَخْطِمُ ، أو يَسِمُ مِن الإبلِ ما هو مِلْكُه ، ولذلك قالت : « وأوردْتُموها غيرَ شِرْبِكم » أي جمعتم بينَ اغتصابِها وسَقْيِها غيرَ مائِكم .

والكَلْمُ : الجُرْحُ .

والرَّحِيبُ : الواسِعُ .

وانْدِمالُ الجُرْحِ : بُرْؤُه وصَلاحُه .

وقولُها : « والرَّسولُ لَمَّا يُقْبَرْ » تقريبٌ لزَمنِ وفاتِه .

و « لَمَّا » حرف جَزْمٍ ، مثل « لم » ؛ إلاَّ أنَّ « لم » جوابُ « فَعَلَ » و « لَمَّا » جواب « قد فَعَلَ » فزادُوا « ما » بإزاء « قَدْ » ، فتضمَّنت بذلك معني التَّوقُّع والانتظار .

والبِدارُ : السُّرْعةُ ، والعَجَلَةُ . تُريد أنَّهم إنَّما عَقدُوا البَيْعةَ لأبي بكرٍ ، خوفاً مِن الفِتْنة ، واختلافِ المسلمين في طلب الخِلافة .

وتُؤْفَكُون : بمعني تُصْرَفُون ، ويُذْهَبُ بكم .

والزَّواجِرُ : النَّواهِي .

ووَيْحٌ : كلمةُ رحمةٍ ، تُقَدَّمُ علي الخِطاب ، يُقال : وَيْحٌ له ، ووَيْحاً له ، ووَيْحَهُ .

وبِئْسَ : كلمةُ مُبالَغَةٍ في الذَّمِّ ، نَقِيضُ « نِعْمَ » .

و « بَدَلاً » منصوبٌ علي التمييز .

والرَّيْثُ : الإبْطاءُ ، يقال : راثَ الأمرُ ، يَرِيثُ ، وتُضافُ إليها « ما » ليصحَّ وُقوعُ الفِعلِ بعدَها (١) .

---

(١) هذا كلام المصنف هنا ، لكنه أجاز في النهاية أن تستعمل بغير « ما » ، قال : « وقد يستعمل بغير ما ولا أن ، كقوله :

لا يُصْعِبُ الأمرَ إلا ريث يركبه

وهي لغة فاشية في الحجاز ، يقولون : يريد يفعل ، أي أن يفعل ، وما أكثر ما رأيتها واردة في كلام الشافعي رحمة الله عليه » . النهاية ٢٨٧/٢ ، وانظر صدق كلام ابن الأثير ، في الرسالة للإمام الشافعي ، صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢

والمعني : لم تَلْبَثُوا إلاَّ بقَدْرِ ما سَكَنَتْ نَفْرَةُ الحالِ الحاضِرةِ .

وأَسْلَسَ قِيادُها : أي سَهُلَ أمرُها ، وهانَ صَعْبُها .

وقولُها : « تُسِرُّونَ حَسْواً في ارْتِغاءِ » ، هذا مَثَلٌ قديمٌ [1] ، ومعناه : تُظْهِرون خِلافَ ما تُضْمِرُون .

والارْتِغاءُ : شُرْبُ رُغْوَةِ [2] اللَّبنِ .

وأَصلُه الرجلُ يُؤْتَي باللَّبنِ ، فيُظْهِرُ أنه يُرِيدُ الرُّغْوةَ خاصَّةً ، لا يُرِيدُ غيرَها ، فيشرَبُها ، وهو مع ذلك يَحْسُو مِن اللَّبن سِرًّا .

والوَخْزُ : النَّخْسُ .

والحَزُّ : قَطْعُ الشيءِ من غير أن يَبِينَ .

والمُدَي : جَمْع مُدْيةٍ ، وهي السِّكِّينُ .

والابْتغاءُ : الطَّلَبُ .

وويْهاً : كلمةٌ يقولُها المُغْري بالشيءِ ، والمُنْكِرُ له ، على القومِ المُخاطَبِين .

وإيهاً : كلمةُ تحريضٍ ، وحَثٍّ ، واستِزادة .

والمُسْلِمةُ ، والمُهاجِرةُ : تُرِيدُ بهما الأُمَّةَ المسلمةَ ، والطائفةَ المهاجرةَ .

---

(١) الأمثال لأبي عبيد ص ٦٥ ، ومجمع الأمثال ٤١٧/٢ (باب الياء) ، ولفظ المثل فيه : « يُسِرّ حَسْوًا في ارتغاء » .

(٢) الراء مثلثة .

والابتزازُ : السَّلْبُ ، والأَخذُ ، يقال : بَزَّه ثوبَه ، وابتَزَّه .

والهاء في « إرْثِيَهْ » و « أبيَهْ » هاءُ السَّكْتِ والوقفِ ، كقولِه تعالي : ﴿ مَا أَغْنَي عَنِّي مَالِيَهْ ﴾ [١] .

والأَمْرُ الفَرِيُّ : العظيمُ .

والجُرْأَةُ : الإقدام علي الأمرِ .

وقَطْعُ الرَّحِمِ : ضِدُّ وَصْلِها ، وهو عُقُوقُ الأهلِ والأقارِب ، وتَرْكُ بِرِّهِم ، والإحسانِ إليهم .

ونَكْثُ العَهْدِ : نَقْضُه .

والعَمْدُ : القَصْدُ ، وهو ضِدُّ الخطأ .

والنَّبذُ : الرَّمْيُ ، والإلْقاءُ .

والهاءُ في « فدُونَكَها » راجعةٌ إلي الحالةِ ، والقَضِيَّةِ الموجودةِ .

والمَرْحُولَةُ المَخْطُومةُ : النَّاقةُ التي شُدَّ عليها رَحْلُها ، وعُمِلَ في رأسِها خِطامُها ، فهي مُعَدَّةٌ للرُّكُوب ، والقَوَدِ .

والمَزْمُومةُ : التي جُعِلَ في رأسِها زِمامُها .

والزَّعيمُ ، ها هنا : الكَفِيلُ ، الضّامِن .

وقولُها للأنصارِ : « يا مَعْشَرَ النَّقِيَّة » [٢] أي يا أهلَ التَّقْوَي ، أو الاتِّقاء ، الذين يُدْفَعُ الجَوْرُ بِكم .

---

(١) سورة الحاقة ٢٨

(٢) الذي سبق في نصّ الخطبة : « الفتية » ، وقد علقت عليه هناك .

وأعْضادُ المِلَّةِ : أنصارُها ، وحُماتُها .

وحَضَنَةُ الإسلامِ : حافِظُوه ، ورابُّوه ، جَمْعُ حاضِنٍ ، وهو كافِلُ الطِّفْلِ ، كأنَّهم جَعلُوا الإسلامَ في حِضْنِهم .

والغَمِيزَةُ : العَيْبُ ، والتُّهْمةُ ، مِن الغَمْزِ : العَيبِ ، يقال : ليس في فُلانٍ غَمِيزةٌ ، ومَغْمَزٌ ، أي مَطْعَنٌ ، ومَعابٌ .

والسِّنَةُ : أوَّلُ النَّومِ ، وهي مِن الوَسَنِ ، والهاءُ عِوَضٌ من الواو . أي ما هذا النَّومُ ، والإغْضاءُ عن كَشْفِ ظُلامَتِي ؟

والسَّرْعانُ : بمعني سَرُعَ ، يقال : سَرْعانَ ذا خُرُوجاً ، بالفتح ، والضَّمّ ، والكَسْرِ .

قال الجوهريُّ : نُقِلتْ فَتْحةُ العَيْنِ إلي النُّون ؛ لأنه معدولٌ مِن سَرُعَ ، فبُنِيَ عليه . ولَسَرْعانَ ما صَنَعْتَ كذا : أي ما أسْرَعَ ! ويقال : سَرْعَ ما صَنَعْتَ كذا ، أراد : سَرُعَ ، فخَفَّف [١] ، وقد رُوِيَ كذلك .

والمعني : ما أسْرَعَ مُخالَفتَكم ما كان عليه رسولُ الله ﷺ!

وقولُها: « عَجْلانَ ذا إهالَةٍ»[٢] عَجْلان : مِن عَجِلٍ ، كسَرْعان : مِن سَرُعَ

---

(١) المراد بالتخفيف هنا التسكين ، وهو يقال في مقابلة التثقيل ، الذي يراد به تحريك الحرف بأحد الحركات الثلاث ، وقد نبهت عليه من قبل . انظر ما سبق في تعليقاتي علي حديث استسقاء النبي ﷺ .

(٢) في مجمع الأمثال ٣٣٦/١ : « سرعان ذا إهالة » . وقال الميداني : « وأصل المثل أن رجلا كانت له نعجة عجفاء ، وكان رغامها يسيل من منخريها لهزالها . فقيل له : ما هذا الذي يسيل ؟ فقال : ودكها ، فقال السائل : سرعان ذا إهالةً ، نصب « إهالة » علي الحال ، و « ذا » : إشارة إلي الرغام ، أي سرع هذا الرغام حال كونه إهانة ، ويجوز أن يحمل علي التمييز ، علي تقدير نقل الفعل ، مثل قولهم : تصبب زيد عرقا » . وانظر جمهرة الأمثال ٥١٩/١

والإهالَةُ : الدُّهْنُ ، والوَدَكُ الجامِدُ (١)

والخَطْبُ : الشَّأْنُ ، والحالُ .

والوَهْيُ : الخرْقُ ، وقد وَهَي الشَّيْءُ يَهِي : إذا هَلَك ، أو كادَ .

واسْتَنْهَر فَتْقُه : أي اتَّسَعَ ، فصارَ كالنَّهْرِ ، مَجْرَي الماءِ .

والرَّاتِقُ : السَّادُّ ، ضِدُّ الفاتِق .

واكْتأبَتْ : أي صارَتْ كئيبةً حَزِينةً ، يُقال : كَئِبَ ، واكْتأبَ .

والإكْداءُ : الخَيْبَةُ ، وأصلُه مِن حافِرِ البِئرِ ، يَنْتِهي إلي كُدْيةٍ مِن الأرضِ ، وهي القِطْعَةُ الصُّلْبَةُ ، فلا يُمْكِنُه الحَفْرُ ، فيتركه ، يقال : أكْدَي الحافِرُ : إذا بَلَغَ الكُدْيَةَ .

والحَرِيمُ : الأهلُ ، والنِّساءُ .

والإذالَةُ : الإهانةُ ، والإذلالُ .

وقولُها : « عَلَنَ بها كِتابُ اللهِ » هكذا رُوِيَ ، فإن صَحَّ فهو مِن عَلَنَ (٢) الأمرُ ، يَعْلُنُ عُلُوناً : إذا ظَهَر ، وعَلِنَ يَعْلَنُ عَلَناً ، وأعلَنْتهُ أنا : إذا أظهرتُه .

والهِتافُ ، بالكسر : الصِّياحُ ، وتكرارُه للتأكيد .

---

(١) هنا بياض بالأصل ، مقدار ثلاث كلمات . والودك : الدسم .

(٢) هذا من باب قعد ، والذي بعده من باب تعب ، على ما في المصباح .

ومُمْساكُم ومُصبّحُكم : مصدرٌ ، أي تَروْنَه عندَ المساءِ والصَّباح .

وبنو قَيْلَةَ : هم الأنصارُ ، وقَيلَةُ : أمُّهمُ الأولى ، وهي قَيْلَةُ بنت كاهِل .

والهَضْمُ : الوَضْعُ ، والاطِّراحُ . تُريدُ به مَنْعَها مِن حَقِّها .

والجُنَنُ : جَمْعُ جُنَّةٍ ، وهو ما يُدْفَعُ به الأذى .

ونُخْبةُ الشيءِ : خالِصُه .

وخِيرتُه : ما اخْتِيرَ [١] منه .

والانْتِجابُ ، بالجيم : الخِيارُ ، وأَخْذُ النَّجيبِ مِن الشيءِ .

والمُنابَذَةُ : المُقاتَلَةُ ، والمُخاصَمَةُ .

وصَميمُ العَربِ : أصْلُهم ، وخالِصُهم .

والمُناهَضَةُ : مُفاعلةٌ من النُّهوض في الأمر ، والقيامِ به .

والمُكافَحةُ : المُقاتلَةُ ، والمُدافَعَةُ .

والبُهَمُ : الجَماعَةُ ، وقد تقدَّم [٢] .

ودَوَرانُ رَحا الإسلام : كنايةٌ عن انتظامِ أمرهم ، واستِمرارِه .

ودُرُورُ حَلَبِ الأيامِ : كنايةٌ عن اتِّساعِ الرِّزق ، والخيرِ .

والنَّخْوَةُ : الحَمِيَّةُ ، والكِبْرُ .

وباخَت النَّارُ : إذا فَتَرتْ وسكَنَ لَهَبُها .

---

(١) ضبطت التاء في الأصل بالضم ، وكأنه يريد الإشمام .

(٢) في هذا الحديث نفسه .

والهَرْجُ : الاختِلافُ ، والقَتْلُ .

واستَوْسَقَ الأمرُ : إذا تَمَّ ، وكَمُلَ .

والنِّظامُ : العِقْدُ .

والجَوْرُ : الظُلْمُ .

وإن كان بالحاء المهملَة : فهو مِن الضَّلال عن الطَّريق ، والحيرةِ فيه .

وأخْلَدَ إلى الأمرِ : إذا مالَ إليه ، وألقي نَفْسَه نَحْوَه .

وخُلِبْتُم بالدَّعَةِ : أي خُدِعْتُم بالسُّكونِ والراحةِ .

والعَوْجُ : العَطْفُ ، يقال : عُجْتُ البعيرَ ، أعُوجُه عَوْجاً ، ثم استعُير للرُّجوع . يقال : فلانٌ ما يَعُوجُ عن كذا ، أي ما يَرْجعُ عنه .

والمَجُّ : إلقاءُ ما في الفَمِ ، أو الجَوْفِ .

ويُرْوَي : « جَمْجَمْتُم » ، وهو تَرْكُ الإفصاحِ بالقولِ .

واللَّفظُ : الرَّمْيُ ، يقال : لَفظْتُ الشيءَ ، ألْفِظُه : إذا رَمَيْتَه .

وسُوِّغْتُم : أي جُعِلَ لكم سائغاً ، هَنِيءَ البَلْعِ .

ويُرْوَي : « دَسَعْتُم » ، أي دفَعْتُم ، يقال : دَسَعَهُ دَسْعاً ، إذا دَفَعه .

والخِذْلَةُ : الحالةُ مِن الخِذْلان .

والمُخامَرَةُ : المُخالَطَةُ .

والفَيْضُ : الامتِلاءُ ، والجَرْيُ [١] .

---

(١) في المصباح : فاض كل سائل : جرى .

والمُنْيَةُ : فُعْلَةٌ من التَّمنِّي .

والنَّفْثَةُ : المَرَّةُ مِن النَّفْثِ ، وهو أقلُّ البَصْقِ .

والمَعْذِرَةُ : مَفْعِلةٌ مِن الاعتذارِ .

تريدُ : إنما قلتُ هذا القولَ ؛ لأنَّ نَفْسي امتلأتْ ففاضَتْ ، وغَلَبني الغيظُ ، فأعطيتُه مُناه ، وامتلأ صَدْري فبصَقْتُ ، وأظْهَرْتُ الحُجَّةَ ؛ ليقومَ عُذْرِي فيما قلتُ .

والاحْتِقابُ : الادِّخارُ ، والاقْتِناءُ ، يُقال : حَقَبَ الشيءَ ، واحْتَقَبه .

والضميرُ راجعٌ إلى الخالة ، كالضَّمير المتقدِّم .

والمُدْبِرَةُ الظَّهرِ : النَّاقةُ التي دَبِرَ [١] ظَهرُها ، وانْعَقَر .

والمَهيضُ : المكْسُورُ ، المُهانُ .

والخَوراءُ : اللَّيِّنَةُ الضَّعيفةُ ، من الخَوَرِ : الضَّعفِ .

والقَناةُ : استعارةٌ لصُلْبِها ، أو قَوائمِها .

والنَّاقِبةُ الخُفِّ : هي التي حَفِيَ خُفُّها ، نَقِبَتْ فهي ناقِبةٌ ، وأنْقَبَ الرجلُ ، وأدْبَرَ : إذا حَفِيَ خُفُّ بعيرِه ، وانْعَقر ظَهْرُه .

والعارُ ، والشَّنارُ بمعنيً .

والنَّذيرُ : المُنْذِرُ ، فَعيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ .

والكَيْدُ : المَكْرُ .

والإنْظارُ : التأخيرُ .

---

(١) الدبر ، بالتحريك : الجرح الذى يكون فى ظهر البعير .

والهَنْبَثَةُ : الأمْرُ العظيمُ ، المختلفُ ، وجَمْعُها : هَنابِثُ .

ويُرْوَي : « هَيْنَمَةٌ » . وهي الكلامُ الذي لا يُفْهَمُ لخفائِه ، كالدُّنْدَنةِ ، والياءُ زائدةٌ .

والوابِلُ : المَطَرُ الغزيرُ .

والتَّهَضُّمُ : الإذْلالُ ، والانْتِقاصُ .

وفَحْوَي الكلامِ : مفهومُه ، دُونَ صَريحه .

الصورة السادسة :



الجزء الرابع

تأليف

عمر رضا كحالة

الطبعة الثانية

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م

أصلح بينهما ثم خرج . فقيل له : دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك . فقال : وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي .

وخطب علي بن أبي طالب بنت أبي جهل بن هشام[١] فاستأذن بنو هشام ابن المغيرة في ذلك رسول الله ﷺ فلم يأذن لهم . وسمعت فاطمة بذلك فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل فخرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى رقى المنبر واجتمع الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإن ابنتي بضعة مني يريبني مارابها ويؤذيني ما آذاها وأن تجتمع بنت نبي الله مع بنت عدو الله إني أخاف أن تفتن فاطمة في دينها وإني لست أحرم حلالا ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وابنة عدو الله في مكان واحد أبداً[٢] .

فترك علي الخطبة . وتزوج ابنة أبي جهل عتاب بن أسيد . وظلت فاطمة الزهراء الزوجة الوحيدة لعلي بن أبي طالب طيلة حياتهـا ولم يتخذ علي عليها زوجة حتى

---

(١) قيل : إن اسم بنت أبي جهل جويرية وهو الأشهر . وقيل : اسمهـا العوراء . وقيل : الحنفاء . وقيل : جهدم وقيل : جميلة وقد اسلمت وبايعت النبي ﷺ وحفظت عنه .

(٢) وزاد ابن الأثير في أسد الغـابة قول رسول الله ﷺ : أما بعد فإني انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني . وفي محاضرات الادباء وأسد الغابة : استأذنوني ان ينكحوا فتاتهم عليا الا فلا آذن ثم لا آذن إلا أن يحب علي أن يطلق ابنتي وينكح فتاتهم إن فاطمة بضعة مني ويريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها .

ولما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلث الفدك واقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها واقطع يزيد بن معاوية ثلثها وذلك بعد موت الحسن بن علي فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم ايام خلافته فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فقال : إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فسألته إياها فاطمة فقال : ماكان لك أن تسأليني وماكان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثم ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان فلما ولي الوليد سألته حصته منها فوهبها لي وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي فاستجمعتها وماكان لي من مال أحبّ إلي منها فاشهدوا أني قد رددتها إلى ماكانت عليه .

فكانت بيد أولاد فاطمة مدة ولاية عمر بن عبد العزيز فلما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى أنتقلت الخلافة عنهم . فلما ولي ابو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن ثم قبضها جعفر المنصور لما حدث من بني حسن ما حدث ثم ردها المهدي ابنه على ولد فاطمة ثم قبضها موسى بن المهدي وأخوه . فلم تزل في ايديهم حتى ولي المأمون فردها على الفاطميين سنة ٢١٠ هـ وكتب بذلك إلى قُثَم بن جعفر عامله على المدينة :

اما بعد فإن امير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله ﷺ والقرابة به اولى من استن سنته ونفذ امره وسلم لمن منحه منحةً وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق امير المؤمنين وعصمته وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته وقد كان رسول الله ﷺ اعطى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدَك وتصدق بها عليها وكان ذلك امراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ ولم تزل تدعي منه ما هو اولى به من صُدق عليه فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى فإقامة حقه وعدله وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عُماله فلئن كان ينادي في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه ﷺ أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك فيقبل قوله وينفذ عدَته إن فاطمة لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها. وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فَدَك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وما ألهمه الله من طاعته ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسوله ﷺ وأعلمه مَنْ قبلك وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري

وأعنها على مافيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله والسلام . وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ٢١٠ هـ فلما استخلف المتوكل على الله أمر بردها إلى ما كانت عليه قبل المأمون .

ثم أمر المنتصر بردها سنة ٢٤٨ هـ إلى ولد الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب .

ثم انكفأت فاطمة الزهراء إلى قبر أبيها ﷺ . فقالت :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وروى حرمى بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً .

فليت بعدك كان الموت صادفنا ... لما قضيت وحالت دونك الكثب

ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت : يامعشر البقية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة في حقي والسنة عن ظلامتي أما كان رسول الله ﷺ يقول المرء يحفظ في ولده سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم الآن مات رسول الله ﷺ أمتم دينه ها إن موته لعمري خطب جليل استوسع وهيه واستنهر فتقه وبعد وقته وأظلمت الأرض له وخشعت الجبال وأكدت الآمال اضيع بعدا الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنبأكم بها قبل وفاته فقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات

أو قتل انقلبتكم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئــا وسيجزي الله الشاكرين . ايهاً بني قيلة اهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العــدة ولكم الدار والجنن وأنتم نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختـار . باديتم العرب وبادهتم الأمور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الإسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهـدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين أفتأخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشـدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكصوا أيمانهم من بعد عهــدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون . ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض ور كنتم إلى الدعة فجحدتم الذي وعيتم ودسعتم الذي سوغتم وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ، ألا وقد قلت لكم ماقلت على معرفة مني بالخذلة التي خــامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فــاحتووها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ثم قال عمر لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة فإنا قد أغضبناها . فانطلقا جميعاً فاســتأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليهــا فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم أبو بكر فقال : ياحبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده أفتراني أعرفك

وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا إني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول لانورث ماتركنا فهو صدقة . فقالت : أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به ؟ قالا نعم . فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضاء فاطمةمن رضائي وسخط فاطمة منسخطي فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني قالا : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ قالت : فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه . فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يافاطمة ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه تزهق وهي تقول : والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها . ثم خرج ابو بكر باكياً فاجتمع إليه الناس فقال لهم : يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لاحاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي . قالوا : ياخليفة رسول الله بعدما سمعت ورأيت من فاطمة . وأما الأخباريون من الشيعة فقد ذكروا أن أبا بكر وعمر أسمعا فاطمة كلاماً غليظاً وأن أبا بكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضراً فكتب لها بفدك كتاباً فلما خرجت به وجدها عمر فمد يده إليه ليأخذه مغالبة فمنعته فدفع بيده في صدرها وأخذ الصحيفة فحرقها بعد أن تفل فيها فمحاها وأنها دعت عليه فقالت : بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي .

وقال علي بن مهنأ العلوي : ماقصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا أن يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة .

ومناقب فاطمة كثيرة فقد عادها النبي ﷺ وهي مريضة فقال لها : كيف تجدينك يابنية ؟ قالت : إني لوجعة وإنه ليزيدني أني مالي طعام آكله . قال : يابنية أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين ؟ قالت : يا أبت فأين مريم بنت عمران ؟ قال: تلك سيدةنساء عالمهاوأنت سيدة نساءعالمك أماوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة [١] .

وقال النبي ﷺ فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني [٢] .

ودخل النبي ﷺ على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل فبكى وقال : تجرعي يافاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة [٣] . وأقبلت فاطمة فوقفت بين يدي رسول الله ﷺ فنظر إليها وقد ذهب الدم من وجهها وعليها صفرة من شدة الجوع فقال رسول الله ﷺ : ادن يافاطمة . فدنت حتى قامت بين يديه فرفع يده فوضعها موضع القلادة وفرج بين أصابعه ثم قال : اللهم مشبع الجاعة ورافع الضيق ارفع فاطمة بنت محمد [٤] .

(١) قال ابن حزم الظاهري : وفي قول رسول الله ﷺ إن فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الأمة فنقول وبالله التوفيق : ان الواجب مراعاةألفاظ الحديث وإنماذكر النبي ﷺ في هذا الحديث السيادة ولم يذكر الفضل وذكر في حديث عائشة الفضل نصاً بقوله : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . والسيادة غير الفضل ولا شك في أن فاطمة سيدة نساء العالمين لولادة النبي ﷺ لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلاتعارض بين الحديثين .

(٢) واستدل السهيلي بهذا الحديث على أن : من سب فاطمة يكفر وقد سوى بين غضبها وغضب النبي ﷺ ومن أغضب النبي ﷺ يكفر .

(٣) المستظرف للأبشيهي .

(٤) مختصر دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي .

وقسم رسول الله ﷺ من أموال خيبر الكيتبة وهي وادٍ خاص بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها فقسم رسول الله لفاطمة ابنته مائتي وسق ولعلي بن أبي طالب مائة وسق ولعائشة مائة وسق ولأبي بكر الصديق مائة وسق . وكان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يأتي فاطمة ثم يأتي أزواجه . وقال النبي ﷺ كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم [١] .

وطلب أبو سفيان أن يجيرها عند النبي ﷺ وذلك قبل فتح مكة فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة وعندها ابنها الحسن يدب بين يديها فقال : يا ابنة محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر قالت بني والله ما بلغ بني ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ .

وقالت عائشة : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها كما كانت تصنع هي به ﷺ . وسئلت عائشة أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت :فاطمة قيل : ومن الرجال ؟ قالت : زوجها [٢] . وقالت عائشة : ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها [٣] .

وقال ابن الجوزي : كان للنبي ﷺ بنات فضلتهن فاطمة وزوجات سبقتهن

(١) جمع الجوامع للسيوطي .

(٢) تجريد الاصول (٣) الاصابة وشرح الزرقاني على المواهب (٤) المدهش .

عائشة[١]. وجاء في شرح المصابيح لزين العرب: أن فاطمة سميت بتولاً لانقطاعها عن نساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً.

وجاء في حاشية ابن عابدين: وقيل: إن فاطمة أفضل ويمكن إرجاعه إلى الأول: وقيل بالتوقف لتعارض الأدلة واختاره ألاستروشني من الحنفية وبعض الشافعية كما أوضحه منلا علي القاري في شرح الفقه الأكبر وشرح بدر الأمالي.

وجاء في المعلمة الاسلامية ما معناه: أن فاطمة في نظر الشيعة المثل الأعلى للنفس البشرية وأن ولادتها من خوارق العادة وقرانها بعلي بن أبي طالب كان بأمر الهـي. وزعمت بعض فرق الشيعة أتباع الشريقي: أن الله حل في خمسة أشخاص وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. وقالوا: إن هؤلاء الخمسة آلهة ولها أضداد خمسة واختلفوا في أضدادها[١] وكان الطالبيون يحتجون على بني العباس بقرابتهم من فاطمة فكتب أبو جعفر المنصور: من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد ابن عبد الله بن حسن: أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت كلامك فإذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة، والآباء كالعصبة والأولياء لأن الله جعل العم أباً وبدأ به في القرآن على الوالد الأدنى ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت آمنة أقربهن رحماً وأعظمهن حقاً وأول من يدخل الجنة غداً ولكن اختار الله لخلقه على قدر علمه الماضي لهن ...

(١) وقد ظفر الوزير المهلبي سنة ٣٤١ هـ بقوم التناسخية وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة انتقلت اليها.

وقال المأمون يوماً لعلي بن موسى الرضي : بم تدعون هذا الأمر ؟ قـــال : فقرابة علي من النبي ﷺ وبقرابة فاطمة . فقال المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففي خلف رسول الله ﷺ من أهل بيته من هو أقرب إليه من علي فمن هو في القرابة مثله وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله فإن الحق بعد فاطمـــة للحسن والحسين وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيـــان وإذا كان الأمر على ذلك فإن علياً قد ابتزهما جميعاً وهما حيان صحيحان واستولى علي على مالا يجب له . فما أحار علي بن موسى نطقاً .

وروت عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً[1] أخرج لهـــا منها في الصحيحين حديث واحـــد متفق عليه في مسند عائشة . وروى لهـــا الترمذي وابن ماجه وأبو داود .

وروى عنها ابناها الحسن والحسين وأبوهما علي بن أبي طالب وعائشة أم المؤمنين وسلمى أم رافـــع وأنس بن مالك وأم سلمة وأرسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها .

ولما مرضت فاطمة المرضة التي توفيت بها دخل النساء عليهـــا فقلن كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القنـــا أو كسره وخطل الرأي وبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشنت عليهم عارها فجدعها وعقراً

(١) قال ابن الجوزي : ولا نعلم احداً من بنات رسول الله ﷺ أسند عنه غير فاطمة .

وبعداً للقوم الظالمين ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعــد النبوة ومهبط الروح الأمين الطبن بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله . وبالله لو تكافؤا على زمام نبذه رسول الله ﷺ لسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً روياً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولأصدرهم بطاناً قد تحرى بهم الري غير متحل منهم بطــائل بعمله الباــهر وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون . ألا هلمن فاسمعن وما عشتن أراكن الدهر عجباً إلى أي لجأ لجأوا وأسندوا بأي عروة تمسكوا ولبئس المولى ولبئس العشير استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن لا يهدي فمالكم كيف تحكمون أما لعمر إلهكن لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا طــلاع العقب دماً عبيطاً وذعافاً ممقراً هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غبما أسس الأولون ثم أطيبوا عن أنفكم نفساً وطامنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وبقرح شامل واستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيداً وجمعــكم حصيداً فيا حسرة لكم وإني بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين .

(٩)

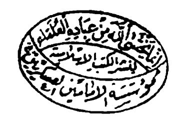
ولما توفيت فاطمة جاءت عائشة فمنعتها أسماء بنت عميس . فشكتها عائشة إلى أبي بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ فوقف أبو بكر على الباب وقال يا أسماء ماحملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ وقد صنعت لها هودجاً ؟ قالت : هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأمرتني أن أصنع لها ذلك . قال : فاصنعي ما أمرتك وغسلها علي واسماء . ودفنت ليلاً في زاوية في دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع.

ولما دفنت فاطمة الزهراء قال علي بن أبي طالب : السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قلّ يا رسول الله عن صفيتك صَبرْي ورق عنها تجلدي إلا أن لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزٍ فلقد وسدتُك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك فإنا لله وإنا إليه راجعون . فلقد استرجعت الوديعة وأُخذت الرهينة أما حزني فسرمد وأما ليلي فمُسَهّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وستنبئك ابنتك بتضافر أُمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخلُق منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قالٍ ولا سئمٍ فإن أنصرف فلا عن ملامة وإن أُقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين .

ثم تمثل عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل

الصورة السابعة :





○ الخطة الإلهية ○ خطة أهل بيت النبي ○ خطة قادة التاريخ الإسلامي



الناشر

دار الفجر

الطبعة الثانية ــ ١٤١٥

٢٣ ـ حتى تحزوا رقابنا بالمناشير

جاء في مجمع الزوائد للهيثمي مجلد ٩ صفحة ٣٩ عن عمر ، أنه لما قبض رسول الله جئت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا : ما تقول في ما ترك رسول الله ؟ قال : نحن أحق الناس برسول الله ! قال فقلت : والذي بخيبر ؟ قال : والذي بخيبر . قلت : والذي بفدك قال : والذي بفدك ! فقلت : أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير ! ! !

٢٤ ـ قرارات اقتصادية لابد منها

١ـ لإجبار الآل الكرام على الإحتكام للسلطة ، بغض النظر عن طبيعة القرارات التي ستصدر عنها .
٢ـ تجريد الآل الكرام من سلاح خطير وهو المال ، فإذا استعمله الآل الكرام ، فقد يؤلفون به قلوب المسلمين ويستميلونهم لصالح قضيتهم .
٣ـ ربط الآل الكرام بالسلطة الحاكمة ، وجعل رغيفهم بيد هذه السلطة ، لتضمن السيطرة الكاملة عليهم ، وتحييدهم وإلغاء دورهم كقيادة سياسية شرعية .
٤ـ عزل الآل الكرام شعبياً ، حتى تميل عنهم أعين الناس
٥ـ الحيلولة العملية بين الآل الكرام والمطالبة بالجمع بين النبوة والخلافة .

٢٥ ـ تحقق هذه الأهداف

فقد فاوض الآل الكرام واحتكموا إلى السلطة ، فحكمت السلطة بتنفيذ قراراتها الإقتصادية وحرمانهم من التركة ، ومن المنح ، ومن سهم ذوي القربى ! وبموت فاطمة انصرف الناس عن علي ، فشق بنفسه طريق المصالحة ، وبايع هو وبنو هاشم وسلموا بالأمر الواقع ! ! فعساه أن يتمكن يوماً من إطلاع الأمة على الحقيقة المرة ، وأن يبصّر

الناس بالتقاطيع الأساسية للمنظومة السياسية الإلهية ، فيقارنوا بينها وبين ما حدث في التاريخ !!

٢٦ ـ احتجاج الزهراء على القرارات الإقتصادية والملجأ الجديد

لما قرر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حرمان أهل البيت الكرام من ميراث النبي ومصادرة المنح التي منحها لهم النبي حال حياته ، وتجريد الآل الكرام من حقهم في كل ممتلكات النبي ، وحرمانهم من حقهم في الخمس الوارد في آية محكمة (لاثت الزهراء خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، واقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر ، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار ، فنيطت دونها ملاءة فجلست ، ثم أنت أنة أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس ، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم قالت) كما أورده أبو بكر الجوهري في سقيفته ، وأحمد بن أبي طاهر البغدادي في بلاغات النساء ، راجع شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨٧ ، وبلاغات النساء صفحة ١٢ ـ ١٥ ، وكما أجمع على مضمون ذلك أئمة أهل البيت الكرام ، وإن كانت نصوص احتجاجها وخطبتها متفاوتة على حسب ما حفظه الرواة ، أو سمحت بوصوله إلينا قيود المحكومات .

٢٧ ـ النص الحرفي للإحتجاج

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدم ، من عموم نعمٍ ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام مِنَنٍ والاها ، جَمٍّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أمدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها ، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها ، وثنى بالندب إلى أمثالها :

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمةٌ جعل الإخلاص تأويلها ، وضَمَّنَ القلوب موصولها ، وأنار في الفكر معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيتُه ، ومن الألسن صفتُه ، ومن الأوهام كيفيتُه ، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها

أيها المسلمون أأغلب على إرث أبي ؟ يابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ (لقد جئت شيئاً فرياً) أفعلى عمد تركتم كتاب الله ، ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال (رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة لي ، ولا إرث من أبي ، ولا رحم بيننا ! ! أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي ! ! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان ! ! أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ! ! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟

فدونَكَهَا مخطومةً ، مَرْحُولةً ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة ما تخسرون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ، من يأتيه عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم !

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت :

يامعاشر الفتية ، وأعضاد الملة ، وأنصار الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقي ؟ والسِّنَةُ عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول (المرء يحفظ في ولده) سرعان ما أحدثتم وعَجْلَانَ ذا إهالة ، ولكم طاقة بما أحاول ، وقوةٌ على ما أطلب وأزاول ! أتقولون مات محمد ﷺ فخطبٌ جليلٌ استوسع وهيه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت النجوم لمصيبته ، وأكْدَتِ الآمال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم ، في ممساكم ومصبحكم ، هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل ، وقضاء حتم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو

قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين)

إيهاً بني قَيْلَةَ أأهضم تراث أبي ، وأنتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذووا العدد والعدة ، والأداة والقوة ، وعندكم السلاح والجلبة ، توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، وأنتم معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت ، قاتلتم العرب ، وتحملتم الكد والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهم ، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون ، حتى دارت بنا رحى الإسلام ، ودر حلب الأيام ، وخضعت نعرة الشرك ، وسكنت فوارة الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين .

فأنى جَسَرْتُم بعد البيان ، وأسررتم بعد الإعلان ، ونكصتم بعد الإقدام ، وأشركتم بعد الإيمان (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ، وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة ! أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض ، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة ، ونجوتم من الضيق بالسعة ، فمججتم ما وعيتم ، ودَسَعْتم الذي تسوغتم (فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد) !

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم ، والغَـدْرَةِ التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ، وخَوْرُ القنا ، وبثة الصدور ، وتقدمة الحجة .

فدونكموها فاحتقبوها ، دَبِرَةَ الظهر ، نَقِبَةَ الخف ، باقية العار ، موسومةً بغضب الله ، وشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة . فبعين الله ما تفعلون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد (فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون ! ! !)

٢٨ ـ جواب أبي بكر

يا ابنة رسول الله ، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً ، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء ، وأخاً لبعلك دون الأخلاء ، آثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم ، لا يحبكم إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا كل شقي ، فأنتم عترة رسول الله (ص) الطيبين ، والخيرة المنتجبون ، على الخير أدلتنا ، وإلى الجنة مسالكنا ، وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ما عدوت رأي رسول الله (ص) يقول نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً ، وإنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوة ، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر ، بعدنا أن يحكم فيه بحكمه ، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح ، يقاتل به المسلمون ، ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة ثم الفجار ، وذلك بإجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي ، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك ، لا نزوي عنك ، ولا نذخر دونك ، وأنت سيدة أمة ابيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا يدفع مالك من فضل ، ولا يوضع من فرعك وأصلك ، حكمك نافذ في ما ملكت يدي ، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك .

فقالت ﷺ : سبحان الله ما كان رسول الله عن كتاب صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته ، شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته ، هذا كتاب الله حَكَماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً يقول (يرثني ويرث من آل يعقوب) ، (وورث سليمان داود) فبين عزوجل ما وزع عليه من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أزاح علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، ولا (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ، والله المستعان على ماتصفون) .

فقال أبو بكر : صدق رسول الله وصدقت ابنته ، أنت معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلدوني ما تقلدت ، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ولا مستبد ، ولا مستأثر وهم بذلك شهود !

فالتفتت ﷺ وقالت : معاشر الناس المسرعة إلى قِبَل الباطل ، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ، ولبئس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتم ، وشر ما منه اعتضتم ، لتجدن والله محمله ثقيلاً ، وغبه وبيلاً ، إذا كشف لكم الغطاء ، وبان ما وراء الضراء ، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون ، وخسر هنالك المبطلون .

ثم عطفت على قبر رسول الله وقالت :

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثةٌ ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم وقد نَكَبُوا
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستُخِفَّ بنا ... لما فُقِدتَ وكلُّ الأرض مغتصب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فقد فقدت فكل الخير محتجب
إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن ... من البرية لا عجمٌ ولا عرب

٢٩ ـ كلامها مع نساء المهاجرين والأنصار

زارتها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها : يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك ؟ فقالت ﷺ أصبحت والله عائفةً لدنياكم ، قاليةً لرجالكم ، لفظتهم قبل أن عجمتهم ، وشنأتهم بعد أن سَبَرْتُهم ، فَقُبْحاً لفُلُول الحد ، وخور القناة ، وخَطَل الرأي ،

بئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . لاجرم لقد قَلَّدَتْهُم رِبقتها ، وسنت عليهم عارها ، فجدعاً وعقراً ، وسحقاً للقوم الظالمين . ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة ، ومهبط الوحي الأمين ، والطبين بأمر الدنيا والدين ، ألا ذلك هو الخسران المبين . وما نَقِموا من أبي الحسن ، نقموا والله منه نكير سيفه ، وشدة وطئه ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله عزوجل .

والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله ﷺ لاعتلقه ، ولسار بهم سيراً سجحاً ، لا يكلم خشاشه ، ولا يتعتع راكبه ، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً ، تطفح ضفتاه ، ولأصدرهم بطاناً ، قد تحير بهم الري ، غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء ، وردعة شررة الساغب ، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض . وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

ألا هلمَّ فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث ، إلى أي سناد استندوا ، وبأي عروة تمسكوا ، استبدلوا الذنابا والله بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ! الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ! أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون ! !

أما لعمر إلهك لقد لقحت ، فَنَظِرَةٌ رَيْثَمَا تنتج ، ثم احتلبوا طلاع القصب دماً عبيطاً ، وذعافاً محقراً . هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون غب ما سن الأولون ، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً ، وطامنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم ، وهرج شامل ، واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيداً ، وزرعكم حصيداً ، فيا حسرتى لكم ، وأنى بكم وقد عميت عليكم ! أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ! ! ! راجع شرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ١٦ صفحة ٢٣٤ ، وبلاغات النساء صفحة ١٩ ، والإحتجاج للطبرسي مجلد ١ صفحة ١٤٧ ـ ١٤٩

الباب الرابع

في محاور التوثيق

ماذا نقرأ في المحاور؟

المحور الأوّل: توثيق أصحاب المصادر .

المحور الثاني: توثيق المصاد ر.

المحور الثالث: توثيق الأسانيد .

المحور الرابع: روعة الأسلوب .

المحور الخامس: قوّة الحجة .

الخاتمة: بين العقّاد والنقّاد .

المحور الأوّل: توثيق أصحاب المصادر

لاشكّ إنّ أقوى وسيلة لإقناع الخصم بصحّة المدعى هي توثيق أصحاب المصادر التي تثبت الدعوى، وأمّا المصادر فهي لاتكون من وسائل الاقناع ما لم يكن أصحابها من الموثقين، ومن خلال معرفتهم تكون الحجة أقوى، ويتم الإذعان بصحّة ما ذكروه في مصادرهم، ولا تبقى للخصم حجة في الإنكار، بل تنقطع السبيل التي ينقّ فيها المشككون لأنّ أهمّ معطيات التاريخ الصحيح أن يكون عن مصادر تؤمن بالحيادية أو هي مصادر الخصم فتدينه بما فيها لا أن تكون مسجلة حسب أهواء الحاكمين، والاحتكام إلى ما في تلك المصادر يقطع أصابع الاتهام، ولّما كانت خطبة الصديقة عليها السلام ممّا أثير حولها لغط ولغو من القول، كان علينا أن نقرأها بنصوصها من المصادر المختارة، وقد مرّت صورها في الباب الثالث .

ولئلاّ يقول عابث معاند، لولا أثبت وثاقة من ذكرت لنرى حاله ثم نرى مقاله، لذلك أعرض شيئاً بوجازة عن أولئك النخبة المختارة، بما يعرّفهم ولو على نحو الإشارة، وأبدأ أوّلاً بأصحاب المصادر في التراث السنّي، لأنّهم أبعد عن شبهة التهويل والتضليل ، والقال والقيل، وأدنى إلى ثقافة العامة وهم:

(أوّلاً) سبط ابن الجوزي الحنفي من رجال القرن السابع إذ توفى سنة ٦٥٤ وإنّما قدمت ذكره لأنّه روى أقدم نص للخطبة مقتضباً باختصار مشين وقد رواه عن الشعبي المتوفى سنة١٠٣ – ٤/ ٥/ ٦/ ١٠٧) وهو المتهم بجنحة التغيير والتقصير، وإلاّ فالسبط المذكور أثنى عليه مترجموه فقد قال ابن خلكان عنه: (الواعظ المشهور، حنفي المذهب، وله حديث وسمعته في مجالس وعظه وقبول عند الملوك وغيرهم)[1].

ووصفه الموفق بن أحمد أخطب خوارزم بقوله: (الشيخ الإمام شمس الدين، والإمام الحافظ)[2]. وكتابه (تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمّة) يدلّ على حبّه لأهل البيت عليهم السلام واعتداله في كتابه يقتضي حسن الثناء عليه ويبعد عنه إصابع الإتهام، لكن روايته للخطبة عن الشعبي تثير الاستغراب، ولم يذكر لها سنداً أو أخذها عن كتاب، لأنّ الشعبي وهو عامر بن شراحيل من شعب همدان بالكوفة كان من مشهوري التابعين، وفي ركاب الأمويين من الظالعين، ولي لهم القضاء وتولى تأديب ولد عبد الملك بن مروان وكان قاضيه بالكوفة أيّام الحجاج، فهو وإن أثنى عليه ابن حجر كغيره فقد أطنب في ترجمته في تهذيب التهذيب ٥/ ٦٥ – ٦٩ ، وذكر الكثير من القول في اطرائه وحكى توثيقه عن غير واحد حتى قال فيه العجلي. ولا يكاد الشعبي يرسل إلاّ صحيحاً... ومع

(١) وفيات الأعيان ٣: ١٤٢.

(٢) جامع مسانيد أبي حنيفة ١: ٥٤ و٧٠ ط حيدرآباد.

ذلك الإطراء فقد غمز قناته غير واحد فقال ابن أبي حاتم وسئل أبي عن الفرائض التي رواها الشعبي عن عليّ فقال: هذا عندي ما قاسه الشعبي على قول عليّ، وما أرى علياً كان يتفرّغ لهذا وقال ابن معين: قضى الشعبي لعمر بن عبدالعزيز وساق أقوالاً كثيرة في عدم سماعه من جماعة من الصحابة، وقال العلاء بن هارون ولي الشعبي القضاء فما قام له ولا قوي عليه ومن قبيح قوله وقد أنكر عليه جوره في القضاء فأتاه الأحنف ليفهمه وقال له: فاقض بينهما بما أراك الله، قال : لست برأي ربّي أقضي، وإنّما أقضي برأيي[1].

وقد ذكرت جانباً من تاريخه الفقهي في كتابي (عليّ إمام البررة)[2]. وذكرت ما يدلّ على نُصبه في كذبه عن عليّ وشيعته وحزبه، فمن كان كذلك لا يُرجى منه الأمانة في نقل خطبة الصديقة عليها السلام كما هي بنصّها وفصّها ولا غرابة منه كما هي الغرابة من سبط ابن الجوزي كيف اكتفى في المقام برواية الشعبي، دون رواية غيره ممن رواها تامة الفصول كاملة المقول .

(١) أخبار القضاة لوكيع ٢: ٤٢٧.

(٢) عليّ إمام البررة ٢: ٣٢٣ ــــ ٣٢٤.

(ثانياً) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي ابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ترجمه الخطيب البغدادي في تاريخه وأثنى عليه بقوله: (كان أحد البلغاء الشعراء الرواة ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم...)[1].

وذكره ابن النديم في الفهرست وياقوت في معجم الأدباء وذكرا له قائمة من الكتب تزيد على ٥٦ كتاباً...) (ولم يبق من هذا الجهد كلّه سوى جزء من كتاب هو القسم السادس من كتاب بغداد وقد طبع... وكتاب بلاغات النساء، وقد طبع قبل قرن من الزمان تقريباً بمصر، وعن تلك الطبعة نقلت النص كما مرّ وطبع الكتاب أيضاً في النجف وبيروت كما سيأتي في توثيق المصادر في المحور الثاني.

وأهمية ابن طيفور انّ مصادر معلوماته استقى معظمها رواية عن عمر بن شبة وان غمز ياقوت وابن النديم في رواياته التي لا يسندها، ومهما يكن فالرجل معدود من الرعيل الأول من المؤرخين البلدانيين[2].

(ثالثاً) أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣ لقد مرّ ذكره في كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط)[3] وهناك ذكرت ما قيل في توثيقه ونضيف هنا ما قاله أبو هلال العسكري في كتابه (شرح ما يقع فيه

(١) تاريخ بغداد ٤: ٢١١.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون شاكر مصطفى ٢: ٢٤٥ ـــ ٢٤٧.

(٣) المحسن السبط مولود أم سقط: ١٥٦ ـــ ١٥٧.

التصحيف والتحريف)[1]: (قرأت على أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، وكان ضابطاً صحيح العلم...).

ولا يفوتني التذكير بما قاله ابن أبي الحديد وقد روى الخطبة عن كتابه (السقيفة وفدك) للجوهري فقال: (الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم لأنّا مشترطون على أنفسنا ألاّ نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في السقيفة وفدك وما وقع من الإختلاف والاضطراب عقب وفاة النبيّ ﷺ وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث، كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدّثون ورووا عنه مصنفاته)[2]. وقال أيضاً: (واعلم أنّا إنّما نذكر في هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم وما أودعه أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه وهو من الثقات الأمناء عند أصحاب الحديث)[3].

(رابعاً) أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم الحنفي المتوفى سنة ٥٦٨هـ ترجمه كثيرون كالقفطي والصفدي والسيوطي، وذكروا له مديحا وإعجابا بفضله، وذكروا انّه يعرف بخليفة الزمخشري أخرج الخطبة في كتابه مقتل الحسين عليه السلام وسيأتي توثيق المصدر في المحور الثاني إن شاء الله.

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٤٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٠٩ ــ ٢١٠ تحـ أبو الفضل إبراهيم.

(٣) نفس المصدر ١٦: ٢٣٤.

(خامساً) أبو السعادات مجد الدين المبارك بن الأثير الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ عالم أديب مشارك في تفسير القرآن والحديث والفقه واللغة والنحو وغير ذلك هكذا ذكروا في ترجمته في جملة من المصادر منها وفيات الأعيان لابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت وطبقات الشافعية للسبكي وغيرها وله عدة تصانيف طبع منها جامع الأصول في الحديث والنهاية في غريب الحديث ومنال الطالب في شرح طوال الغرائب ومنه أخذنا النص كما سيأتي توثيق المصدر في المحور الثاني إن شاء الله.

(سادساً) عمر رضا كحالة باحث معاصر شهير عرف بكتابه (معجم المؤلّفين) المطبوع بدمشق أوّلاً في ١٦ جزءاً.

توثيق أصحاب المصادر من التراث الشيعي

١ – الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الآبي من وزراء مجد الدولة بن بويه توفي سنة ٤٢١ هـ وفي كشف الظنون سنة ٤٢٢ صنف (تاريخ الري) و (نثر الدر في المحاضرات) و (نزهة الأديب) كان يلقب بالوزير الكبير ذي المعالي زين الكفاة ترجمه الثعالبي في تتمة اليتيمة ترجمة مطولة وذكره ياقوت في معجم البلدان (آبة) وذكره كاتب جلبي في كشف الظنون وجاء في رياض العلماء: الوزير السعيد ذو المعالي زين الكفاة أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، فاضل عالم فقيه وله نظم حسن، قرأ على شيخنا الموفق أبي جعفر الطوسي وروى عنه الشيخ المفيد عبدالرحمن

النيسابوري قاله منتجب الدين اقول: ولي في التوفيق بين سنة وفاته ٤٢١ وقراءته على الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ نظر وإن لم يكن التوفيق ممنوعاً لكنه بعيد غايته[١].

٢ – الطبري الإمامي: هو محمّد بن جرير بن رستم الطبري الآملي ذكره صاحب رياض العلماء فقال: محمّد بن رستم الطبري الكبير ديّن فاضل[٢] وليس هو صاحب التاريخ من كتبه (المسترشد) في الإمامة، دلائل الإمامة، الفاضح قاله ابن شهرآشوب[٣].

أقول – والقائل هو صاحب الرياض – وقد ذكره العامة وطعنوا عليه لأجل تشيّعه وقد نسب إليه المؤلّف في فهرس كتاب الهداة كتاب مناقب فاطمة وولدها وينقل عنه فيه مع تركه في هذا الموضع[٤]. ثم انّه ذكره صاحب الرياض مرة أخرى في الألقاب (الطبري) فقال: وقد يطلق على الشيخ أبي جعفر محمّد بن جرير بن رستم بن جرير الطبري الإمامي صاحب كتاب مناقب فاطمة عليها السلام وولدها) وكتاب (دلائل الإمامة) وغير ذلك من المؤلّفات وفي الأخير أشهر. انتهى[٥].

---

(١) رياض العلماء للأفندي ٥: ٢١٩.

(٢) نفس المصدر ٥: ١٠٣.

(٣) معالم العلماء لابن شهر اشوب: ١٠٦.

(٤) اثبات الهداة للحر العاملي ١: ٣١.

(٥) رياض العلماء ٧: ١٨٥.

قلت: وهذا الذي ذكره من طعن العامة عليه لتشيّعه ليس كـذلك. بـل ذلك كان في ابن جرير العامي المؤرخ الشهير كما قال أبو الفـدا في تاريخـه في حوادث سنة ٣٠٧هـ . ولمّا مات تعصبت عليه العامة ورمـوه بـالرفض وما كان سببه إلاّ انّه صنّف كتاباً فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيـه أحمـد بن حنبل فقيل له في ذلك فقال: لم يكن أحمد بن حنبـل فقيهـاً وإنّـما كـان محدّثاً فاشتبه ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد فشنّعوا عليه بما أرادوه. وأين منه التشيّع وهو (يـذهب في الإمامـة إلى إمامـة الأربعـة حسب ترتيبهم في الحكم وما عليه أصحاب الحديث في التفـضيل وكـان يكفّـر مـن خالفـه.. مـن الـروافض والخـوارج ولا يقبـل أخبـارهم ولا شهاداتهم وذكر ذلك في الشهادات وفي الرسالة وفي أوّل ذيل المذيّل)[1].

ومؤلف الدلائل لم تذكره كتب العامة حتى يطعنـوا عليـه وقـد ترجمـه الشيخ الطوسي في الفهرست[2] وكذلك النجاشي في رجاله[3] وروى عنه كتبه بواسطتين وهما أقـرب زمانـاً وأكثـر احاطـة وإصـابة مـن صـاحب الرياض.

---

(١) كما في معجم الأدباء ٥: ٢٦٨.

(٢) الفهرست: ١٥٨ الرقم ٦٩٧.

(٣) رجال النجاشي: ٣٧٦ الرقم ١٠٢٤.

المحور الثاني: توثيق المصادر

لقد مرّ بنا توثيق أصحابها في المحور الأول فلماذا اللبث عندها لتوثيقها ؟ ألا يكفي توثيق أصحابها في توثيقها؟ فنقول: نعم كان ذلك يكفي يوم كانت الأمانات مرعية ولكن بعد أن شاعت الخيانة فضاعت الأمانة وتلاعب أصحاب الضمائر الميتة ممن لا يخشون حساباً ولا يرجون ثواباً فحشروا أنفسهم بين صفوف الناشرين وصبغوا أنفسهم بصبغة المحققين وتولوا مراكزهم في مؤسسات اصدار الأقراص الكمبيوترية فحرّفوا وصحّفوا وخرّفوا وخرّبوا وللتدليل على ذلك فلتقابل الطبعات القديمة للكتاب مع الطبعات الحديثة فالفرق واضح والتلاعب لائح وقد مرّت منا الإشارة إلى نموذج واحد في كتاب (المحسن السبط مولود أم سقط) فذكرنا ما وجب ممّا أصاب كتاب (مروج الذهب) فذهب منه في مورد واحد ما ذهب. فراجع لترى العجب.

وفي الأقراص الكمبيوترية فليقارن بين الإصدار الأول للمكتبة الألفية والإصدار الثاني فكم من شاهد على التلاعب والخيانة! وحسب الباحث أن يلاحظ حديث الثقلين في الإصدارين ليرى الفرق رأي العين.

أمّا عن جنايات بعض المحققين فتلك بليّة ما فوقها بليّة ولسوف يندمون ولات مندم. فهذا الحال هو الذي دعاني لتصوير النصوص من

مصادرها مع الصفحة الأولى ذات العنوان التي يجد القارئ فيها سنة طبع الكتاب ومكانه وبلده مع باقي خصوصياته ولزيادة التنبيه على ذلك نستعرضها الماماً فنقول عن مصادر التراث السنّي:

١ – (غريب الحديث) لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وقد طبع ببغداد في سلسلة مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري وقد يؤخذ علينا عدم ذكر صورة النص عنه مع مصادر النصوص، لأن مؤلّفه لم يذكر تمام الخطبة بل حاول إنكارها فذكرت ما عنده والردّ عليه فيما تقدم في أوّل النصوص، وليعلم أنّ المطبوع من غريب الحديث فيه نقص دلل على ذلك ابن الأثير حين نقل عنه بعض الأحاديث في كتابه (منال الطالب) ولم توجد في المطبوع منه.[1]

---

(١) ولم يكن ابن قتيبة في غريب الحديث هو الوحيد الذي أشار إلى الخطبة الكبيرة في (لُمّة) بل هناك غيره من ذكرها بنحو الإشارة ــ وربّ أشارة أبلغ من تصريح ــ فراجع الزمخشري (ت٥٣٨) في كتابه (الفائق) وهو الفائق كاسمه فقد قال في (لمم) (وفي حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها أنها خرجت في لّمة من نساء قومها تتوطأ ذيلها حتى دخلت على ابي بكر) الفائق ٢/ ٢٣١ ط حيدر آباد١٣٢٤ وج٣ / ٣٣١ ط دار الفكر وج ٣/ ٣١٩ ط المكتبة العصرية صيدا ١٤٢٦هـ ، وأعطف عليه أبن الجوزي (ت٥٩٧) في (غريب الحديث) ج٢ / ٣٣٣ ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤ حيث قال: وفي الحديث (أن فاطمة خرجت في لّمة من نسائها إلى أبي بكر فعاتبته) أي في جماعة، وقيل هي من الثلاث إلى العشر.

وهذا بعينه ما ذكره ابن المنظور في لسان العرب ١٦ / ٢٢ط مصورة عن طبعة بولاق وكذلك ذكره ابن الأثير أيضاً في النهاية ج٤ / ٢٧٣ ط محققة بمصر إلا أن الزبيدي في تاج العروس أشار إلى ذلك أشارة عابرة، راجع ٩ / ٦٣ ط أفست عن طبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦..

٢ - (بلاغات النساء)لابن طيفور أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وهذا الكتاب كاد أن يكون هو المرجع الأول لدى المتأخرين نظرا لقدم مؤلّفه ثم وصول نسخته سالمة من العثّ والعبث وإن لم تسلم من بعض سهو النساخ وقد طبع لأول مرة بمصر قبل قرن من الزمان تقريباً كما جاء في صفحة العنوان: طبع ١٣٢٦ هـ-١٩٠٨م. وتكرر طبعه في بلدان أخرى وأزمان متأخرة فقد طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٥٣ وفي بيروت سنة ١٩٧٢م وربما في غيرهما مما لم نقف عليه. وقد اعتمدنا الطبعة المصرية القديمة.

٣ - (مقتل الحسين عليه السلام) لأبي المؤيّد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم الحنفي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وقد طبع الكتاب قبل ستين عاماً في النجف الأشرف بمطبعة الزهراء سنة ١٣٦٧ هـ وقد عني بملاحظة التعليق عليه العلاّمة المحقق الكبير الشيخ محمّد السماوي (رحمه الله) وعن هذه الطبعة أخذت صورة النص.

٤ - (منال الطالب في شرح طوال الغرائب) لابن الأثير ٦٠٦ طبع محققاً بتحقيق الدكتور محمود محمّد الطناحي ونشرته المملكة العربية السعودية / جامعة الملك عبدالعزيز الكتاب الثامن من التراث الإسلامي (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة. وأعيدت طبعاته بالقاهرة أيضاً دار المأمون للتراث.

٥ - (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة طبع بدمشق وإنّما أذكره مع المصادر القديمة مع العلم بأنّه اعتمد كتاب بلاغات النساء لابن أبي طاهر البغدادي في رواية الخطبة، للتأكيد على مصادقة المتأخّرين للمتقدّمين على روايتها. وقد مرّ بنا ذكر غيره من أصحاب الدراسات الحديثة كالعقاد في كتابه (فاطمة والفاطميون) وتوفيق أبو علم في كتابه (أهل البيت عليهم السلام) وغيرهما ممن ذكر الخطبة معتمداً على رواية الأوائل.

والآن إلى توثيق المصادر في التراث الشيعي:

ولمّا كانت تلك المصادر كثيرة ومتنوعة فقد اخترت منها نصّاً برواية الطبري الإمامي من أعلام القرن الخامس، حيث ذكر الخطبة بتسعة أسانيد كما سيأتي بيانها، وأشرت إلى نص آخر لمعاصر له وهو الوزير الآبي صاحب (نثر الدر) في المحاضرات حيث ذكر الخطبة في الجزء الرابع ولتوثيق المصدرين نبين للقارئ ما يلي:

١ - (دلائل الإمامة) وقد طبع لأوّل مرة في المطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٦٩هـ وهي طبعة يصح القول معها إنّها بدائية من حيث الإخراج ولكنها سدّت الفراغ في حينها فجزى الله الناشر خيراً وقد ذكرت النص مأخوذاً عنها ثم قارنته مع الطبعة الثانية المحققة المطبوعة كتب عليها بتحقيق قسم الدراسات الإسلامية نشر مؤسسة البعثة بقم ط الأولى سنة ١٤١٣ هـ وهي أيضاً لا تخلو من ضربة لازب في بعض الأخطاء ولكنها خير من الأولى إخراجاً.

وعسى أن يوفّق الله تعالى من يعيد طبع الكتاب مرة أخرى بمزيد من العناية تفوق ما سبق تحقيقاً وتعليقاً وتوثيقاً لرجال الأسانيد وفق الله العاملين انّه ولي التوفيق.

٢ – (نثر الدرّ للآبي) المتوفى سنة٤٢١وقد طبع الكتاب أولاً بالقاهرة ما بين سنتي ١٩٧٨و١٩٩١طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب في سبعة أجزاء.

وطبع ج٧ من هذا الكتاب في تونس الدار التونسية - مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل سنة ١٩٨٣ بتحقيق عثمان بوغانجي وفيه عرض وتقديم كل المجلدات السبعة ثم تحقيق المجلد السابع ومقارنته موضوعاً بالمؤلّفات الأخرى من نوعه).وطبع كاملاً أيضاً في بيروت سنة ٢٠٠٤ ١٤٢٤بتحقيق خالد عبد الغني محفوظ في سبعة أجزاء من منشورات محمّد عليّ بيضون لنشر كتب السنّة والجماعة - دار الكتب العلمية بيروت والخطبة في أول الجزء الرابع في الباب الأول كلام النساء الشرائف. فاطمة ابنة رسول الله عليهاالسلامخطبتها لمّا منعها أبو بكر فدكاً ثم ذكر الخطبة الكبيرة.

المحور الثالث: توثيق الأسانيد

قد يظن البعض أن لا قيمة للإسناد بعد شهرة الحدث شهرة عظيمة لا يسع المنكر إنكارها لاستفاضة النقل والإذعان لآثارها وقد يكون ذلك الظان الخاطئ متمسكاً بمقولة: ربّ مشهور لا أصل له لذلك اعتمدت توثيق الإسناد محوراً من محاور التوثيق لأنّه يرفع إصر التبعة عن صاحب الكتاب ويزيد الثقة بصحّة المسند والمسند إليه وقد شاع لدى المحدّثين قول: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء .

وقد تميّز التاريخ الإسلامي في تسجيل أحداثه أخذا عن الرواة ناهجاً نهج الحديث في ذلك حتى صار الإسناد جزءاً من الخبر وبه صار الباحث يميز الصحيح من السقيم ولا يخلط الحابل بالنابل.

وثمة فائدة كبيرة سيحصل عليها الباحث من خلال معرفة رجال الإسناد فيدرك أنّ الإسناد كما يقوي الحجة يصدق رجاله ويدفع التهمة عنهم بمعرفة حالهم ويعين على فهم النص على حقيقته بملاحظة ضبط الرواة للخبر فهو أيضاً يلقي الضوء على أساس تسجيل الحدث في كشف أسباب النزاعات الدينية والخصومات السياسية ومدى تأثير هوى السلطة على الرواة ومدى تجاوبهم معها وذلك يعرف من معرفة هوياتهم القبلية وأهوائهم الدينية وقد مرّت الإشارة إلى مدرسة الكذب التي شيّد

صرحها معاوية بن أبي سفيان الذي كتب إلى الآفاق ما ذكره المدائني: (ومهما قيل في معاوية ومهما حاول علماء المذهب السلفي المتأخر وبعض أهل السنّة من وضعه في نسق صحابة رسول الله فإنّ الرجل لم يؤمن أبداً بالإسلام ولقد كان يطلق نفثاته على الإسلام كثيراً ولكنّه لم يستطع أكثر من هذا)[1]. وما حديث مساومته مع سمرة بن جندب في جعله تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[2] في ابن ملجم وتفسير ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ في عليّ عليه السلام إلاّ بعض إغوائه وإغرائه لحثالات الرجال ممن لا تلتقي بذكرهم الشفتان إحتقاراً لهم ومن شاء معرفة بعضهم فليرجع إلى شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الأصولي الشافعي الفروع ليقف على أسماء المنحرفين عن عليّ عليه السلام وبعض مروياتهم[3]. إذن فالخبر الخالي عن الإسناد يتهاوى أمام النقد الموضوعي لأنّه مرسل وليس المرسل كالمسند فهذا هو الذي دعاني لأتخذ توثيق الإسناد أحد محاور التوثيق الخمسة.

وقد مرّ في المحور الأول توثيق أصحاب المصادر التي أخذت صور النصوص منها، كما مرّ في المحور الثاني توثيق المصادر من خلال معرفة طبعاتها لما عرى تعدّد الطبعات من السيئات ما عراها وممّا أفاض على

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام/عليّ سامي النشار ٢: ١٨ ـــ ١٩.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) شرح النهج .

الطبعات الأولى من الحسنات ما أعلاها وأغلاها ومنه يعرف جواب ما قد يثيره فضول قاصري العقول فيقال: لماذا كل هذا الاهتمام بهذا الجانب والتأكيد على تعيين طبعاتها؟ فنقول له أيضاً إنّ الخطب الفاطمية في مجموعها تمثل بيان حقبة من تاريخ المسلمين حدثت فيها المفاجأة المؤلمة بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى فكانت ردة وكان انقلاب، وكان ما كان من تفرق المسلمين وتمزق وحدتهم فمثلت تلك الخطب بمجموعها صورة ما حدث من تغيّر في ملامح المجتمع الإسلامي يومئذٍ في خضم المعترك الجدلي بين الإسلام الحقيقي الديني وتمثله الزهراء عليها السلام وكافة أهل البيت عليهم السلام ومن تابعهم وشايعهم، وبين الإسلام السياسي ويمثّله الشيخان ومن انضوى إليهما كما لا تهمل الخطب بمجموعها الفريق الحائر الخاثر والخاسر وهم غالب الأنصار الذين تذبذبت علاقاتهم مع الفريقين المتخاصمين فكانت مواقفهم متناقضة في تذبذبها إلى حد السلب والإيجاب في النصرة والخذلان وهذا ما كشفت عنه الخطب بمجموعها.

وحيث عرفنا أهميتها فلا غرابة من بذل مزيد اهتمام في إثباتها لأنّ المنكرين لجّوا في إنكارها ولا غرابة في فهم موقفهم منها لأنّها تنسف أبراج هياكلهم المزيّفةوتدحر جميع حججهم في مقولاتهم الزائفة والتي عاشت ونمت في ظلٍّ باهت الألوان. ولكن بيان الخطب بصريحه وفصيحه كشف الزيف ودمّر الزائفة ولم تستطع عملية التسجيل الحاكم

بمليخه[1] وصريخه[2] أن يخفي الأمر الواقع في تلك الخصومة الحادة لأنّ أدوات التسجيل التي سجلت الحدث بنصّه وفصّه فذكرت الخطب كانت أقوى بياناً وأفصح لساناً وأحدّ سناناً فلم تغطها غاشية النقول ولا زبارج المنقول فانصاعت مذعنة أدوات التسجيل الحاكم إلى ذكر الخطب غير متأثرة بضبابية الأهواء لأن صرخة الألم كانت أقوى من أن تطوى بجرّة من القلم.

ونحن بقراءة حال الرجال الرواة ستظهر أمامنا شفافية المرآة الصافية والصادقة في نقل الصورة من دون رين أو تضبيب وإذا ما أصاب بعض رواتها من جهالة حال لتعتيم أخفت ضوء المصباح الهادي إلى واقع الحال ولم نقف له على ذكر في كتب الرجال والتراجم، وأحسب أنّ وهم النساخ أو الرواة في تسجيل أسماء ذلك البعض هو الذي سبب لنا معاناة البحث وهذا ما لم تسلم منه كتب السابقين واللاحقين وما كتب معرفة التصحيف والتحريف إلاّ دليل على ذلك مضافاً إلى بلية عصر المطابع التي أصبحت أخطاؤها في كل كتاب ضربة لازب ولا يعني عدم الوقوف على حال أحد في سند مّا أو معرفته معرفة كافية شافية يكون نقصاً من قدر بقية رجاله ومن أحتج باستفاضة النقل عند الخاصة والعامة فقد أتى بما لا تتهاوى عنده النقول إذ لا يغني بذل المزيد من

---

(١) المليخ: الفاسد والضعيف. (قطر المحيط).

(٢) الصريخ: المغيث والمستغيث. (نفس المصدر).

البحث سوى العناء وهذا يقنع المنصف في نفسه وإن لم يزد المنكر إلاّ فساداً ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾[1] فالمطلوب هو حصول الوثوق من الطرق المستفيضة، ولا شك أنه أقوى من حصوله من خبر صحيح واحد .

ثم إن وجود مجهول أو مقدوح فيه لجهالته، لا يستلزم كذب جميع الرواة، بل يكون تعدّد الأسانيد دليلاً على صدقه، قال الحافظ موفق الدين قدامة في أول كتابه (إثبات صفاة العلوّ لله):(وإعلم رحمك الله إنه ليس من شروط صحة التواتر الذي يحصل به اليقين أن يوجد التواتر في جزء واحد، بل متى أتت أخبار كثيرة في معنى واحد من طرق يصدق بعضها بعضاً، ولم يأت ما يكذّبها أو يقدح فيها حتى أستقرّ ذلك في القلوب، وأستيقنته فقد حصل التواتر، وثبت القطع واليقين، فإنا نتيقن وجود حاتم وإن كان لم يرد به خبر واحد مرضي الإسناد لوجود ما ذكرنا، وكذلك عدل عمر وشجاعة علي)[2].

الآن الى المزيد من معرفة الأسانيد حسب تسلسل ورود صور النصوص:

---

(١) الإسراء: ٨٤.

(٢) عن فتح الملك العلي للغماري في المسلك التاسع لإثبات صحة حديث(أنا مدينة العلم وعلي بابها) ط القاهرة.

أسانيد الخطبة الكبيرة في كتاب (دلائل الإمامة) لمحمّد بن جرير الطبري الإمامي من أعلام القرن الخامس الهجري:

لقد أورد الخطبة بتسعة أسانيد تنتهي رواية رجالها إلى أعلام من بني هاشم ، ومن غيرهم ، وهم على ترتيب ما في الكتاب مجملاً:

أ – ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

ب – ج – د – عن زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام.

هـ – عن عبدالله بن الحسن المثنى عن جماعة من أهله.

و – عن أبي جعفر الباقر عن آبائه صلى الله عليه وآله.

ز – عن زيد بن عليّ عن آبائه صلى الله عليه وآله.

ح – عن عوانة (بن الحكم).

ط – عن ابن عائشة (البصري).

ولا مناص للباحث من معرفة هوية رجال الأسانيد التسعة بدءاً من صاحب الكتاب وانتهاءً بآخر السند فنقول:

(السند الأول)

قال صاحب الكتاب: وهو أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري الآملي الإمامي كان وجهاً من وجوه الإمامية وعيناً من عيونهم قال

النجاشي: جليل من أصحابنا كثير العلم حسن الكلام ثقة في الحديث[1] وحسبنا بهذا في تعريفه وتوثيقه وقد روى الخطبة في كتاب دلائل الإمامة[2] فقال في حديث فدك: (حدّثني: (أبو المفضل محمّد بن عبدالله) هذا هو الشيباني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ وقد أدركه النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وذكره في كتابه الرجال وروى عنه بالواسطة رعاية للاحتياط كما أدركه الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وذكره في الفهرست فقال: كثير الرواية حسن الحفظ غير انّه ضعفه جماعة من أصحابنا له كتاب الولادات الطيبة، وله... وغير ذلك أخبرنا بجميع رواياته عنه جماعة من أصحابنا[3] وطريق الشيخ إليه صحيح في مشيخة التهذيب[4].

أقول: وهذا روى الخطبة فقال: (حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني) وهذا هو الحافظ المعروف بابن عقدة الزيدي أمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر[5] وقال: له كتب كثيرة منها... وله كتاب من روى عن فاطمة عليها السلام من أولادها.

---

(١) النجاشي ولمزيد من الإطلاع على ترجمة الطبري المذكور فليرجع إلى المحور الأول.وإلى الذريعة:٢٤١ـ ٢٤٢لشيخنا الحجة المغفور له الشيخ آغا بزرك الطهراني ففيه تحقيقات قيمة فجزاه الله خيراً.

(٢) دلائل الإمامة: ٣٠ ط النجف.

(٣) الفهرست: ٤٠١ برقم ٦١١ تحـ الطباطبائي.

(٤) كما في معجم رجال الحديث ١٦: برقم ١١٢٠.

(٥) قاله الشيخ الطوسي في الفهرست: ٦٨ برقم ٦٨ .

أقول: وطريق الشيخ إلى كتبه ورواياته صحيح وقد ذكره الذهبي في الميزان وحكى عن الدارقطني قوله: أجمع أهل الكوفة انّه لم يروا من زمن ابن مسعود أحفظ من أبي العباس ابن عقدة وقال الدارقطني أيضاً: ابن عقدة يعلم ما عند الناس ولا يعلم الناس ما عنده وأطال الذهبي في ترجمته فقال: مات سنة ٣٣٢ عن أربع وثمانين سنة.

أقول: وهذا روى الخطبة فقال: (حدّثنا أحمد محمّد بن عثمان بن سعيد الزيّات) ولم أقف على ذكر له في كتبنا الرجالية وأظن تصحيفاً وقع في نسبه في محمّد بن عثمان وصوابه عن عثمان وبناءً على هذا فيكون أحمد بن محمّد الذي روى عنه ابن عقدة هو أحمد بن محمّد بن يحيى الحازمي (الخازني)[1] وعثمان بن سعيد الزيّات هو العمري ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الهادي وأصحاب العسكري عليه السلام وقال جليل القدر ثقة وورد في معجم الطبراني حديثه في مسائل[2] وجهها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام عن أشياء من أمر المرؤة وقد أخرجها القضاعي[3] والديلمي في مسند الفردوس والهيثمي[4].

---

(١) كما في معجم رجال الحديث ٢: ٣٣٦ ط الآداب في النجف.

(٢) معجم الطبراني الكبير ٣: ٦٨ ط الموصل.

(٣) مسند الشهاب: ٧٤ و٨٢٦ و٨٢٨.

(٤) مجمع الزوائد ١٠: ٢٨٣.

أقول: وهذا روى الخطبة: (قال: حدّثنا محمّد بن الحسين القصباني (لم أقف فعلاً على من ذكره).

وهذا روى الخطبة: (قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي السكوني) ذكره الشيخ النجاشي فقال: أحمد بن محمّد بن عمرو بن أبي نصر زيد مولى السكون أبو جعفر المعروف بالبزنطي كوفي لقي الرضا وأبا جعفر عليه السلام وكان عظيم المنزلة عندهما... ومات أحمد بن محمّد سنة ٢٢١ هـ...

(أقول): وهذا روى الخطبة عن (أبان بن عثمان الأحمر) وهذا قال فيه النجاشي: أبان بن عثمان الأحمر البجلي مولاهم أصله كوفي كان يسكنها تارة والبصرة تارة وقد أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو عبدالله محمّد بن سلام وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليه السلام له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والردة أخبرنا بها أبو الحسن التميمي قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن فضّال قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله بن زرارة قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن أبان بها...

وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست بنحو ما مرّ وذكر كتبه فقال: وما عُرف عن مصنفاته إلاّ كتابه الذي يجمع المبدأ (المبتدأ) والمبعث والمغازي، والوفاة والسقيفة والردة أخبرنا بهذه الكتب - وهي كتاب واحد -

الشيخ أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان والحسين بن عبيدالله جميعاً عن محمّد بن عمر بن يحيى العلوي ا لحسيني قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد قراءة عليه.

أخبرنا: أحمد بن محمّد بن موسى قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن فضّال قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله بن زرارة قال: حدّثنا محمّد بن أبي نصر عن أبان.

قال عليّ بن الحسن بن فضّال: وحدّثنا إسماعيل بن مهران قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر ومحمد بن سعيد بن أبي نصر جميعاً عن أبان الأحمر...

أقول: وأبان هذا روى الخطبة: (عن أبان بن تغلب الربعي) قال النجاشي: أبان بن تغلب بن رباح أبو سعيد البكري الجريري مولى بني جرير بن عبادة... عظيم المنزلة في أصحابنا لقي عليّ بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبدالله عليه السلام وروى عنهم وكانت له عندهم منزلة وقدم...).

أقول: وله في كتب رجال العامة إطراء حسن[1] ذكره البلاذري قال: روى أبان عن عطية العوفي قال له أبو جعفر عليه السلام: إجلس في مسجد ا

(١) لاحظ ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجراً تجد جمل الثناء عليه في ترجمتها كما تجد الرد على الجوزجاني في حطّه على الكوفيين وبيان معنى التشيع في عُرف المتقدمين ثم في عُرف المتأخرين تحسن المراجعة لمزيد الاستفادة.

لمدينة وأفت الناس فإنّي أحب أن يُرى في شيعتي مثلك. وقال أبو عبدالله عليه السلام – لمّا أتاه نعيه – أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان.

وكان قارئاً من وجوه القرّاء فقيهاً لغوياً سمع من العرب وحكى عنهم. وكان (رحمه الله) مقدّماً في كل فنّ من العلوم في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو وله كتب منها تفسير غريب القرآن وقد استشهدعليه بالشعر هو على نحو ما صنع ابن عباس في مسائل نافع بن الأزرق الخارجي.

وله كتاب الفضائل وكتاب صفّين وغير ذلك وأبان هذا روى الخطبة:

(عن عكرمة) وهذا هو مولى ابن عباس ، ولما كان لابن عباس موليان اسم كل واحد منهما عكرمة ، أحدهما هو المشهور الذي ترجمه ابن حجر[1] وأطال الكلام في ترجمته التي استغرقت عشر صفحات واستعرض فيها أقوال الناس فيه مدحاً وقدحاً وحسب القارئ أن يعرف انّه كان خارجياً يرى رأي نجدة والصفرية من الخوارج وهو الذي أدخله إلى أهل المغرب ومهما قيل عنه من كذبه على مولاه ابن عباس فهو غير متهم في روايته لهذه الخطبة والخطبة الشقشقية فقد رواهما معاً عن مولاه ابن عباس لأنّهما على خلاف هواه ورأيه فهو حين يرويهما نقبل روايته وننبذ رأيه فلنا في المقام حديثه وعليه بدعته كما يقول علماء

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٣ ـــ ٢٧٣.

الدراية فإن كان هو الذي روى الخطبة فهو مقبول . وإن كان هو عكرمة الآخر غير المشهور وكان مستقيماً ، فهو مقبول أيضاً .

(عن ابن عباس) وهذا هو حبر الأمة وترجمان القرآن وشأنه أعلى شأن ويقصر عنه اللسان والبيان وقد وفقت بحمد الله تعالى إلى جمع أخباره وآثاره في موسوعة باسمه صدرت الحلقة الأولى منها في خمسة أجزاء وأرجو التوفيق لأن أدفع بباقي الحلقات في نفس الطريق إن شاء الله تعالى.

وهذا الحبر والبحر (رحمه الله) روى الخطبة عن: (السيّدة زينب بنت أميرالمؤمنين عليه السلام قال أبو الفرج الإصفهاني[1] في حديثه عن هذه العقيلة (والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك فقال: حدّثتني عقيلتنا زينب بنت عليّ...

(السند الثاني)

قال مؤلّف الكتاب – أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري) وقد تقدّمت ترجمته في أوّل السند الأول – : (وأخبرني أبو الحسين محمّد بن هارون بن موسى التلعكبري) ذكره النجاشي في ترجمة أحمد بن محمّد بن الربيع وترحّم عليه فقال:

---

(١) في مقاتل الطالبيين: ٩٥ تحـ صفر ط مصر.

(أحمد بن محمّد بن الربيع الأقرع الكندي له كتاب نوادر أخبرنا أحمد بن عبدالواحد قال: حدّثنا عليّ بن محمّد القرشي قال: حدّثنا عليّ بن الحسن عن أحمد بن محمّد بن الربيع قال أبو الحسين محمّد بن هارون بن موسى (رحمه الله) قال: أبي .

قال أبو عليّ بن همّام: حدثنا عبدالله بن العلاء قال: كان أحمد بن محمّد بن الربيع عالماً بالرجال) أقول: ولا يبعد أن يكون محمّد بن هارون هو الورّاق الذي له عدّة كتب منها: كتاب السقيفة ومهما يكن فهو روى الخطبة عن أبيه.

(قال حدثنا أبي) وهذا قال فيه النجاشي: (كان وجهاً في أصحابنا ثقة معتمداً لا يطعن عليه) وقال فيه الشيخ الطوسي في رجاله: (جليل القدر عظيم المنزلة، واسع الرواية، عديم النظير ثقة)

روى جميع الأصول والمصنّفات مات سنة/ ٣٨٥ أخبرنا عنه جماعة من أصحابنا...

أقول: وهذا روى الخطبة:

(قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني) وهذا هو الحافظ ابن عقدة الزيدي وقد تقدّمت ترجمته في السند الأول..

(قال: حدّثني محمّد بن المفضّل بن إبراهيم بن قيس الأشعري) وقيس هو ابن رمانة والمترجم له يكنى أبا جعفر ثقة له كتب ترجمه النجاشي

وذكر انّ ابن عقدة روى عنه كتابه وقال سيدنا الأستاذ (قدّس سرّه) وروى الشيخ في التهذيب بسنده عن أبي جعفر محمّد بن المفضّل بن إبراهيم الأشعري قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن زياد وهو الوشّاء الخزاز وهو ابن بنت الياس وكان وقف ورجع فقطع... الحديث[1].

أقول:والقائل هو الأستاذ...محمّد بن المفضّل والطريق إليه صحيح... اهـ.

أقول: وهذا روى الخطبة: (قال: حدثنا عليّ بن حسان) ترجم السيّد الأستاذ (قدّس سرّه)[2] عليّ بن حسان وعلي بن حسان بن كثير وعلي بن حسان الواسطي وذكر الإختلاف في حال أصحاب الاسماء وانتهى إلى اشتراك رجلين في اسم عليّ بن حسان وللتمييز بينهما ذكر الذي يروي عن عمه بن كثير) هو الهاشمي المطعون فيه والآخر هو الواسطي وهو الثقة ونبّه في ص ٣٣٢ على انّ عليّ بن حسان الهاشمي وقع في إسناد كامل الزيارات روى عن عمه عبدالرحمن بن كثيرو مولى أبي جعفر عليه السلام وروى عنه الحسن بن عليّ الكوفي الباب٤٣ في أنّ زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم الحديث ٤ ثم قال: ولكنه مع ذلك لا يمكن الحكم بوثاقته لمعارضة شهادة ابن قولويه فيه بشهادة النجاشي وابن الغضائري بضعفه وشهادة ابن فضّال بأنّه كذّاب ثم عاد في ص ٣٣٣ فقال: انّه ظهر ممّا

(١) التهذيب ٤: آخر باب الزيادات من باب الخمس والغنائم الحديث ٤١٧.

(٢) في ج ١١: ٣٢٩ ــ ٣٣٥.

ذكرنا انّ عليّ بن حسان اسم لرجلين أحدهما ثقة وهو الواسطي والآخر لم تثبت وثاقته وهو الهاشمي الذي يروي عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمي ولكنه يناقض ذلك ما ذكره الصدوق من رواية عليّ بن حسان الواسطي عن عمه عبدالرحمن بن كثير[1].

وما ذكره في المشيخة من رواية عليّ بن حسان الواسطي عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمي ولأجل ذلك جزم المجلسي الأول على ما حكى عنه الوحيد (قدّس سرّه) بالاتحاد وأنّ الهاشمي والواسطي رجل واحد.

ثم رأى السيّد الأستاذ (قدس سره) التعدّد وقبول خبر الواسطي ورفض خبر الهاشمي وانتهى إلى التوقف فيما كان الأمر ملتبساً.

وهو تحقيق حقيق بالتصديق لكني وجدت في شرح مشيخة الفقيه[2] ترجمة عليّ بن حسّان الواسطي أبو الحسين القصير المعروف بالمنمسّ عمّر أكثر من مائة سنة روى عن أبي الحسن الرضا وأبي جعفر الجواد عليهما السلام له كتاب روى عنه أحمد بن عبدالله ومحمد بن الحسن الصفّار وغيرهما وهذا ظاهر في الاتحاد لما رواه الصدوق وحكي عن المجلسي. ومهما يكن فعليّ بن حسان روى الخطبة:

---

(١) الفقيه: الجزء الثالث باب معرفة الكبائر التي أوعد الله عليها النار الحديث ١٧٤٥.

(٢) شرح مشيخة الفقيه: ١١٤ للمرحوم السيّد الوالد (قدّس سرّه).

(عن عمّه عبدالرحمن بن كثير) ترجمه النجاشي وذكر غمز الأصحاب فيه وذكر له عدّة كتب منها كتاب فدك... ولّما كان ورد ذكره في كامل الزيارات لابن قولويه في الباب ٤٣ في انّ زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم وكذلك ورد ذكره في تفسير القمي في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[1]. فهو كمن سبقه يمكن تمشية حاله لورود ذكره في الكتابين اللذين ضمن مؤلّفاهما وثاقة من في كتابيهما من الرجال وإن ناقش ذلك سيّدنا الأستاذ (قدس سره) ومهما كان حاله فقد روى الخطبة:

(عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام.

(السند الثالث)

لقد اختصر المؤلّف ذكر السند من أوّله إلى ابن عقدة المتقدم ذكره في السندين السابقين فابتدأ السند الثالث بقوله:

(وقال أبو العباس) وهذا هو ابن عقدة الزيدي كما تقدّم:

(وحدّثنا محمّد بن المفضّل عن إبراهيم الأشعري) وهذا أيضاً تقدم ذكره في السند الثاني

(١) النمل: ٨٥.

(قال: حدّثني أبي) ولم أقف على ذكره مترجماً بما يكشف حاله فعلاً. وقد روى الخطبة:

(قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عمرو بن عثمان الجعفي) وهـذا كـسابقه وقد روى الخطبة

(قال: حدثني أبي) وهو كحال ابنه المتقدم الذكر مجهول الحال فعلاً وهو روى الخطبة :

(عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده عليّ بن الحسين عن عمته زينـب بنت أميرالمؤمنين وغير واحد انّ فاطمـة لّما أجمـع أبـو بكـر عـلى منعهـا فدكاً...

(السند الرابع)

قال المؤلّف: (وحدّثني القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بـن جعفـر (بن مخلد) بن سهل بن حمران الدقّاق) وهذا هـو البـاقرحي مـن مـشايخ الخطيب ترجمه في تاريخه فقال: وكـان صـدوقاً صـحيح الكتـاب حـسن النقل جيد الضبط ومن أهل العلم والمعرفة بالأدب... وكان ينتحـل في الفقه مذهب محمّد بن جرير الطبري... وسمعته يقول: ولدت سنة ٣٠٢ ... توفّى سنة ٤١٠ ودفن ... في مقبرة الخيرزان بقرب قبر أبي حنيفة.

أقول: وترجمه السمعاني بنحو ذلك[1] كما ذكره الذهبي[2] أقول: هذا روى الخطبة:

(قال: حدّثتني أم الفضل خديجة بنت محمّد بن أحمد بن أبي الثلج)

وقد روت الخطبة (قالت: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن أحمد الصفواني) قال صاحب رياض العلماء: انّ جلالة قدر الصفواني هذا وثقته ممّا لا شبهة فيه ونقله أصحاب الرجال وغيره وكان تلميذ الكليني[3]. أقول: وهذا روى الخطبة:

(قال: حدثنا أبو أحمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودي البصري) وهذا شيخ البصرة وأخباريها له أكثر من مائة كتاب في السير والأخبار والفقه وهو ثقة في حديثه[4] توفي بعد ٣٣٠ وهو روى الخطبة

(قال: حدثنا محمّد بن زكريا) وهذا هو الغلاّبي وكان وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة كما قاله النجاشي[5] وهو روى الخطبة

---

(١) أنساب السمعاني ٢: ٥١ ط حيدرآباد.

(٢) تاريخ الإسلام ٢٨: ١٨٥ ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٧ هـ وسير أعلام النبلاء ١٢: ٣٥٣ ط دار الفكر.

(٣) رياض العلماء ٧: ١٦٨.

(٤) أنظر معجم رجال الحديث ١٠: ٣٩.

(٥) رجال النجاشي ذكره في ترجمة دعبل.

(قال: حدثنا جعفر بن محمّد بن عمارة الكندي) لم أقف عليه في كتب رجالنا وهو روى الخطبة

(قال: حدّثني أبي) وهو كسابقه وقد روى الخطبة

(عن الحسن بن صالح بن حي قال: وما رأت عيناي مثله) وهذا من رجال الزيدية وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست وقال: له أصل روينا عن ابن محبوب عن الحسن بن صالح بن حئ وقد ترجمه الذهبي في ميزانه فرجحت كفة إحسانه حيث حكى عن أبي حاتم قوله فيه: ثقة حافظ متقن وعن أبي زرعة قوله: اجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد.

وما حكاه من أقوال الجرح لاتخدش الرجلُ ومنها ما حكاه عن وكيع قال فيه: هو عندي إمام فقيل له: انّه لا يترحم على عثمان فقال: أفترحم أنت على الحجّاج؟!

أقول: وهذا روى الخطبة

(قال: حدّثني رجلان من بني هاشم) لم يذكر اسميهما ولا يبعد أن يكونا هما عبدالله بن الحسن وزيد بن عليّ لأنه معاصر لهما وقد أخذ عنهما وهما ممن رويا الخطبة عن آبائهما

(عن زينب بنت عليّ قالت: لمّا بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منع فدك وانصرف وكيلها عنها لاثت خمارها... الحديث).

(السند الخامس)

وهو يبدأ من الصفواني وقد تقدم ذكره في السند الرابع. قال:

(وحدثني محمّد بن محمّد بن يزيد مولى بني هاشم) لم أقف عليه في كتب رجالنا ويبدو انّ ثمة تصحيف في اسم محمّد فهو أحمد كما في شرح النهج كما في سند الجوهري لرواية الخطبة وهو روى الخطبة

(قال: حدثني عبدالله بن محمّد بن سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن) وهذا السيّد الشريف روى الحديث عن أبيه عن جدّه وتجد في خصال الصدوق[1] ومعاني الأخبار له أيضا[2] والأمالي أيضاً[3] وأمالي المفيد[4] بعض حديثه وهو ممنّ روى الخطبة (عن أبيه)

(عن عبدالله بن الحسن بن الحسن) وهذا هو الملقب بالمحض شيخ الطالبيين في عصره ذكره الطوسي في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وترضّى عنه وهو روى الخطبة عن جماعة من أهله وأمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام ممّن تروي الخطبة عن عمتها زينب عليها السلام، كما انّ أبوه الحسن المثنى هو أيضاً يرويها عن أبيه الإمام الحسن السبط – وسيأتي مزيد بيان عن المحض وأبيه.

---

(١) الخصال ٢: ١٧٣، ط الحيدرية.

(٢) معاني الأخبار ص ٣٥٤. ط الحيدرية.

(٣) الأمالي ص ١٤٣. ط الحيدرية.

(٤) المجلس الخامس.

(السند السادس)

وهو كسابقه يبدأ من الصفواني الذي تقدم ذكره في السند الرابع والخامس قال: (قال: وحدثني أبي) وهو أحمد بن عبدالله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمّال وهو ممّن، روى الخطبة

(عن عثمان) وفي شرح النهج ابن عمران العجيفي ولم أقف على حاله في كتب رجالنا

(قال: حدثنا نايل بن نجيح) لم تذكره كتب رجالنا وهو مذكور في كتب رجال غيرنا فقد ذكره ابن حجر[1] وحكى توثيقه عن أبي حاتم وعن ابن عدي وقال: ثقة كان أصحابنا يكتبون عنه ثم ذكر تجريحه بما لم يفسّر والجرح غير المفسّر غير مقبول وهذا ممّن روى الخطبة الكبيرة

(عن عمرو بن شمر) الجعفي من أصحاب الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام وحكى سيّدنا الاستاذ اعتماد الشيخ المفيد على رواياته[2]. وهو ممّن روى الخطبة

(عن جابر الجعفي) هو ابن يزيد أبو عبدالله ثقة له أصل من أصحاب الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام وثقه الشيخ المفيد (رحمه الله).

---

(١) تهذيب التهذيب ٨: ٤٧ ط دار الفكر.

(٢) معجم رجال الحديث ١٣: ٨٩٢٤.

وحكى ابن حجر عن سفيان قوله: ما رأيت أورع في الحديث منه[1]. وعن شعبة: جابر صدوق في الحديث وعنه أيضاً كان جابر إذا حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس ثم حكى ابن حجر أقوال الجارحين لأنّه كان يؤمن بالرجعة ولأنّه كان عنده أحاديث كثيرة منها في المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) وبالتالي تشيّعه؟!

وجابر هذا ممّن روى الخطبة

(عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام وذكر الحديث.

(السند السابع)

ويبدأ كسوابقه من الصفواني. قال الصفواني: وحدثنا عبدالله بن الضحاك) وفي شرح النهج (محمّد بن الضحاك) ولم أقف على حاله فعلاً وهو ممّن روى الخطبة (قال حدثنا هشام بن محمّد) هو الكلبي المشهور بالفضل والعلم وكان يختص مذهبنا وكان أبو عبد الله ـ الصادق عليه السلام ـ يقرّبه ويدنيه ويبسطه وله كتب كثيرة كذا قاله النجاشي.

وله تراجم في مصادر التراث السنّي لا تخلو من تجريح وهو ممّن روى الخطبة: (عن أبيه) وهو أبو النضر محمّد بن السائب بن بشر الكلبي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وقد روى الخطبة هو

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٤٧.

(وعوانة) وفي شرح النهج (عوانة بن الحكم وهو أبو الحكم الكوفي الضرير وصفوه بأنّه كان عالماً بالأخبار والآثار ثقة وكان عثمانياً وكان يضع أخباراً لبني أمية وله كتاب (سير معاوية وبني أمية) وقد روى عنه هشام بن محمّد الكلبي[1].

(السند الثامن)

ويبدأ من الصفواني أيضاً وقد تقدّم ذكره مكرراً هكذا. (قال الصفواني: وحدّثنا ابن عائشة ببعضه) وابن عائشة هذا هو عبيدالله بن محمّد بن حفص التيمي – نسبة إلى عائشة بنت طلحة احدى جداته – وهي التي سيأتي ذكرها في الخطبة الثالثة – وقد وثقه ابن حجر في تقريب التهذيب وقال: رُمي بالقدر مات سنة ٢٢٨ وجاء في سير أعلام النبلاء: انّه روى عنه محمّد بن زكريا الغلابي حديث فدك وهو رواه عن أبيه عن عمه[2].

(السند التاسع)

(وحدثنا العباس بن بكار) هذا هو الضبي وله رواية في الفقيه[3] ولم يذكر في كتبنا عن حاله شيئاً. وهو روى الخطبة ، (قال: حدثنا حرب بن ميمون) وحاله كسابقه عندنا وهو روى الخطبة (عن زيد بن عليّ عن

(١) معجم الأدباء ١٦: ١٢٤، ولسان الميزان لابن حجر ٦: ٢١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠: ٥٦٤وأنظر شرح النهج أيضاً ١٦: ٢١٦.

(٣) الفقيه ٤: ٨٩٢.

آبائه عليهم السلام قالوا: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك وانصراف عاملها لاثت خمارها ثم أقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها... إلى آخر الخطبة. وبهذا انتهى الكلام عن أسانيد الطبري الإمامي لروايته الخطبة الكبيرة

أسانيد الجوهري

أسانيد أبي بكر الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣ في كتابه (السقيفة وفدك) . فقد روى الخطبة بثلاثة أسانيد توثيقاً لروايته وقد مرّت صورة النص فيما سبق نقلها عن ابن أبي الحديد الذي قال في شرح النهج توثيقاً لما ينقله (فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم لأنّا مشترطون على أنفسنا ألاّ نحفل بذلك وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في السقيفة وفدك وما وقع من الاختلاف والإضطراب عقب وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدّثون ورووا عنه مصنفاته) أمّا الأسانيد فهي كما يلي:

(السند الأول)

قال أبو بكر: فحدّثني محمّد بن زكريا – هذا هو الغلاّبي وقد مرّ ذكره في أسانيد ابن جرير الإمامي عن الصفواني فراجع السند الرابع – قال: حدثني جعفر بن محمّد بن عمارة الكندي وساق السند بعين ما مرّ في

السند الرابع المشار إليه آنفاً عن الحسن بن صالح بن حي وإلى آخر ما قاله الحسن ثم قال الحسن: وقال جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه) وقد مرّ تعريف رجاله.

(السند الثاني)

قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجيفي عن نائل بن نجيح عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام.

أقول: وهذا هو عين السند السادس من أسانيد ابن جرير الإمامي في دلائل الإمامة وقد رواه عن الصفواني عن أبيه عن عثمان إلى آخر السند وقد مرّ تعريف رجاله.

(السند الثالث)

قال أبو بكر: وحدّثني أحمد بن محمّد بن يزيد عن عبدالله بن محمّد بن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن حسن بن الحسن وهذا هو عين السند الخامس من أسانيد ابن جرير الإمامي في دلائل الإمامة وقد رواه عن الصفواني عن محمّد بن محمّد بن يزيد مولى بني هاشم وهذا هو الذي روى عنه أبو بكر باسم أحمد بن محمّد... وقد مرّ تعريف رجاله.

ثم قال أبو بكر: قالوا جميعاً: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك...

إسناد ابن أبي طاهر في بلاغات النساء

لقد روى ابن أبي طاهر في كتاب بلاغات النساء فصولاً من الخطبة بأسانيده الخاصة وساق في توثيق روايته فقال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع وانّه من كلام أبي العيناء (الخبر منسوق البلاغة على الكلام).

فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أبناءهم وقد حدثنيه أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء.

وقد حدّث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع عبدالله بن الحسن يذكره عن أبيه.

ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة عليها السلام فينكرونه، وهم يروون من كلام عائشة عن موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام فيحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟ ثم ذكر الحديث قال: لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فدك وبلغ ذاك فاطمة عليها السلام لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصارو فنيطت دونها ملاءة ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء وارتجّ المجلس فأمهلت حتى سكن

نشيج القوم وهدأت فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ فعاد القوم في بكائهم فلمّا أمسكوا عادت في كلامها فقالت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١) ثم ساق الخطبة بهذا السند ثم قال:

حدثني جعفر بن محمّد عن رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة قال: حدثني أبي قال: أخبرنا موسى بن عيسى قال: أخبرنا عبدالله بن يونس قال: أخبرنا جعفر الأحمر عن زيد بن عليّ عليه السلام عن عمته زينب بنت الحسين عليها السلام (٢) قالت: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وخرجت في حشدة من نسائها ولمّة من قومها تجرّ أدراعها ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ شيئاً حتى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء فلمّا سكنت فورتهم قالت:

أبدأ بحمد الله - ثم أسبلت بينها وبينهم سجفاً - ثم قالت: الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها (ثم ساق الخطبة إلى آخرها وهي أجمع مما في الرواية السابقة ثم قال:

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) هكذا في المصدر وهو وهم من الناسخ إذ لم يكن للحسين عليه السلام بنت اسمها زينب وان زيد بن عليّ لم يدرك زينب بنت عليّ عليها السلام فالصحيح زيد بن عليّ عن أبيه عن زينب بنت عليّ عليها السلام .

قال أبو الفضل: وقد ذكر قوم إنّ أبا العيناء ادّعى هذا الكلام وقد رواه قوم وصحّحوه وكتبناه على ما فيه.

وحدّثني عبدالله بن أحمد العبدي[1] عن الحسين بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع أبا بكر يومئذٍ يقول لفاطمة عليها السلام يا بنية رسول الله (إلى آخر ما مرّ نقله في صورة النص ثم قال): ابن أبي طاهر: وما وجدت هذا الحديث على التمام إلاّ عند أبي هفّان.

أسانيد السيد المرتضى رحمه الله المتوفى سنة ٤٣٦ في كتابه (الشافي)

قال قدس سره: وقد روى أكثر الرواة الذين لا يتهمون بتشيع ولا عصبية فيه من كلامها عليها السلام في تلك الحال وبعد انصرافها يدلّ على ما ذكرناه.

(أخبرنا جماعة عن أبي عبدالله محمّد بن عمران المرزباني)

(١) هذا هو أبو هفّان عبدالله بن أحمد بن حرب بن مهزم البصري النحوي الأديب الشاعر المشهور كذا ذكره شيخنا في الذريعة ١: ١٩٥ وحكى عن الشيخ النجاشي في رجاله: ١٥١ قائلاً بعد اسمه ونسبه: مشهور في أصحابنا وله شعر في المذهب، وبني مهزم بيت كبير بالبصرة في عبد القيس شيعة، وذكر له كتاب شعر أبي طالب وأخباره وكتاب طبقات الشعراء وكتاب أشعار عبدالقيس وأخبارها...
ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٩: ٣٧٠ وقال:.... وكان له محل كبير في الأدب، وترجمه ياقوت في معجم الأدباء ١٢: ٥٤ وقال: مات سنة ١٩٥ هـ، بينما ذكر ابن حجر في لسان الميزان وفاته سنة ٢٥٧ وهو الصحيح، وترجمه آخرون كالصفدي في الوافي، وابن حجر في لسان الميزان، وفي كتب رجالنا جماعة كالنجاشي والمجلسي والبحراني والمامقاني وسيّدنا الأستاذ وغيرهم.

أقول: هذا من مشايخ المفيد المتوفّى سنة ٤١٣ هـ الذي هو استاد المرتضى وقد أكثر النقل عنه في الأمالي وكان يعدّ من محاسن الدنيا صادق اللهجة ثقة في الحديث واسع المعرفة مائلاً إلى التشيع كما في ترجمته عند ابن خلكان قال: وهو أول من جمع شعر يزيد بن معاوية؟ وله كتب كثيرة توفي سنة ٣٨٤ هـ وهو روى الخطبة(١)

(قال حدثني محمّد بن أحمد الكاتب) ذكره ابن خلكان في ترجمة يحيي بن مندة وقال: سمع منه أبو طاهر محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبدالرحيم الكاتب(٢)... وإذا عرفنا انّ ابن مندة هو - كما قال ابن خلكان - محدّث ابن محدّث ابن محدّث ابن محدّث وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظاً فاضلاً مكثراً صدوقاً... فإذا عرفنا ابن مندة بما وصف لا نشك في انّه لا يروي عمّن هبّ ودبّ بل يأخذ عمّن هو أهل للأخذ عنه ومنهم شيخه محمّد بن أحمد الكاتب هذا وهو يروي الخطبة:

(١) ترجم للمرزباني كثيرون منهم كحالة في معجم المؤلفين ١١/ ٩٧ ـ ٩٨ وقال: كاتب أخباري، راوية للآداب كثير السماع... من تصانيفه الكثيرة... فذكر جملة منها، وأعقبها بقائمة بأسماء المصادر في ترجمة وكان منها هدية العارفين ٢ / ٥٤ ولدى مراجعته وجدت فيه ذكر ٤٧ كتابا منها (كتاب الفصل في البيان والفصاحة) ولا يبعد أن تكون الخطبة فيه لقرب أسم الكتاب من بيان الخطبة، وربما كان كتابه الآخر المرشد في أخبار المتكلمين) لأنه قريب من موضوع الخطبة ومهما يكن اسم الكتاب فإن رواية الشريف المرتضى(قدس سره) عن جماعة عنه كافية في صحة الرواية.

(٢) ٦: ١٦٩.

(قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي) أبو جعفر المعروف بـأبي عصيدة تولى تأديب المعتزّ وقال ابن النديم: كان مؤدب المنتـصر أورده الذهبي في ترجمة الأصمعي حديثاً منكراً وقال: أحمد بن عبيد ليس بعمدة إلاّ أنّ ابن عدي قال: هو عنـدي مـن أهـل الـصدق وروى أبـو داود في المسند عن أحمد بن عبيد عن محمّد بن سعد كلاماً فقيل هو هذا. (أقـول) ولننظر ما هو ذلك الحديث المنكر؟

قال الذهبي في ترجمة الأصمعي: وقال الأزدي ضعيف الحديث وروى له أحمد بن عبيد بن ناصح عن الأصمعي عن ابن عون عن محمّد بـن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ لمّا كفّن زُرّ عليه قميصه وهـذا حـديث منكـر وقـد ثبت أنّه عليه السلام كفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص فأحمد بن عبدالله (كذا في طبعة الهند سنة ١٣٠٨ هـ) والصواب عبيد لـيس بعمـدة وقـد روى الحسين الكوكبي عن أحمد بن عبيد قال: سئل أبو زيد الأنصاري عـن أبي عبيدة والأصمعي فقال: كذّابان وسئلا عنه فقال: ما شـئت مـن عفـاف وتقوى. وهذا يروي الخطبة

(قال: حدثنا الزيّادي) هو عبدالله بن أبي إسـحاق الحـضرمي النحـوي البصري توفي سنة ١٢٩ هـ ذكره ابن حجر[1] وحكى عن ابن حبان ذكره له في الثقات وهو روى الخطبة

---

(١) تهذيب التهذيب ٥: ١٤٨.

(قال: حدثنا الشرقي بن القطامي) - كذا في الطبعة الحجرية والصواب الشرقي بن قطامي - ترجمه الخطيب[1] وقال: كان عالماً بالنسب وافر الأدب ضم المنصور إليه المهدي فيأخذ من أدبه وترجمه الذهبي وحكى تضعيفه عن جماعة إلاّ انه ختم ترجمته بما قاله الخطيب وقال: اسمه الوليد بن الحصين[2].

وروى الخطبة:(عن محمّد بن إسحاق) وهذا من أوائل مدوني السيرة والتاريخ وعده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وترجمه ابن خلكان وقال: وكان ثبتاً في الحديث عند أكابر العلماء وأمّا في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيهما... وقال سفيان بن عيينة: ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحاق في حديثه وقال شعبة بن الحجّاج: محمّد بن إسحاق أميرالمؤمنين- يعني في الحديث- توفّى ببغداد سنة ١٥١ هـ

وهذا روى الخطبة: (قال: حدثنا صالح بن كيسان) المدني ترجمه الذهبي وقال: أحد الثقات العلماء رمي بالقدر ولم يصح ذلك عنه[3].

وفي معجم رجال الحديث للسيّد الأستاذ عده من أصحاب السجاد عليه السلام وأنّه مجهول.

---

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٧٩.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٩٩ ط الهند.

(٣) ميزان الاعتدال .

وهذا روى الخطبة: (عن عروة) هو ابن الزبير بن العوام أثنى عليه مترجموه من العامة مع أنّه معدود في المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام وله مع ابن عباس ما ينبئ عن نُصبه وحدّث عنه ابنه يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه وقال لي مرة: يا بني والله ما أحجم الناس عنه إلاّ طلباً للدنيا... قال يحيى: فكنت أعجب من وصفه إيّاه بما وصفه به ومن عيبه له وانحرافه عنه[1] وحسبنا بهذا شاهداً من أهله فهو غير متهم في قوله كما انّ أباه غير متهم في روايته الخطبة وتعد روايته توثيقاً لها لأنّها في غير صالحه وهو يرويها:

(عن عائشة) فهي إحدى أمهات المؤمنين وكانت رأس أحد الحزبين من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ كنّ حزبين كما في البخاري في كتابه الهبة عنها قالت: انّ نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنّ حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2] ومن المعلوم أن تلكم البواقي هنّ: زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويربة بنت الحارث المصطلقية وأُم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية.

---

(١) شرح النهج ٤: ١٠٢.

(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي ١: ١٤٨ ط دار الكتب العربية الكبرى بمصر سنة ١٢٣٥ .

وكان يقال: لو كان أبناء أبي بكر كبناته لعزّ على عمر نيل الخلافة لأنّ عائشة صاحبة يوم الجمل وأسماء هي التي حضّت ابنها عبدالله بن الزبير على صدق القتال[1].

فرواية عائشة للخطبة مع العلم بمواقفها المعروفة المتشنجة مع أهل البيت عليهم السلام وخاصة مع عليّ وفاطمة عليهما السلام دليل صحّة الرواية من خلال هذه الرؤية خصوصاً والسند إلى روايتها ليس في رجاله من يتهم بالوضع عليها في هذا المقام.

هذا هو السند الأول الذي رواه المرزباني وله سند آخر وهو كما يلي:

قال المرزباني: وحدثني أبو بكر محمّد بن أحمد المكي) هكذا ورد اسمه في النسخة الحجرية من مطبوعة الشافي للشريف المرتضى (رحمه الله) ولكن ثمة تصحيف وقع فيه والصحيح هو: أحمد بن محمّد المكي وهذا ترجمه الخطيب البغدادي فقال: (أحمد بن محمّد بن عيسى بن خالد أبو بكر المعروف بالمكي كان ينزل بين السورين[2]...

وحدّث عن أبي العيناء محمّد بن القاسم... وروى عنه... والمرزباني ثم حكى عن الدارقطني قوله فيه: لا بأس به مات سنة ٣٢٢.

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي: ٢٩٤.

(٢) تاريخ بغداد ٥: ٦٤.

وهذا روى الخطبة: (قال: حدثنا محمّد بن القاسم اليمامي أبو العيناء) البصري وهذا هو الراوية الشهير الأديب الماهر من ظرفاء الأذكياء كان حاضر النكتة سريع الجواب توفي بالبصرة سنة ٢٨٢ وقيل غير ذلك ويبدو أنّ روايته للخطبة جلبت عليه تهمة الرفض حتى جرى له مع المتوكل في ذلك ما رواه ياقوت في ترجمة إبراهيم بن سعدان[1]

قال: وحدّث المرزباني عن الصولي عن أبي العيناء قال: قال لي المتوكل: بلغني أنّك رافضي فقلت: يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ومنشئي مسجد جامعها وأستاذي الأصمعي وجيراني باهلة؟

وليس يخلو الناس من طلب دين أو دنيا فإن أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخّروا وتأخير من قدّموا وإن أرادوا دنياً فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين لا دين إلاّ بك ولا دنيا إلاّ معك أبوك مستنزل الغيث[2] وفي يديك خزائن الأرض وأنا مولاك.

فقال: انّ ابن سعدان زعم ذلك فيك فقلت: ومن ابن سعدان؟ والله ما يفرّق ذلك بين الإمام والمأموم والتابع والمتبوع إنّما ذلك حامل درّة ومعلّم صبية وآخذ على كتاب الله أجرة.

فقال: لا تفعل لأنّه مؤدّب المؤيد.

---

(١) معجم الأدباء ١: ١٥٣ ط دار المأمون.

(٢) يشير إلى استسقاه عمر بالعباس عام الرمادة وهو سنة ١٧ من الهجرة.

فقلت: يا أميرالمؤمنين إنّه لم يؤدّبه حسبة وإنّما أدّبه بأجرة فإذا أعطيته حقّه فقد قضيت ذمامه .

فقام ابن سعدان فقال: يا أبا العيناء لا والله ما صدق أميرالمؤمنين في شئ ممّا حكاه عنّي ثم أقبل على المتوكل فقال: أيّ شئ أسهل عليك يا أمير المؤمنين من أن ينقضي مجلسك على ما تحبّ ثم يخرج هذا فتقطعني قال: فضحك المتوكل.

وقد روى الخبر الصفدي في الوافي بالوفيات أيضاً.

وهذا الخبر وإن ذكره من ذكره في سياق سرعة جواب أبي العيناء وجرأته وهو كذلك إلاّ أنّه ينمّ عن أنّ المتوكل الذي كان يقتل الناس بتهمة الرفض ولا يبعد أنّه قد بلغه عن أبي العيناء ما يشمّ منه رائحة الرفض لروايته الخطبة مثلاً ومهما يكن فإنّ أبا العيناء روى الخطبة:

(قال: حدّثنا ابن عائشة) هو عبيدالله بن محمّد بن حفص التيمي نسبة إلى عائشة بنت طلحة وهي من جدّاته وثقه ابن حجر في التقريب جدا وقال: ورمي بالقدر ولم يثبت وهذا كان من أهل البصرة فقدم بغداد وحدّث بها ثم عاد إلى البصرة وكان أديباً عارفاً بأيّام الناس مات سنة ٢٢٨ أو ٢٨٢ قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبلت فاطمة عليها السلام في لمّة من حفدتها ونسائها...

أقول: لما كان الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ذكر الخطبة بنفس ما تقدّم من سند الشافي فلا حاجة إلى إعادة ذكر أسانيده.

تعقيب على التكذيب:

قال الشريف المرتضى قدس سره: وأخبرنا جماعة عن أبي عبيدالله بن المرزباني قال: حدّثني عليّ بن هارون قال: حدثني عبدالله بن أحمد بن أبي طاهر عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين زيد (بن عليّ بن الحسين بن زيد) بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك وقلت: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه موضوع وأنّه من كلام أبي العيناء لأنّ الكلام منسوق البلاغة) فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أبناءهم.

وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء وقد حدّث به الحسين بن علوان عن عطية العوفي انّه سمع عبدالله بن الحسن يذكره عن أبيه.

ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة عليها السلام فينكرونه وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام فيحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه.

أقول: فالآن إلى معرفة من ورد ذكرهم في كلام أبي الحسين زيد وهم:

الحسين بن علوان: وهذا هو الكلبي عامي ثقة ذكره الطوسي في الفهرست وقال له كتاب وصحح سيّدنا الأستاذ طريق الشيخ إليه[1].

(عن عطية العوفي) هو عطية بن سعد بن صفادة العوفي الكوفي خرج مع ابن الأشعث فكتب الحجّاج إلى محمّد بن القاسم الثقفي: ادع عطية فإنّ سبّ عليّ بن أبي طالب وإلّا فاضربه أربعمائة سوط واحلق رأسه ولحيته فاستدعاه فأبى أن يسبّ فامضى حكم الحجّاج فيه ثم خرج إلى خراسان فلم يزل بها حتى ولي عمر بن هبيرة العراق فقدمها فلم يزل بها إلى أن توفي سنة ١١١ أو ١٢٧ هـ[2] وقد روى الخطبة عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أبو محمّد تابعي من أهل المدينة أمه فاطمة بنت الحسين بن عليّ عليه السلام كان من العبّاد وله شرف وعارضة وهيبة توفي في حبس المنصور بالهاشمية سنة ١٤٥ هـ قبل مقتل ابنه محمّد النفس الزكية بأشهر[3].

وقد روى الخطبة عن أبيه: الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ويعرف بالحسن المثنّى قال المفيد: انّه كان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً ولم يدرك زمان الصادق عليه السلام كان يلي صدقات أمير المؤمنين عليه السلام وقد زوّجه

(١) معجم رجال الحديث ٦: الرقم ٣٥٠٠.

(٢) ترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧: ٢٢٤ ــ ٢٢٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ١٨٦.

عمه الحسين ابنته فاطمة عليها السلام وقد خرج معه إلى الطف فجرح وأرتث بجراحته فانتزعه أسماء بن خارجة من بين الأسرى فقال عمر بن سعد (لعنه الله) دعوا لأبي حسان ابن أخته ومضى الحسن ولم يدّع الإمامة ولا ادّعاها له مدّع وردت ترجمته في كثير من المصادر منها مقاتل الطالبيين وعمدة الطالب وغيرهما.

وقد روى الخطبة عن أبيه الإمام الحسن السبط الزكي سلام الله عليه.

وقفة صارخة للسيّد ابن طاووس رحمه الله عند الخطبة

روى السيد ابن طاووس رحمه الله في كتابه الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف الخطبة بإسناد خاص من العامة ولم يرد ذكره من قبل فنحن نذكره وله تعقيب عليه لا يخلو من محاكمة صارخة نفثت بها حمية ذلك العلوي قال رحمه الله[1]: ومن طرائف ما رووه في حضورها بنفسها عند أبي بكر وتألمها وطلبها لحقّها ما ذكره الشيخ أسعد بن سفروه في كتاب الفائق عن الأربعين عن الشيخ المعظم عندهم الحافظ الثقة بينهم أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصفهاني في كتابه المناقب قال: أخبرنا إسحاق بن عبدالله بن إبراهيم قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال: حدثنا الزيّادي محمّد بن زياد قال: حدثنا شرقي بن قطامي عن صالح بن

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ١: ٣٧٩ ط الخيّام في قم سنة ١٣٩٩ هـ.

كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة انّها قالت: لمّا بلغ فاطمة انّ أبا بكر قد أظهر منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء من قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة فجلست ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس ثم أمهلت هنيئة حتى سكنت فورتهم افتتحت كلامها بحمد الله وأثنت عليه ثم قالت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون آباءكم وأنا ابنته دون نساءكم وأخوه ابن عمي دون رجالكم فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم وساق الخطبة إلى قوله: ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم فقد

ثم قال السيد: وفي بعض الروايات المشار إليه زيادة هذه ألفاظها:

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟إذ يقول الله تعالى:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[1] وقال فيما اقتص من خبر يحيى وزكريا إذ قال:﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ

(١) النمل: ١٦.

رَضِيّاً﴾[1] وقال: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[2] وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[3] ثم عطفت على قبر أبيها وبكت وتمثلت بقول صفية بنت أثاثة وقيل: أنابة:

وكان جبريل بالآيات | فقد فقدت وكل الخير
وكنت بدراً ونوراً يستضاء | عليك تنزل من ذي
تجهمتنا رجال واستُخِفّ | لمّا فُقدت وكل الإرث
أبدت رجال لنا فحوى | لمّا مضيت وحالت
إنّا رزئنا بما لم يرز ذو شجن | من البرية لا عجمٌ ولا
وسوف نبكيك ما عشنا | منّا العيون بتهمال لها

(قال عبد المحمود) - وهو الاسم الذي اختاره السيد لنفسه يومئذٍ لظروفه الخاصة فكنّى عن نفسه بذلك فقالَ: اُنظر رحمك الله وفكّر فيما قد رووه عن رجالهم وثقاتهم من هذا التألّم العظيم من فاطمة عليها السلام وما تقدّم من روايتهم له في صحاحهم من هجرانها لأبي بكر ستة أشهر حتى ماتت فهل ترى هذا حديث من كان عندها شبهة في أنّهم ظلموها عمداً وقصداً؟ وهل ترى هذا الكلام منها كلام من قد قبلت لهم عذراً؟

وهل ترى هذا حديث من لا يعرف صحّة دعواها وثبوت حجتها؟

(١) مريم: ٤ ــ ٦.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) النساء: ١١.

وهل كان يحسن أن يسمع مثل هذا الكلام منها وتمنع ممّا طلبت أو العوض عنه؟

ولو كانت قد وفدت بهذا الكلام والاسترحام على أعظم ملوك الكفّار أما كان تشهد العقول انّه كان يرفع شأنها ويشرف مقامها ويحسن جائزتها؟

أفيليق بمسلم أن يكون جواب هذا الكلام منعها وسوء معاملتها وتهوين حضورها وخطابها والقساوة عليها وترك التلطف بها على كل حال؟ ما يقولون لو أن محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أباها رآها وهي تبكي وتقول مثل هذا الكلام؟ أكان يغضب لغضبها كما رووه في صحاحهم؟ أو كان يرضى عنهم؟

إنّها تشهد العقول أنّه كان يشقّ عليه غضبها ويهجرهم بهجرانها ويستعظم إقدامهم على تكذيبهم لها وظلمها وكسرها وإسقاط منزلتها فاختر لنفسك أيّها المشفق على نفسه هل توافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ويكون لك فيه أسوة حسنة؟ أو تكون في زمرة من أغضبها وأغضبه؟

(أقول) ولكلامه هذا بقية نافعة تحسن مراجعتها لمن شاء المزيد من كلامه المفيد.

توثيق إسناد ابن طاووس رحمه الله

لقد مرّ بنا أنّ السيد روى الخطبة عن الشيخ أسعد بن سقروة نقلاً عن كتابه الفائق. فروايته وجادة على مصطلح أهل الدراية حيث هو صريح نقله من كتاب الفائق فمن هذا الشيخ؟ وأين كتابه؟

قال شيخنا الحجة الرازي رحمه الله[1]:

(الفائق على الأربعين في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام أو كتاب الفائق لأبي السعادات أسعد بن عبدالقاهر بن سفرويه الاصفهاني[2] قال السيّد ابن طاووس في الطرائف: انّ فيه نصوص صريحة من النبيّ صلى الله عليه وآله بالخلافة لعليّ ومناقب جليلة رأيت نسخته بالخزانة (الغروية) في مشهد عليّ عليه السلام وأبو السعادات هذا من مشايخ ابن طاووس يروي في سنة ٦٣٥ هـ.

وجاء في رياض العلماء[3]: الشيخ أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الاصفهاني أبو السعادات كان عالماً فاضلاً محققاً له كتب منها كتاب رشح الولاء في شرح الدعاء وكتاب توجيه السؤالات في حل الإشكالات وكتاب جامع الدلائل ومجمع الفضائل وغير ذلك.

يروي عنه عليّ بن موسى بن طاووس وقرأ عنده المحقق نصيرالدين الطوسي وميثم بن عليّ البحراني.

(١) الذريعة ١٦: ٩٠ ط دانشكاه طهران سنة ١٣٨٨ هـ.

(٢) كما في بعض النسخ ولعلّه شقروة وهو اسم جده أو لقبه.

(٣) رياض العلماء ١: ٨١.

أقول - والقائل هو صاحب الرياض - قال السيد ابن طاووس في كتاب اليقين في اثبات حديث ينقله عن كتاب تفسير محمّد بن ماهيار ما هذا لفظه وهذا الكتاب أرويه بعدة طرق منها عن الشيخ الفاضل أسعد بن عبدالقاهر المعروف جده بسفرويه الاصفهاني حدثني بذلك لمّا ورد إلى بغداد في صفر سنة ٦٣٥ بداري بالجانب الغربي من بغداد التي أنعم بها علينا الخليفة المستنصر...

فهذا روى الخطبة وكتابه الفائق نقلاً عن رواية الحافظ ابن مردويه في كتابه المناقب فمن هو ابن مردويه وما هو كتابه؟

أمّا ابن مردويه فهو (الحافظ المجوّد العلاّمة محدّث أصبهان كان من فرسان الحديث فهما يقظاً متقنا كثير الحديث جداً ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ) هكذا قال عنه الذهبي(١) وحكى عن أبي بكر الذكواني الأصبهاني قوله: (هو أكبر من أن ندلّ عليه وعلى فضله وعمله وسيره وأشهر بالكثرة والثقة من أن يوصف حديثه).

وأمّا عن كتابه المناقب فهو كما عرّفه السيد ابن طاووس في كتابه الطرائف: (ولقد تصفحت شيئاً يسيراً من كتاب أبي بكر بن مردويه - وهو من أعيان المذاهب الأربعة - فوجدت فيه/ ١٨٢) منقبة رواها عن النبيّ صلى الله عليه وآله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام... ثم ظفرت بأصل لكتاب المناقب لابن مردويه فوجدت ثلاثة - كذا - مجلدات وهي عندي).

(١) سير أعلام النبلاء ١٧: ٣٠٨.

أسانيد الخطبة الصغيرة

(أولاً)

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: وحدّثنا محمّد بن زكريا قال: حدثنا محمّد بن عبدالرحمن المهلبي عن عبدالله بن حمّاد بن سليمان عن أبيه عن عبدالله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام قالت: لمّا اشتد بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: كيف أصبحت يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قالت: والله أصبحت عائفة لدنياكم قالية لرجالكم... الخ[1].

نظرة إلى رجال السند:

لقد روى أبو بكر الجوهري هذه الخطبة عن محمّد بن زكريا الغلابي وقد تقدم ذكره وحاله في أول أسانيد الجوهري والغلابي روى هذه الخطبة

قال: حدثنا محمّد بن عبدالرحمن المهلبي

وهو عن عبدالله بن حمّاد بن سليمان

عن أبيه

---

(١) كتاب السقيفة بتوسط شرح النهج للمعتزلي ١٦: .

عن عبدالله بن الحسن بن الحسين عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام...

ونجد في ثاني السندين رواية المؤلّف منه إلى محمّد بن زكريا الغلابي قد مرّ ذكرهم في السند الرابع من أسانيد الخطبة الكبيرة والغلابي روى هذه الخطبة عن محمّد بن عبدالرحمن المهلبي إلى آخر ما مرّ في سند الجوهري فراجع.

(ثانياً) سند دلائل الإمامة

(أ) قال - محمّد بن جرير مؤلّف الكتاب - : حدّثني أبو المفضل محمّد بن عبدالله قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني قال: حدثني محمّد بن المفضل بن إبراهيم بن المفضل بن قيس الأشعري قال: حدثنا عليّ بن حسان عن عمه عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه عن جده عليّ بن الحسين عليه السلام قال: لمّا رجعت فاطمة إلى منزلها فتشكت وكان وفاتها في هذه المرضة دخل إليها النساء المهاجرات والأنصاريات فقلن لها... الخ.

(ب) قال (المؤلّف) وحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر الباقرحي قال حدثتني أم الفضل خديجة بنت أبي بكر محمّد بن أحمد بن أبي الثلج قالت: حدثنا أبو عبدالله محمّد بن أحمد الصفواني قال: حدثنا أبو أحمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودي قال: حدّثني محمّد بن زكريا قال:

حدثنا محمّد بن عبد الرحمن المهلبي قال: حدثنا عبدالله بن محمّد بن سليمان المدائني قال: حدثني أبي عن عبدالله بن الحسن بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين قالت: لمّا اشتدت علة فاطمة عليها السلام اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها...

ونظرة عابرة على رجال إسنادي ابن جرير الإمامي لرواية هذه الخطبة الصغيرة نجد في أولهما رواية المؤلّف عن المفضل محمّد بن عبدالله وهذا هو الشيباني وقد تقدم ذكره في السند الأول لرواية الخطبة الكبيرة وهو قد روى هذه الخطبة عن الحافظ ابن عقدة وهذا أيضاً تقدم ذكره هناك. وقد روى ابن عقدة هذه الخطبة عن محمّد بن المفضل بن إبراهيم وهذا مرّ ذكره في السند الثاني من أسانيده الخطبة الكبيرة وهو روى هذه الخطبة الصغيرة عن عليّ بن حسان عن عمه وقد مرّ حالهما معاً أيضاً في السند ا لثاني من أسانيد الخطبة الكبيرة فراجع.

المحور الرابع: روعة الأسلوب

لقد نشأتُ في بيئة علمية وأنا طالب علم في مدينتي النجف الأشرف التي هي مثوى باب مدينة علم النبيّﷺ فأسمعُ فيها الشعر والنثر في شتى مناسبات الأفراح والأتراح بل وحتى المناسبات الخاصة ببعض الأعلام فكان الخطباء والشعراء لهم من أفانين الكلام في تشنيف الأسماع، بأساليب الفصاحة والبلاغة شعراً ونثراً فكان ذلك الجو العلمي الأدبي مدعاة لتعلّم شيءٍ من تلك الروائع، ويستظهر السامع بعضها عند الشاهد والمثل وكان (لنهج البلاغة) الأطروحة الخالدة القدح المعلّى في الاستحواذ على المشاعر، فضلاً عن روائع الشعر العربي بدءاً من المعلقات ومروراً بأشعار الكميت والسيّد الحميري ودعبل وأبي فراس وكذلك المتنبي وأبي تمام والمعري والبحتري والرضي والمرتضى ومهيار إلى عشرات أمثالهم وانتهاءً بشعراء القرن الرابع عشر الهجري من المحدّثين فإنّ سماع أشعارهم يولّد عند السامع نشوة يخيل إليه أن أشعارهم وهي مستوحى، لأنه يشدّ القارئ مع السامع شداً يستحوذ على المشاعر، في نفوذ المعاني إلى النفس مع جزالة لفظ وقوة معنى.

وبطبيعة الحال كان النثر في مرتبة الشعر إن لم يكن بعض الخطب والرسائل تفوقه في قوة التأثير خصوصاً ذلك الذي تأثر بآي القرآن

الكريم في أسلوبه وقوة حجته وغرر حكمه ودرر كلمه وذكرت فيما ذكرت آنفاً مثلاً (نهج البلاغة) والآن أعود إلى ذكر نمط آخر في روعة الجلال اسلوباً وحجةً وبياناً هو ما ورد عن السيّدة الصديقة الزهراء عليها السلام خصوصاً في خطبتها الكبيرة التي لا تزال رغم تمادي السنين الطويلة على إنشائها، تنفض عنها غبار السنين حين تلاوتها وتجلجل في الأسماع بصوت صاحبتها سيدة النساء بتلك النبرات الحزينة وهي تخطب في مجتمع الصحابة في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك خطبتها الصغيرة في بيتها على مسامع نساء المهاجرين والأنصار.

ففي كلتا الخطبتين وحتى كلامها مع عائشة بنت طلحة التي رأتها تبكي عليها السلام فسألتها عن سبب بكائها، فانفجرت عن ذلك ببيان لا يقصر عمّا في الخطبتين فصاحة وبلاغة فهي في جميع ذلك كانت هي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أوتى جوامع الكلم وهو أفصح من نطق بالضاد فكأنّما تفرغ عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وهي بعد حليلة وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ما سنّ الفصاحة لقريش إلاّ هو كما شهد بذلك عدوّه اللدود معاوية بن أبي سفيان في حديثه مع محفن بن أبي محفن[1].

فلا عجب ولا بدع أن امتازت الخُطب الفاطمية في روعة الأسلوب وجلال المعنى وفصاحة البيان ولا عجب ولا بدع لو شكك المغرضون في خصوص الخطبة الفاطمية (الكبرى).

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١/ ٢٤ ط محققة.

ألم يقولوا في نهج البلاغة ما قالوا؟ ويعجبني إطلاع القارئ على بعض ما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي[1] في دفع معرّة المكذّبين بصحّة نسبة ما في النهج إلى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال بعد كلام له في الذود عن النهج (لأن كثيراً من أرباب الهوى يقولون: إن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدَث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلّوا عن النهج الواضح وركبوا بينات الطريق ضُلاّلاً وقلة معرفة بأساليب الكلام وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول:

لا يخلو إمّا أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأنّا نعلم بالتواتر صحّة إسناد بعضه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدّثون كلّهم أو جلّهم والمؤرّخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك. والثاني يدلّ على ما قلناه لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفاً من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب لابدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولّد وإذا وقف على كراس واحد يتضمّن كلام لجماعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلابدّ أن يفرّق بين الكلامين ويميّز بين الطريقتين.

---

(١) في شرح نهج البلاغة ١٢: ٥٤٦ ط مصر الأولى.

ألا ترى أنّا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونَفَسه وطريقته ومذهبه في القريض.

ألا ترى انّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبي نؤاس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم انّه ليس من ألفاظه ولا من شعره. وكذلك غيرهما من الشعراء ولم يعتمدوا في ذلك إلاّ على الذوق خاصة وأنت إذا تأمّلت نهج البلاغة وجدته كلّه ماءً واحداً ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضه منحولاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

واعلم انّ قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأنّه متى فتحنا هذا الباب وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبداً وساغ لطاعن أن يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك وكل أمر جعله هذا

الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبيّ ﷺ والأئمّة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء فلناصري أميرالمؤمنين عليه السلام أن يستعد إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح.

وعودة إلى روعة الأسلوب في خطبة الصدّيقة الزهراء عليها السلام فقد قال الكاتب الإربلي وهو شيعي (انّها من محاسن الخطب وبدايعها عليها مسحة من نور النبوة وفيها عبقة من أرج الرسالة وقد أوردها المؤالف والمخالف).

هذا نموذج واحد لكاتب يحتل مكانة عالية في الأدب كما قال مترجموه بأنه كان كاتباً وشاعراً وعالماً عاش بعد صدور الخطب قرابة سبعة قرون فسجّل انطباعه عنها وهو شيعي، ولو طوينا سبعة قرون أخرى سنجد في القرن الرابع عشر الهجري كاتباً آخر يحتل مكانة رفيعة أيضاً في الأدب وهو عباس محمود العقاد صاحب المجموعة الكاملة في سبعة مجلدات ضمّت العبقريات وغيرها وهو سنّي فماذا قال عن خطبة الزهراء عليها السلام[1] فقد افتتح الكلام في (بلاغتها) فقال:

قال الإمام أبو الفضل أحمد بن (أبي) طاهر في كتاب بلاغات النساء (... لمّا أجمع أبو بكر...) فساق الخطبة وهي تتضمن الفصل الثاني من

---

(١) فاطمة الزهراء ٣: ٤٦ موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ــ شخصيات إسلامية. ط دار الكتاب العربي، بيروت.

الخطبة الكبيرة ثم قال: هذه رواية لخطاب الزهراء[1] وفي الكتاب نفسه رواية أخرى مخالفة في لفظها ومعناها للرواية السابقة[2] وقبل إيراد الروايتين قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام وقلت له إن هؤلاء ـ يشير إلى قوم في زمانه يغضّون من قدر آل البيت ـ يزعمون أنه مصنوع وأنّه من كلام أبي العيناء، فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أبناءهم، وقد حدثنيه أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء وقد حدّث به الحسن[3] بن علوان عن عطية العوفي انّه سمع عبدالله بن الحسن يذكره عن أبيه.

ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة يتحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟)

---

(١) كما في ص ٤٨.

(٢) لقد وهم العقاد في هذا! فليست الرواية الأخرى مخالفة في لفظها ومعناها للرواية السابقة! بل هي تتمة للرواية السابقة رواها صاحب كتاب بلاغات النساء بسند آخر.

(٣) الصواب (الحسين) كما في الشافي للمرتضى النسخة المطبوعة الحجرية! والطبعة الحديثة! وكذلك في شرح النهج لابن أبي الحديد نقلاً عنه.

ثم ذكر العقاد بعض الأبيات الشعرية المنسوبة إلى السيّدة فاطمة عليها السلام وعقّب على ذلك بقوله[1]:

نقول: إنّ الخلاف في أمر هذه الخطب وهذا الشعر كثير ولا نحب أن نخوض فيه لأنّه خلاف على غير طائل وقد يحسمه أن نذكر في هذا الباب ما يقلّ فيه الخلاف بين جميع النقّاد فإنّه أجدى من اللهو في جدال لا سند له يسلّمه جميع المخالفين.

فيقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ ذلك الخطاب ليس ممّا يبدر من اللسان عفو الخاطر وأنّ قائله يعدّه في نفسه قبل القائه كما كان يصنع الخطباء قبل استخدام الكتابة في التحضير.

ويقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ سامع هذا الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإن حفظه فإنّما يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه.

فإذا قلّ الخلاف في هذا فعلام إذن يكثر الخلاف؟

أتراه يكثر حين يقال إنّ السيّدة فاطمة تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل لها وتعدّها في خلدها؟

إنّ هذا النصيب من البلاغة إذا استكثر على السيّدة فاطمة فما من أحد في عصرها لا يستكثر عليه.

---

(١) كما في ص ٥٠.

لقد نشأت وهي تسمع كلام أبيها أبلغ البلغاء وانتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيّه وشانئيه.

وسمعت القرآن يرتل في الصلوات وفي سائر الأوقات وتحدّث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيها وحديثها وكلامها ومنهم من لا يحابيها ولا ينطق في أمرها عن هوى.

جاء في الجزء الثالث من العقد الفريد عن (الرياشي عن عثمان بن عمرو عن إسرائيل بن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين انّها قالت: (ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ يدها فقبّلها ورحّب بها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبّت به وأخذت بيده وقبلّتها فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه فأسرّ إليها فبكت ثم أسرّ إليها فضحكت.

فقلت: كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء فإذا هي واحدة منهنّ بينما هي تبكي إذا هي تضحك فلمّا توفي رسول الله ﷺ سألتها فقالت: أسرّ إليَّ فأخبرني انّه ميت فبكيت ثمّ أسرّ إليَّ انّي أوّل أهل بيته لحوقاً به فضحكت)[1].

---

(١) العقد الفريد ٣: ٢٣٠ تحـ أحمد أمين ورفيقه.

وما قالته السيّدة عائشة عن المشابهة بين الزهراء وأبيها قيل على ألسنة الثقات جميعاً ويزاد عليه في حديث السيّدة عائشة انّ امرأة في فضلها واعتزازها بنفسه كانت ترى للزهراء فضلاً على سائر النساء في حلمها ورصانتها ففيم يكثر الخلاف على مثل ذلك النصيب من البلاغة إذا نُسب إليها؟

ولماذا تُستعظم على من نشأت سامعة لحديث محمّد مطبوعة على مشابهته في حديثه؟

ولماذا تستعظم على زوجة الإمام الذي كان المتفقون على بلاغته أكثر من المتفقين على شجاعته وهي مضرب الأمثال؟

ولماذا تُستعظم على سامعة القرآن الكريم بالليل والنهار مع الذكاء واللبّ الراجح؟

هذا ما قاله العقّاد، وسيأتي منا ما يتعلق به في الخاتمة.

المحور الخامس: قوّة الحجة

مادام الإنسان في تقويم شخصيته يخضع لعوامل الوراثة والتعليم والمحيط وفاطمة الزهراء عليها السلام وإن كانت هي سيّدة النساء فهي إنسانة وبنت أشرف إنسان فأبوها سيّد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وأمها خديجة الكبرى أفضل أمهات المؤمنين بل وإحدى النساء الأربع اللواتي فضلهنّ ربّ العالمين فعن أبي هريرة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد)[1].

وغني عن البيان، تعريف هكذا إنسان من حيث الوراثة بعد أن قال صلى الله عليه وآله: (إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم)[2].

وقوله صلى الله عليه وآله وقد بلغه بعض ما يقوله البعض فصعد المنبر فقال: من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله فقال: (أنا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب إنّ الله خلق الخلق وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل

---

(١) خرجّه أبو عمر عن ذخائر العقبى: ٤٤.

(٢) ذخائر العقبى: ١٠.

فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وأنا خيركم نفساً) وفي رواية : (فأنا خيار من خيار من خيار)[1].

وقال ﷺ : (نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد)[2].

أمّا عن التعليم فمن نافلة القول الحديث في ذلك بعد أن نعرف بأنّ تربيتها كانت في حجر الأبوين الكريمين خاتم الأنبياء وخديجة أم المؤمنين سيّدة النساء. والعناية بها بلغت مبلغاً جعلتها أم أبيها في قوّة شخصيتها وفي منزلتها عنده يعرب عنها قوله ﷺ : بضعة منّي ولمّا كان هو ﷺ أفصح من نطق بالضاد فماذا ترى مبلغ ما تعلمته منه السيّدة فاطمة الزهراء التي شابهته في جملة خصاله حتى في مشيتها فكانت ما تخرم مشيتها مشية أبيها كما مرّت الإشارة إلى ذلك في حديث عائشة.

وأمّا عن المحيط فالبيئة التي نشأت فيها كانت هي بيئة الإسلام ومن بيتها منطلقه ومعلوم مدى تأثير بيئته عليها بدءاً من ولادتها وحتى وفاتها فكانت لها الخصائص الفاطمية التي تميزت بها عن بقية لداتها وأخواتها حتى كانت أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ سمتاً.

وقد سئلت عائشة أم المؤمنين عن ذلك فقيل لها أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت: فاطمة فقيل من الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمت صواماً قواماً[1].

(١) نفس المصدر. ٠١

(٢) نفس المصدر: ١٧.

وعن عائشة أيضاً قالت: كنا أزواج النبيّ ﷺ عنده لم تغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحّبَ بها فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارّها...»[٢].

وعن عائشة أيضاً قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قالت: وكانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه وكان النبيّ ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها[٣].

وعن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلاّ أن يكون الذي ولدها ﷺ [٤].

---

(١) خرجّه الترمذي وقال: حسن غريباً وخرجّه ابن عبيد وزاد بعد قوله: قواماً جديراً بقول الحقّ أنظر نفس المصدر: ٣٥.

(٢) نفس المصدر: ٣٩.

(٣) نفس المصدر: ٤٠.

(٤) أخرجه أبو عمر أنفس المصدر: ٤٤.

الخاتمة

لقد ذكر العقّاد في كتابه (فاطمة والفاطميون) في بلاغتها فصلاً من الخطبة الكبيرة نقله عن (الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه (بلاغات النساء) ثم ذكر فصلاً آخر هو من نفس الخطبة بعينها إلاّ أنّه بسند آخر لابن أبي طاهر فظنّه العقّاد رواية أخرى لخطبة ثانية فوهم في عدّ الروايتين بالسندين خطبتين منفصلتين لتغاير إسنادهما ولو انّه تنبّه إلى ما في أوّل الروايتين من قول الراوي في الرواية الأولى:

(لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة... فدك: لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمّة من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله شيئاً...).

وقول الراوي في الرواية الثانية:

(لمّا بلغ فاطمةعليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وخرجت في حشدة نسائها ولمّة من قومها تجر أدراعها ما تخرم مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...).

أقول: لو أنّه تنبّه إلى ذلك لعرف من الديباجة أنّ الروايتين هما لخطبة واحدة تفاوت الرواة في نقل بعض ألفاظها ويكفي ملاحظة جملة (لاثت خمارها وأقبلت في لمّة...) فيهما معاً حتى سمّيت الخطبة بخطبة اللمّة وقد مرّ التنبيه على ذلك في محلّه كما مرّ نقل ما عقّب به على الخطبة في دفع

الإشكالية الجدلية حول صحتها وحاول إثباتها عن طريق نفي الاستبعاد من خلال بلاغتها في روعة الأسلوب وقوّة الحجة ولكنه مع ذلك أستبعد أن تكون الخطبة بنت ساعتها وساحتها وجرت على لسان صاحبتها بعفو الخاطر وبرّر ذلك بقوله:

(فيقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ ذلك الخطاب ليس ممّا يبدر من اللسان عفو الخاطر وأنّ قائله يعدّ في نفسه قبل القائه... كما كان يصنع الخطباء قبل استخدام الكتابة في التحضير ويقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ سامع هذا الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإنّ حفظه فإنّما يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه فإذا قلّ الخلاف في هذا فعلامَ إذن يكثر الخلاف؟) ثم أطنب في التبرير فقال:

(أتراه يكثر حين يقال إنّ السيّدة فاطمة تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها وتعدّها في خلدها؟ إنّ هذا النصيب من البلاغة إذا استكثر على السيّدة فاطمة فما من أحد في عصرها لا يستكثر عليه.

لقد نشأت وهي تسمع كلام أبيها وهو أبلغ البلغاء وانتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيّه وشانئيه وسمعت القرآن يرتل في الصلوات وفي سائر الأوقات وتحدّث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيها وحديثها وكلامها ومنهم من لا يحابيها ولا ينطق في أمرها عن هوى).

ثم ذكر خبراً ورد في العقد الفريد عن عائشة (قالت: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ يدها فقبّلها ورحّب بها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبّت به وأخذت بيده وقبّلتها...).

وما قالته السيدة عائشة عن المشابهة بين الزهراء وأبيها قيل على ألسنة الثقات جميعاً ويزاد عليه في حديث السيّدة عائشة انّ امرأة في فضلها واعتزازها بنفسها كانت ترى للزهراء فضلاً على سائر النساء في حلمها ورصانتها.

ففيم يكثر الخلاف على مثل ذلك النصيب من البلاغة إذا نسب إليها؟

ولماذا تُستعظم على من نشأت سامعة لحديث محمّد مطبوعة على مشابهته في حديثه؟

ولماذا تُستعظم على زوجة الإمام الذي كان المتفقون على بلاغته أكثر من المتفقين على شجاعته وهي مضرب الأمثال؟

ولماذا تُستعظم على سامعة القرآن الكريم بالليل والنهار مع الذكاء واللبّ الراجح؟

بهذا أنهى العقّاد كلامه في دفع الجدل حول بلاغة خطبة الصدّيقة الزهراء عليها السلام.

وبهذا يكون قد قارب وسدّد وهذا يكون مقبولاً منه من حيث وجهة نظره في شخصيّة الصدّيقة وحسب منظوره الإجتماعي الخاص بالنسبة إليها فهي سيدة النساء وهي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي التي كان أبوها يحبها ويجلّها وهي التي قالت عنها عائشة كذا وكذا وهي كذلك وفوق ذلك.

لكنّ العقّاد في المقام كمن حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء إذ فاته أنّها كانت معصومة في أقوالها وأفعالها من خلال المنظور الديني وقد دلّ على ذلك حديث (فاطمة بضعة منّي...) وهذا الحديث الصحيح الوارد في الصحاح وغيرها أناط من طرف جلي وليس بخفي معرفة البضعة بمعرفة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فكما كان هو سيد الأنبياء كانت هي سيدة النساء فمن استوعب مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الرسالي أدرك مقام الصدّيقة من خلال تلك المعرفة حيث ميّزها أبوها عن سائر نساء العالمين فقال عنها (سيدة نساء العالمين) وهو لم يميّزها عن هوى ولا قال (فاطمة بضعة منّي) عن عاطفة مجرّدة عن إيحاء لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم كما وصفه القرآن الكريم: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾**[1] إذن كما لا غرابة في أنّها عليها السلام قد شابهت أباها صلى الله عليه وآله وسلم في بعض صفاته من مشية وحديث كذلك لا غرابة أيضاً في أنّها شاركته في بعض خصائصه وفضائله منذ بدء الخلقة وقبل أن يخلق الله الخلق فكانت أحد الأشباح الخمسة الذين كانوا أنواراً

---

(١) النجم: ٣ ــ ٥.

محدقين بعرش الله تعالى[1] وذلك من فضل الله تعالى عليهم إذ منحهم من الكمال والجمال ما سموا به إلى معارج القُرب من ذي الجلال، ونوّه بفضلهم في عدة آيات من الذكر الحكيم أنزلها في القرآن العظيم تتلى إلى يوم القيامة كآية التطهير من الرجس وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2] وآية المودّة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[3]

وآية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[4].

وفاطمة الزهراء عليها السلام هي أحد هؤلاء الذين خصّهم الله تعالى بمزيد من فضله لم يعطه أحداً من العالمين فهي وأبوها وبعلها وبنوها كانوا أصحاب الكساء وهم أصحاب آية المودّة وهم أصحاب آية المباهلة ثم هم أصحاب سورة هل أتى[5] وفيهم أنزل الله قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ

---

(١) راجع في كتابي (عليّ إمام البررة ١: ١١٥ ــ ١١٧) أحاديث سلمان وأبي ذر وابن عباس وقد رواها أيضاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وابنه عليّ بن الحسين عليه السلام وآخرون كثيرون من التابعين والحفّاظ/راجع حديث النور في ج٥ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ستدهش من كثرة رواته حتى قيل بتواتره.

(٢) الأحزاب: ٣٣، عليّ إمام البررة ١: ٣٧١.

(٣) الشورى: ٢٣/شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ١٣٤.

(٤) آل عمران: ٦١، أنظر كتاب عليّ إمام البررة ١: ٤٢٥.

(٥) أنظر أُسد الغابة ٥: ٥٣٠/وشواهد التنزيل ٢: ٢٩٩/ومناقب ابن المغازلي: ٢٧٢.

النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1] وهي صاحبة البيت الذي نوّه به أبوها بأنّه من أفاضل البيوت التي ﴿أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ - إلى قوله - وَالآصَالِ﴾ فقد روى أنس بن مالك وبريدة قالا: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقام رجل إليه وقال: أيّ بيوت هي يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها - يعني بيت عليّ وفاطمة - ؟ فقال: نعم من أفاضلها[2]. إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم التي نوّهت بفضلهم وتفضيلهم حتى قال مادحهم:

ولولاهم لم يخلق الله آدماً ولا كان زيد في الوجود ولا عمرو[3][4]

وما أحسب أنّ العقّاد في ألمعيته ولوذعتّيه وهو الأديب الأريب لم يقرأ ما قاله شيخ المعرة في خلق هؤلاء الخمسة الأشباح قبل خلق الخلق حين قال مادحاً أبا إبراهيم العلوي:

وعلى الدهر من دماء الشهيدين علىّ ونجله شاهدان
فهما فى أواخر الليل فجران وفى أولياته شفقان
يابن مستعرض الصفوف ببدر ومبيد الجموع من
أحد الخمسة الذين هم الأغراض فى كل منطق والمعانى

(١) راجع مناقب ابن المغازلي المالكي: ٢٦٦ والآية في سورة النساء٥٤.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٤١٠أوتفسير الثعلبي في تفسير الآية ٣٦ من سورة النورأالدر المنثور ٦: ٢٠٣أوروح المعاني ١٨: ١٧٤.

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ٦٠ ــ ٦١.

(٤) راجع كتاب عليّ إمام البررة ١: ٥٧ ــ ٦٢.

والشخوص التى خلقن ضياءً قبل خلق المرّيخ والميزان
قبل أن تخلق السماوات أو تبدأ أفلاكهنّ فى الدوران[1]

ولعلّ العقّاد قرأ ما قاله فيلسوف المعرة ولم يستسغه لأنّه لم يستمرئ طعم الإيمان على حقيقته الذي يزكو بروح مادحهم فيقول:

بأبى خمسة هم جُنبّوا الرجس وطهروا تطهيرا
أحمد المصطفى وفاطمة ثم عليّاً وشبّراً وشبيرا
من تولاّهم تولاه ذو العرش ولقّاه نضرة وسرورا
وعلى مبغضيهم لعنة الله وأصلاهم المليك سعيرا

وإنّ القلم ليتعثّر واللسان ليعيى حين يعرض لتلك الشخوص بالتعريف بعد ما ورد فيهم من ذي الجلال وواهب الكمال أسمى آيات التشريف فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2] وما بعد قول الحقّ إلاّ الضلال وليقل العقّاد في طرحه ما شاء ما دام يقرأ التاريخ من وراء نظارته السوداء.

وليتني أراه ما يقول ويكتب إذا ما قرأ ما جاء في آخر أوراق ملحقة بكتاب (شوق العروس وأنس النفوس) للحسين بن محمد الدامغاني المتوفى سنة ٤٧٨، ونسخته في المكتبة الظاهرية بدمشق (في ١٥٥ ورقة برقم ٧٨٤٣) فقد ورد في ورقة منها (ذكر وفاة فاطمة) ومما جاء فيها ذكر

---

(١) سقط الزند.

(٢) الأحزاب: ٣٣، عليّ إمام البررة ١: ٣٧١.

وداع الحسنين لأمّهما فاطمةعليها السلام عند وفاتها وبكائهما وسماع الإمام أمير المؤمنينعليه السلام النداء من العلّي بأن ينحّيهما عنها، لأن الملائكة أنتحبت لبكائهما.

وهذا ما ورد في بعض الكتب أن ذلك كان بعد الوفاة، وبعد الغسل وقبل عقد الكفن.

ومهما كان أمر الوقت في ذلك، فإنه لم يعهد ولم يسمع أن ذلك جرى لغير فاطمةعليها السلام، وأن الملائكة انتحبت لبكاء الحسنين على أمهما فهل يؤمن العقاد بذلك؟ وهو الذي لا يرى فاطمةعليها السلام في منظوره الخاص إلاّ أن تعدّ الخطاب لما يدور في خلدها.

ونعود إلى خلل طرحه في رفع الخلاف من خلال المنظور التاريخي، فنقول: انّه يتلخص في النقاط التالية:

١ - إنّ الخطاب ليس ممّا يبدر على اللسان عفو الخاطر وأنّ قائله يعدّ في نفسه قبل القائه.

٢ - إنّ سامع الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإنّ حفظه إنّما يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه.

٣ - إنّ الزهراء لا يستكثر عليها أن تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها وتعدّها في خلدها.

وذكر فيما يراه الأسباب التالية:

أ - إنّها نشأت وهي تسمع كلام أبيها وهو أبلغ البلغاء.

ب - وانتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه وشانئيه.

ج - وسمعت القرآن يرتّل في الصلوات وفي سائر الأوقات.

د - وتحدّث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيها وحديثها وكلامها وفيهم من لا يحابيها ولا ينطق في أمرها عن هوى.

أقول: وهذه النقطة بالذات مسوقة فيما أرى للاستشهاد بحديث السيدة عائشة وهي المعنّية بالوصف (من لا يحابيها ولا ينطق في أمرها عن هوى) ولو أنّه قال من لا يحبّها بدل من لا يحابيها لكان أصدق تعبيراً في المقال وتصوير الحال والشواهد على ذلك موجودة حتى في المصادر التي يعتمدها من تراث أهله وحسبنا شاهداً واحداً في المقام:

فقد روى الحافظ المحبّ الطبري:

(عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله مالك إذا قبّلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنّك تريد أن تلعقها عسلاً فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه لمّا أسري بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في

ظهري فلمّا نزلت واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة كلّما اشتقت إلى تلك التفاحة قبّلتها)[1].

قال المحّب الطبري: خرّجه أبو سعد في شرف النبوة.

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يكثر القبل لفاطمة فقالت له عائشة: إنّك تكثر تقبيل فاطمة؟ فقال عليه السلام: إنّ جبريل ليلة أسري بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبي فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت لتلك الثمار قبّلت فاطمة)[2].

(وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ صلى الله عليه وآله قبّل يوماً نحر فاطمة فقلت له: يا رسول الله فعلت شيئاً لم تفعله؟ فقال: يا عائشة إذا اشتقت إلى الجنة قبّلت نحر فاطمة)[3]. هذه الحال التي روتها عائشة وبهذه اللغة الجافة التي خاطبت بها النبيّ صلى الله عليه وآله (مالك إذا قبّلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنّك تريد أن تلعقها عسلاً) أوليس ذلك ممّا ينبىء عن غيرة مختزنة في صدرها، ومحزنة لها في أمرها وإذا لم يكن كذلك فبماذا يفسّر العقّاد ومن على شاكلته قول عائشة (إنّك تكثر تقبيل فاطمة) وقولها الآخر: (فعلت شيئاً لم تفعله؟) فلماذا هذه المساءلة منها وحدها دون باقي نسائه؟ وماذا

---

(١) ذخائر العقبى: ٣٦ ط القدسي بمصر.

(٢) خرجّه أبو الفضل بن خيرون.

(٣) خرجّه الملا في سيرته.

كان يضيرها تقبيل النبيّ ﷺ لابنته؟ لكنها الغيرة التي حدّثت بها هي عن نفسها فقالت:

(ما غرت على امرأة من نساء النبيّ ﷺ إلّا على خديجة وإن لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت: فأغضبته يوماً فقلت خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّي قد رزقت حبّها[1] وقولها الآخر: (ما غرت للنبيّ على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رايتها قط)[2].

وما قولها الثالث بدون ذلك (... فقالت عائشة: وكنت أحسدها لكثرة ذكره لها فقلت: يا رسول الله لا تزال تذكر خديجة كأن لم يكن على ظهر الأرض غيرها فقال: قومي عنّي فقامت إلى ناحية منه في البيت...)[3].

فمن كانت تغار من امرأة قد ماتت فلم تشاطرها في قِسَم الليالي وتحسدها لأنّ زوجها يحنّ إليها بوفائه، حتى لم تطق أن تراه يذكر صديقات زوجته وهنّ نساء أجنبيات لا يزاحمنها في حال ولا مال فهل تطيب نفساً حين ترى النبيّ ﷺ يقبّل ابنته تلك التي تغار منها أشدّ الغيرة وتحسدها أشد الحسد؟ فهي لا تحبّها لما يحتمل في نفسها من غيرة

(١) صحيح مسلم ٧: ١٣٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الاستيعاب ٤: ٢٧٨ ـــ ٢٧٩.

على أمها وإن فلت على لسانها أحياناً بعض ما يشعر بيقظة ضمير فهو مماراة وليس محاباة.

والآن عودة إلى النقاط التي مرّت بتلخيص من طرح العقّاد فنقول:

(أوّلاً) قال : (إنّ الخطاب ليس ممّا يبدر على اللسان عفو الخاطر وإنّ قائله يعد في نفسه قبل إلقائه...) لست أدري كيف قال العقّاد ذلك وهو في جامعيته الثقافية لا يخفى عليه تفاوت الناس في الفهم وتميّز بعضهم على بعض في المواهب من قوّة الذكاء وحدّته والذاكرة النادرة وفيهم من تتدفق لديه المعاني والمباني وتنساب الكلمات كعذب السلسال مع فصاحة بيان وقوّة جنان فيقول مرتجلاً ما يبلغ به حاجته دون عيّ أو إحصار أو تلكؤ أو تلعثم ينحدر كالسيل وهذا ما لا يسع العقّاد إنكاره لكثرة شواهده التي زخرت بها أصول الأدب والتاريخ... ولا أخاله لم ير بينها حديث الصبيّة العامرية التي لم تتعد دور الحداثة في سنّها وتميّزت بقوّة بداهتها ودقة فطنتها واستحضارها الشواهد الشعرية على إثبات مرامها والإزدراء بمحاورها. وملخص خبرها: أنّ رجلاً من بني تميم حلّ ضيفاً على امرأة من بني عامر فأكرمت مثواه وأحسنت قراه ولما همّ بالرحيل قال متمثلاً شعراً يهجوها به:

لعمرك ما تبلى سراويل عامر   من اللؤم ما دامت عليها

فقالت لجاريتها قولي له: ألم تحسن إليك وتفعل وتفعل هل رأيت تقصيراً؟قال: لا، قالت: فما حملك على البيت؟قال:جرى على لساني فخرجت إليه جارية من بعض الأخبية فحدثته حتى أنس واطمأن ثم قالت له ممّن أنت ياابن عم؟ قال: رجل من بني تميم قالت: أتعرف الذي يقول:

تميم بطرق اللؤم أهدى من ... ولو سلكت سُبل المكارم ضلّت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى ... خلال المخازي عن تميم تجلّتِ
ولو أنّ برغوثاً على ظهر قملة ... يكّر على صفيَ تميم لولّتِ
ولو جمعت يوماً تميم جموعها ... على زمرة مربوطة لاستقلتِ
تميم كجحش السوء يرضع أمه ... ويتبعها بالرغم إن هي ولّتِ
ذبحنا فسمّينا على ما ذبيحنا ... وما ذبحت يوماً تميم فسمّتِ

قال: والله ما أنا من تميم قالت: ما أقبح الكذب بأهله فممّن أنت ؟ قال: رجل من بني ضبّة قالت: أفتعرف الذي يقول:

لقد زرقت عيناك يابن مكعبر ... كما كل ضبيّ من اللؤم أزرق

قال: لا والله ما أنا من بني ضبة قالت: فممّن؟ قال: من بني عجل قالت: أفتعرف القائل:

أرى الناس يعطون الجزيل وإنّما ... عطاء بني عجل ثلاث وأربع
إذا مات عجلي بأرض فإنّما ... يخط له فيها ذراع وأصبع

وعلى هذا المنوال والحال استمرت المحاورة فهي تسأله ممّن أنت؟ فيقول من بني فلان فتأتي بشاهد من الشعر في ذم القبيلة التي يذكرها حتى ساق أكثر من ثلاثين قبيلة والصبية تقرأ له الشعر في ذمها فينتسب إلى قبيلة أخرى إلى أن أعجز فقال لها: أنا رجل من الشيطان الرجيم قالت: فعليك لعنة الله وعلى الشيطان الرجيم أفتعرف الذي يقول:

ألا يا عباد الله هذا عدوكم　　　وذا ابن عدو الله إبليس خاسئا

قال: الله الله أقيليني العثرة فوالله ما ابتليت بمثلك قط[1].

فلنسأل العقّاد هل كانت الصبيّة العامرية قد أعدّت لذلك الموقف عدّته من قبل؟ ولندع خبرها فربّما يراه العقّاد خبراً مصنوعاً ولنسأله فيما كتبه هو في (عبقرية الصدّيق) في (ثقافته) حيث قال: فثقافته في زمانه هي ثقافة الفقيه الأديب المؤرخ بما اصطلحوا عليه من معنى التاريخ في ذلك الزمان... ولكن النسب الذي كان يعلمه الصدّيق كان هو النسب المحيط بالمحامد والمثالب في القبائل العربية كافة... لما خرج النبيّ ﷺ ليعرض نفسه على القبائل في أوّل الدعوة الإسلامية كان معه أبو بكر وعلي بن أبي طالب أسبق الناس إلى الإسلام.

قال عليّ رضي الله عنه: (فرفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلّم وكان مقدّماً في كل خير وكان رجلاً نسابة فقال: ممّن القوم؟ قالوا من ربيعة قال: وأيّ ربيعة أنتم؟ أمن هاماتها أم من لهازمها؟ قالوا: من

---

(١) طبقات الشافعية ١: ١٤٢ ــ ١٤٦ ط الحسينية بمصر.

هاماتها العظمى. قال: وأيّ هاماتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر قال: فمنكم عوف بن محلم الذي يقال فيه: (لا حرّ بوادي عوف)؟ قالوا: لا قال: فمنكم المزدلف الحرّ صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو القرين ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا قال: فمنكم جسّاس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالب أنفسها؟ قالوا: لا قال: فمنكم أصهار الملوك من كندة؟ قالوا: لا قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا قال أبو بكر: فلستم ذهل الأكبر إنّما أنتم ذهل الأصغر).

هذا ما ذكره العقّاد في قصة أبي بكر مع الذهليين وهو قد أساء إلى أبي بكر حين ذكر له هذا الشاهد على ثقافته ومعرفته بالأنساب بينما حذف بقية المحاورة والتي فيما يبدو غصّ بذكرها لأنّها أنهت المحاورة بهزيمة أبي بكر فاجتذب زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ﷺ منهزماً من محاورة دغفل النسابة[1]. وليس يعنيني أمر انهزامه من محاوره دغفل لأنّه ابتلي بطامة فوق طامة فهو كما قال عن نفسه (وإنّ البلاء موكّل بالمنطق) وهو أول من قال هذه الكلمة كما ستأتي لكن الذي ينبغي التنبيه عليه أنّ

(١) دغفل بن حنظلة الشيباني نسابة العرب اختلف في صحبته ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة ٢: ١٣٢ وذكر انّ معاوية دعاه وسأله عن العربية وعن أنساب العرب وعن النجوم فإذا رجل عالم فقال: يا دغفل من أين حفظت هذا؟ قال: حفظته بقلب عقول ولسان سؤول وانّ آفة العلم النسيان...
أقول: وهذه الكلمة بلفظها وردت في ترجمة عبدالله بن عباس وهي به أشبه ولعلّ دغفل سمعها منه فأخذها عنه.

العقّاد اعتمد في سياقه على رواية انّ عليّاً قال عن أبي بكر: (وكان مقدّماً في كل خير وكان رجلاً نسّابة) وهذا الدس الرخيص لم يرد في جملة من مصادر الواقعة فراجع مصادرها وهي كثيرة.

فالمحاورة بكاملها مرويّة في جملة من مصادر السيرة والأدب لعلّ أقدمها كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة ٢٩١ والكتاب مطبوع محققاً بمصر في سلسلة تراثنا سنة ١٣٨٠ هـ وقد خلا من جملة (وكان مقدّماً في كل خير) وكذلك في كتاب الثقات[١] لابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ لم ترد الجملة، ولا في شرح الأخبار[٢] للقاضي النعمان المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ ولا في مجمع الأمثال[٣] للميداني المتوفى سنة ٥١٨ ولا في دلائل النبوة للبيهقي برواية ابن حجر في الإصابة في ترجمة دغفل وإن وردت في المطبوع من الدلائل ممّا ينمّ عن دسّ رخيص جرى في الكتاب كما لم ترد في الفائق للزمخشري(ت ٥٣٨)[٤] ولا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(ت ٦٥٦)[٥]. ففي جميع هذه المصادر لم ترد جملة (وكان مقدّماً في كل خير) فمن يا ترى كان هو الدسّاس الذي يوسوس في صدور الناس دسّها ليوقع الإلتباس.

---

(١) الثقات ١: ٣٣ ط العلمية بيروت.

(٢) شرح الأخبار ٢: ٣٨٤.

(٣) مجمع الأمثال ١٧: ١٨.

(٤) الفائق ٣: ٤٩٣ تحـ إبراهيم والبجاوي.

(٥) شرح نهج البلاغة ٤: ١٣٦ .

ثم انّ في معجم الطبراني[1] ومجمع الزوائد[2] محاورة مختصرة بين أبي بكر ودغفل النسابة أيضاً لعلّها من جملة المحاورة السابقة فراجع.

وإذا صحّ ما ذكره العقّاد من قول عليّ في أبي بكر في روايته فلماذا تأخر عليّ عن بيعته وندّد بخلافته وبقي كذلك حتى يوم خطبته وقد طفح الأسى بذلك في شقشقته؟ إنّها من أعاجيب الأكاذيب.

وإلى القارئ بقية المحاورة نقلاً عن مجمع الأمثال للميداني المتوفى سنة ٥١٨ في شرح المثل:إنّ البلاء موكّل بالمنطق، فقد جاء فيه بعدما قال أبو بكر: إنّما أنتم ذهل الأصغر فقام إليه غلام قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال:

إنّ على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا إنّك سألتنا فلم نكتمك شيئاً ، فممّن الرجل أنت؟ قال: رجل من قريش قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أيّ قريش أنت؟قال: من تيم بن مرة قال: أمكنت والله الرامي من صفاء الثغرة.

أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى بها؟ قال: لا. قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف؟ قال: لا.

---

(١) المعجم للطبراني ٦: ٦٢.

(٢) مجمع الزوائد ٦: ٢١١ باب في يوم ذي قار.

قال: أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذي كأن في وجهه قمراً يضئ ليل الظلام الداجي؟ قال: لا.

قال: أفمن المضيفين بالناس أنت؟ قال: لا.

قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا.

قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا قال: واجتذب زمام ناقته فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال دغفل: صادف درء السبل درءاً بصدعه أما والله لو ثبّت لأخبرتك أنّك من زمعات قريش أوما أنا بدغفل؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عليّ: قلت لأبي بكر: لقد وقعت من الأعرابي على باقعة قال: أجل إنّ لكلّ طامة طامة وإنّ البلاء موكّل بالمنطق[1].

فهذه التتمة كشفت عن مبلغ ثقافة أبي بكر كما أنّ حذفها كشف عن مبلغ أمانة العقّاد في روايته، ومهما يكن أمر المحاورة في الكشف فإنّها تكشف عن قدرة على البيان وقوة استحضار لدى المتحاورين، وقد بدرت منهما عفو الخاطر على اللسان فزعم العقّاد أنّ الزهراء عليها السلام في خطبتها لا يستكثر عليها انّ تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها وتعدّها في خلدها زعم موهوم فقد أتيته بشاهدين على انّ في الناس من

(١) مجمع الأمثال: ١٧ ـــ ١٨ طبع عبدالرحمن محمّد بالمطبعة البهية سنة ١٣٤٢ هـ.

وهبهم الله تعالى من الذكاء والفطنة وفصاحة اللسان ما يبهر العقول! فكيف بالزهراء عليها السلام التي هي فوق من ذكرت ولا قياس.

وحسبي في المقام أنّ أشير إلى ما أثارته تلك الخطبة من زوبعة اهتزت لها ضمائر الأنصار فاعتذروا إليها فما قبلت لهم عذراً وكيف يرجون منها القبول وهي تصرخ بهم وبالمهاجرين وبرأس الحكم حين تقول:

(أيها المسلمون أأغلب على إرثي؟ يابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فريّاً) انّها صرخة ألم من قلب موجوع ونداء تفزيع وخطاب تقريع هزّت به الزمان والمكان فبقيت القرون ترويه وزبر التاريخ تحكيه أيّ خطاب أبلغ في التقريع من قولها عليها السلام: (أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[1] وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[2] وقال: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[3]، وقال:

---

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٤ ــ ٦.

(٣) الأنفال: ٧٥.

﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[1] وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[2].

إنّها آيات المواريث التي بسطت الزهراءعليها السلام من خلالها الدعوى فأدلت بعرض الأدلة، وخلصت إلى الإدانة فأفحمت رأس السلطة وعجز عن مناقشة الدلالة ففزع إلى ما رواه من خبر نحن معاشر الأنبياء الذي لم يروه غيره وبه تمسّك الإشياع والأتباع في تخصيص الكتاب في آيات المواريث بذلك الخبر الكاذب ولكنّهاعليها السلام أبطلت زعمه بحجتها الدامغة حين خاطبته ومن معه بقولها: (وزعتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا! أفخصّكم الله بآية أخرج أبيصلى الله عليه وآله منها؟ أم تقولون انّا أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي).

وفي هذا المقطع من الخطبة دلالة على سبق مراجعات حول الحظوة - النحلة - ثم الميراث وقولها (وزعمتم) يدل على سبق الزعم ففنّدته ووبّختهم على زعمهم وأنذرتهم بسوء العاقبة وعقوبة الآخرة وخصّت رأس الحكم فقالتعليها السلام: (فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمّد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون من

---

(١) النساء: ١١.

(٢) البقرة: ١٨٠.

يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مقيم) وهكذا أنهت خطابها مع أبي بكر ومن معه من المهاجرين والتفتت إلى الأنصار فأوسعتهم عتاباً، - وربّ عتاب أقسى من عقاب - ومهما يكن فلست بصدد استعراض الخطبة بفصولها الرائعة وفصاحتها البارعة ولكن كلام العقّاد جرّني من حيث لا أُريد إلى هذا، خصوصاً بعد أن مرّت برواياتها المتعددة من مصادرها المختلفة وليس في واحدة من تلك الروايات ما يشير إلى أنّ الزهراء عليها السلام تلكأت في بيانها أو تلجلجت في لسانها ممّا يستبعد طرح العقّاد في سابق التحضير وإن صحّ ذلك ففي غير أهل البيت عليهم السلام .

وحسبي في المقام أن أذكر بعض الشواهد تكون تصحيحاً له ولغيره ممّن لم يستمرئ طعم الإيمان بمقام أهل البيت عليهم السلام على حقيقته وما عرفه هو وغيره عنهم ما كان إلاّ عن طريق الموروث وقد عفن لما عراه من تشويش.

والشاهد الذي أردت ذكره ما زال حيّاً وغضّاً جديداً - كلما أخلق الزمان تجدّد - وذلك هو خُطب السيّدة زينب الكبرى والصدّيقة الصغرى عليها السلام بطلة كربلاء كما تحلو تسميتها لابنة الشاطئ ولا ريب في أنّ العقّاد سمع بها وقرأ كتابها فهي قريبة منه عصراً ومصراً ولا أخاله لم يقرأ ما كتبته بنت الشاطئ عن السيّدة زينب عليها السلام فقد ذكر المؤرخون للسيّدة عدة خطب ارتجالية فرضتها عليها الظروف القاسية المحيطة بها وعلى حين غفلة ممّا سيفاجؤها به القَدَر في هذا الموقف أو ذاك حتى يقال

إنّها أعدّت واستعدّت وهذا ممّا رواه الرواة من رجال التراثين السنّي والشيعي فلا مجال معه لطرح العقّاد كما مرّ في خطبة أمها بأنّها عن سابق إعداد لما يدور في خلدها فإلى القارئ تلك الخُطب الزينبية وهنّ ثلاث خطب ارتجالية في ثلاثة مواقف كل له رهبته فيمايزه عن غيره.

(الخطبة الأولى) في الكوفة وقد استقبلتها وسبايا أهل البيت عليهم السلام جموعُ أهل الكوفة رجالاً ونساءً وهم يبكون فأومأت إليهم أن اسكتوا قال الراوي: ولم أر خفرةً والله أنطق منها كأنّها تنطق وتفرغ عن لسان أميرالمؤمنين عليه السلام وقد أومأت إلى الناس وهم يبكون على الحسين عليه السلام أن اسكتوا فلمّا سكنت فورتهم فخمدت الأنفاس وسكنت الأجراس وابتدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قائلة:

(الحمد لله والصلاة على أبي محمّد وآله الطيبين الأخيار أمّا بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنّة إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا وهل فيكم إلاّ الصلف والنطف والعُجب والكذب والشنف وملق الأباء وغمر الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كقصّة على ملحودة ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتبكون وتنتحبون؟! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً وأنّى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة

ومدره حجتكم ومنار محجتكم وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم وسيّد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون.

فتعساً لكم وبُعداً لكم وسُحقاً فلقد خاب السعي وتبّت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضبٍ من الله ورسوله وضُرِبت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟ وأيّ كريمة له أبرزتم؟ وأيّ دم له سفكتم؟ وأيّ حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرنّ منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا.

ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض وملء السماء أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون فلا يستخفنّكم المهل فإنّه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثار وإنّ ربّكم لبالمرصاد[1].ثم ولّت عنهم قال الراوي: فرأيت الناس حيارى وقد ردّوا أيديهم إلى أفواههم ورأيت شيخاً كبيراً من بني جُعفي وقد اخضلّت لحيته من دموع عينيه وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عُدّ نسل لا يبور ولا يخزي[2]

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم تجد مصادر الخطبة وراجع نثر الدر للوزير الآبي ٤: ١٩ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) نثر الدر الآبي ٤: ٢٠ ـــ ٢١ والأمثال للمفضل الضبي.

وفي رواية الاحتجاج: فقال لها الإمام السجاد عليه السلام أسكتي يا عمّة فأنتِ بحمد الله عالمة غير معلّمة فهمة غير مفهمّة[1].

فهذه الخطبة هي التي جعلت سامعها مبهوراً فقال: كأنّها تفرغ عن لسان أبيها فهل كانت عن سابق تحضير؟ أوليس هي ممّا فاض به الجنان فابتدره اللسان بفصيح البيان وقد تضمّنت من النكات البديعية والحجج القوية من استعارة وتشبيه واستشهاد بالآيات وما لنا والوقوف طويلاً عند هذه الخطبة الزينبية وأمامنا محاورة أخرى لدتها في الفصاحة والبلاغة أخرست الخصم المتجبر فلم يطق الرد عليها حين مرّغت أنفه بأوحال العار والشنار حتى هم - لفشله في مقارعة الحجة بالحجة - بضربها.

فلنقرأ ما رواه أبو الفضل في بلاغات النساء - وهو المصدر الذي اعتمده العقّاد - وقد رواه غيره كالطبري[2] وابن الأثير[3] والخوارزمي[4] والمبرّد[5] وكلّهم من أعلام السنّة فضلاً عن أعلام الشيعة كالمفيد في الإرشاد والطبرسي في إعلام الورى وابن طاووس في اللهوف وغيرهم كثير وألفاظهم متقاربة قالوا .. واللفظ للطبري قال: فلـمّا دُخل برأس

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٦٦ ط النجف.

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) الكامل في التاريخ.

(٤) مقتل الحسين.

(٥) الكامل للمبرّد ٣: ١٤٥ ط مصر سنة ١٣٤٧ هـ.

الحسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيدالله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكرت وحفّ بها إماؤها فلمّا دخلت جلست فقال عبيدالله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه فقال: ذلك ثلاثاً كل ذلك لا تكلّمه فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة فقال لها عبيدالله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد ﷺ وطهّرنا تطهيرا لا كما تقول أنت إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر. قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

قالت: كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده (وفي اللهوف: فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمك يابن مرجانة).

قال الطبري وغيره: فغضب ابن زياد واستشاط من كلامها وهمّ بها، فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير إنّما هي امرأة وهل تؤاخذ بشيء من منطقها إنّها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطل. فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك.

قال: فبكت ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

فقال لها عبيدالله: هذه سجاعة قد لعمري كان أبوك شاعراً سجّاعاً قالت: ما للمرأة والسجاعة إنّ لي عن السجاعة لشغلا ولكن نفثى ما أقول.

ولا نعقب في المقام بأكثر ممّا قاله المبرد: إنّ ابن زياد قال في عقب مقتل الحسين بن عليّ عليه السلام لزينب بنت عليّ (رحمها الله تعالى) وكانت أسنّ من حُمل إليه منهنّ وقد كلّمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها: إن تكوني بلغتِ من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً فقالت: ما للنساء والشعر.

فإنّ زينب كلمت ابن زياد فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فهل يرى العقاد أيضاً كان منها عن ترو وتحضر جاء من قبل؟

ودع عنك هذا كلّه فليس بشئ إذا ما قيس بخطبتها في مجلس يزيد بالشام وإليك حديثها نقلاً عن بلاغات النساء[1] لأبن أبي طاهر - وهو مصدر اعتمده العقّاد كما أشرنا آنفاً - فعنه وعن نثر الدرّ للوزير الآبي[2] واللفظ للأوّل منهما:

قيل: لمّا قتل الحسين عليه السلام ووجّه ابن زياد (لعنه الله) رأسه والنسوة إلى يزيد(لعنه الله) أمر برأس الحسين عليه السلام فأبرز في طست وجعل ينكث ثناياه بقضيب وينشد:

---

(١) بلاغات النساء: ٢٥.

(٢) نثر الدر ٤: ١٧.

ليت أشياخي ببدر شهدوا .... الأبيات..

فقالت: زينب بنت عليّ عليها السلام: صدق الله ورسوله يا يزيد ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾(1) أظننت يا يزيد أنّه حين أخذت علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما يُساق الأسارى أنّ بنا هواناً على الله وبك كرامة؟ وأنّ هذا لعظيم خطرك؟ فشمختَ بأنفك ونظرت في عطفك جذلانَ فرحاً حين رأيت الدنيا مستو سقة لك والأمور متسقة عليك وقد مثلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(2) أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قد هتكت ستورهن صحلت بحوحهن مكتئبات تُخدى بهن الأباعر ويحدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهنّ وليّ من رجالهنّ وكيف يستبطأ في بغضنا من نظر إلينا بالشنف والشنئان والإحن والأضغان؟ أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكثُ ثنايا أبي عبدالله بمخصرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإهراقك دماء ذرية محمّد صلّى الله عليه ونجوم الأرض من آل

(1) الروم: 10.

(2) آل عمران: 178.

عبدالمطلب ولتردنّ على الله وشيكاً موردهم ولتودّن أنّك عميت وبكُمت وإنّك لم تقل: فاستهلّوا وأهلّوا فرحاً.

اللّهمّ خذ بحقنا وانتقم لنا ممّن ظلمنا والله ما فريت إلاّ في جلدك ولا حززت إلاّ في لحمك وسترد على رسول الله برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ۝ فَرِحِينَ﴾[1] وسيعلم من بوّأك ومكنّك من رقاب المؤمنين إذا كان الحَكَم الله والخصيم محمّد وجوارحك شاهدة عليك فبئس للظالمين بدلاً وأيّكم شر مكاناً وأضعف جندا مع أنّي والله يا عدوّ الله وابن عدوّه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك غير أنّ العيون عبرى والصدور حرّى وما يجزى ذلك أو يُغني عنّا وقد قتل الحسين عليه السلام وحزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله فهذه الأيدي تنطف من دمائنا وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا وتلك الجثث الزواكي يعتامها عُسلان الفلوات فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدننا مغرماً حين لا تجد إلاّ ما قدّمت يداك تستصرخ بابن مرجانة ويستصرخ بك. فوالله ما اتقيتُ غير الله ولا شكواي إلاّ إلى الله فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يُرحض عنك عارَ ما أتيت إلينا أبداً والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبّان

---

(١) آل عمران: ١٦٩ ــــ ١٧٠.

الجنان فأوجب لهم الجنة أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنّه ولي قدير).

هذه ثلاثة شواهد لزينب ابنة فاطمة وكلّها جاءت عفو الخاطر دون سابق تفكير أو تحضير فما بال العقّاد يستكثر على الصدّيقة فاطمة أن يكون خطابها كذلك عفو الخاطر وبدر على اللسان ولم تعدّه في خلدها من قبل وهذه زينب هي التي حفظت خطبة أمها في مسجد رسول الله ﷺ وما كانت زينب عليها السلام إلاّ نموذجاً واحداً من تلك النماذج التي فاقت على سائر الناس في كل مكرمة:

إليهم كل مكرمة تؤول   إذا ما قيل جدهم الرسول

فثمة شواهد أخرى لأهل البيت كخطبة فاطمة ابنة الحسين عليه السلام في الكوفة وخطبة أختها سكينة وكلّها بدرت على اللسان وعفو الخاطر من دون أن تُعدّ سلفاً في خلد صاحبتها وأحسب أني بهذا استطعت أن أقنع القارئ من النقّاد كالعقّاد أنّ الخطبة آية في البلاغة وقد كانت من دون سابق تفكير وإعداد تحضير لألفاظها وأبعاضها وإنّما المقبول والمعقول من القول أن يقول إنّ فكرة المطالبة بفدك كانت هي الغرض الدافع ومنها كان الدخول على سائر ما تضمّنته من معانٍ سامية في بيان علل الأحكام وجدلية الخصام.

(ثانياً) قال: (إنّ سامع الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإن حفظه فإنّما يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه...).

فأقول: إنّ إشكال حفظها مع طولها إنّما يعسر على كثيرين التصديق بذلك قياساً على حال سائر الناس أمّا إذا رجعنا إلى كتب الأدب العربي في العصور الإسلامية الأولى نجد ذكر نماذج فذّة في الحفظ من السماع لمرة واحدة كما عن ابن عباس مع شعر عمر بن أبي ربيعة فقد أنشده قصيدته التي أولها:

أمن آل نُعم أنتَ غادٍ فمبكر غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجّر[1]

أنشدها في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عليه عمر في ثوبين مصبوغين مورّدين فأنشده القصيدة بتمامها وهي تزيد على سبعين بيتاً ولمّا انتهى فأقبل نافع بن الأزرق على ابن عباس فقال له: والله يابن عباس إنّا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحرام والحلال فتتشاغل عنّا ويأتيك مترفٌ من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس فيخزي وأمّا بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس: ليس هكذا قال: قال: فكيف قال؟ قال: قال:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس فيضحى وأمّا بالعشي فيخصر

فقال: ما أراك إلاّ كنت حفظت البيت قال: أجل إن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها قال: فإنّي أشاء فأنشده القصيدة حتى أتى على

(١) أنظر الأغاني ١: ٧٩ ط دار الكتب وخزانة الأدب للبغدادي ٢: ٤٢٠ ط بولاق.

آخرها فقال له بعضهم: ما رأيت قط أذكى منك فقال: لكن ما رأيت قط أذكى من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(أقول) وإذا كان عامل الوراثة له تأثيره في المقام فإنّ راوية الخطبة هي زينب بنت عليّ وفاطمة:

أتاها الفضل من هنّا وهنّا فكان لها بمجتمع السيول

وعنها روى ابن عباس تلك الخطبة.

قال أبو الفرج وهو يذكر أولاد الإمام أميرالمؤمنين فقال:

والعقيلة: هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك فقال: حدّثتني عقيلتنا زينب بنت عليّ... الخ[1].

وكان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قط إلاّ رويته وإنّي لأسمع صوت النائحة فأسدّ أُذني كراهة أن أحفظ ما تقول فكم في بني هاشم من هو مثل ابن عباس في الذكاء والألمعية وفي غيرهم كذلك فالنبوغ ليس حكراً على أحد ولا حصراً في أحد وإن كان الشبيه قليلاً في العدد.

ثم من حقنا أن نسأل العقّاد ومن شاكله من النقّاد في هذا الجانب مَن هم غير الصحابة رووا لنا خطب النبيّ صلى الله عليه وآله على اختلاف أغراضها وبيانها في أزمانها ومكانها ومنها بعض الخطب الطويلة التي استغرقت وقتاً طويلاً كخطبة يوم غدير خم التي قيل عنها من بعد صلاة الظهر إلى

(١) مقاتل الطالبيين: ٩٥ تحـ صقر ط مصر.

صلاة العصر وما تبع ذلك من المبايعة إلى وقت العتمة. فمن هو الذي كان يكتب كل تلك الخطب سواء كانت قصيرة أم طويلة؟ إنّما هو الحفظ لدى الكثير منهم وإذا كان من يكتب مثل عبدالله بن عمرو بن العاص فهم نفر قليل ولذلك تتفاوت الروايات في النقل فتزيد عند بعضهم وتنقص عند آخرين تبعاً لقدرة السامع على الاستيعاب.

(ثالثاً) قال العقّاد في طرحه لرفع الخلاف في صحّة نسبة الخطبة الكبيرة إلى الصدّيقة لا يستكثر عليها (أن تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها وتعدّها في خلدها لأنّها نشأت وهي تسمع كلام أبيها) وقد سبق منّا أن ذكرنا نفي مسألة الإعداد ودفع الاستبعاد أولاً ومسألة استظهار السامع بالحفظ ثانياً والآن إلى مسألة سماعها كلام أبيها... فنقول له: إنّ في قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مَن توفرت فيه تلك الدواعي كلاً أو بعضاً ولم يزعم لأحد منهم كلاماً يدل على بلاغة أو فصاحة في مشهد عام أو خاص كبقبة بنات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودع عنك نساءه اللاتي كنّ أكثر لصوقاً به ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً فكلهنّ سمعنّ حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعشن في كنفه وتحت ظله ولم يرد عنهنّ إلاّ القليل عن بعضهنّ نحو كلام عائشة عند موت أبيها على أنّه ليس فيه أيّ مشابهة لكلام الزهراء عليها السلام في أيّ نحو من أنحاء البلاغة في البيان وبليغ الحجة وقوّة الجنان مع فارق جوّ الصدور.

(رابعاً) قال العقّاد أيضاً في طرحه المشار إليه (وانتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه وشانئيه...) ونحن لا نناقشه في جميع ذلك لكنا نقول له ولمن هو على شاكلته ليست الزوجية هي التي أوجدت تلك القابلية عند الزهراء عليها السلام وقد كانت علاقة الزوجية أطول زماناً مع نساء تزوج بهنّ من بعد موتها عليها السلام وقد عايشنه حضراً وسفراً ليلاً ونهاراً وطالت صحبة بعضهنّ أكثر ما عاشته الزهراء عليها السلام معه من الزمان وكشاهد على ذلك فإنّ أمامة بنت أبي العاص بن الربيع تزوّج بها الإمام بعد وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام وبإشارة منها وبقيت في حبالته حتى شهادته وتلك فترة طالت ثلاثين عاماً ولو قايسناها مع فترة معايشة الزهراء عليها السلام لبلغت خمسة أضعاف وقد مرّت فيها أحداث جسام كحروب الجمل وصفّين والنهروان وكانت للإمام في مدّة حكمه عدة خطب وخطوب في السلم والحروب ولم ينقل أحد عن أمامة أثراً ينبئ عن تأثير الزوجية عندها في الحديث فضلاً عن الخطب البلاغية نعم كل ما روت عنها المصادر المعنية حديثاً روته بعد شهادة الإمام عليه السلام وذلك لمّا خطبها المغيرة بن نوفل فلم تجبه ثم خطبها أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث فامتنعت وروت حديثاً عن عليّ عليه السلام أنّ أزواج النبيّ والوصيّ لا يتزوجن بعده فلم يتزوجن الحرائر وأمهات الأولاد عملاً بهذه الرواية وهي رواية مرسلة رواها

الحافظ ابن شهرآشوب[1] مع انّه قد ورد في التاريخ أنّ بعض أزواج الإمامعليه السلام تزوجنّ بعده وفيهن ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلي خلّف عليها بعد الإمام عبدالله بن جعفر فأولدها صالحاً وموسى وهارون ويحيى وأم أبيها[2] ونعود إلى ذكر أمامة وقد روى الكليني[3] بسنده إلى أمامة (قالت: أتاني أميرالمؤمنين عليّعليه السلام في شهر رمضان فأتي بعشاء وتمر وكمأة فأكل وكان يحب الكمأة) فزوجة تعيش ثلاثين عاماً مع الإمامعليه السلام لم يرو عنها إلاّ هذين الأثرين فما ظنك بالباقيات الصالحات ممن، لم يرد عنهنّ أي أثر؟! فأين تأثير الزوجية التي زعم العقّاد أثرها في بلاغة السيّدة الزهراءعليها السلام؟

(خامسا) قال العقّاد أيضاً في طرحه المشار إليه (وسمعت القرآن يرتّل في الصلوات وفي سائر الأوقات...) وهذا جانب لا ينبغي الوقوف عنده طويلا بعد أن نعرف كثيراً من المسلمين يومئذٍ يشتركون في سماع القرآن يرتّل في الصلوات وفي سائر الأوقات ولم تؤثر بلاغة القرآن فيهم بل كان الكثير منهم يجهل معناه فاستماعه لم يغيّر في ثقافته كثيراً وما خبر جهل أبي بكر بمعنى الأب[4] من العقّاد بغائب.

---

(١) المناقب ٣: ٩٠ ط الحيدرية.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ٢٠٧ تحـ عكاشة.

(٣) كما في الكافي ٧: ٣٦٩ كتاب الأطعمة باب الكمأة.

(٤) راجع خبر ذلك في الغدير ٧: ١٠٣ ـــ ١٠٤ ستجد المصادر التي فاقت على العشرة من مصادر التراث السنّي.

هذه هي النقاط التي ذكرها العقّاد في دفع معرّة الخلاف والجدل من النقّاد حول خطبة الزهراء عليها السلام.

وبهذا نختم الكلام والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

نسأله تعالى أن يتقبّل هذا منّا ، ويثيبنا عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون

إلاّ من أتى الله بقلب سليم ، ويرزقنا شفاعة سيدتنا ومولاتنا

الصديقة الزهراء عليها السلام ، بولاء مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

والأئمّة المعصومين عليهم السلام .

تم في ليلة عيد الغدير ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٤٢٧ هـ

۞ ۞

محتويات الكتاب

۞ ۞